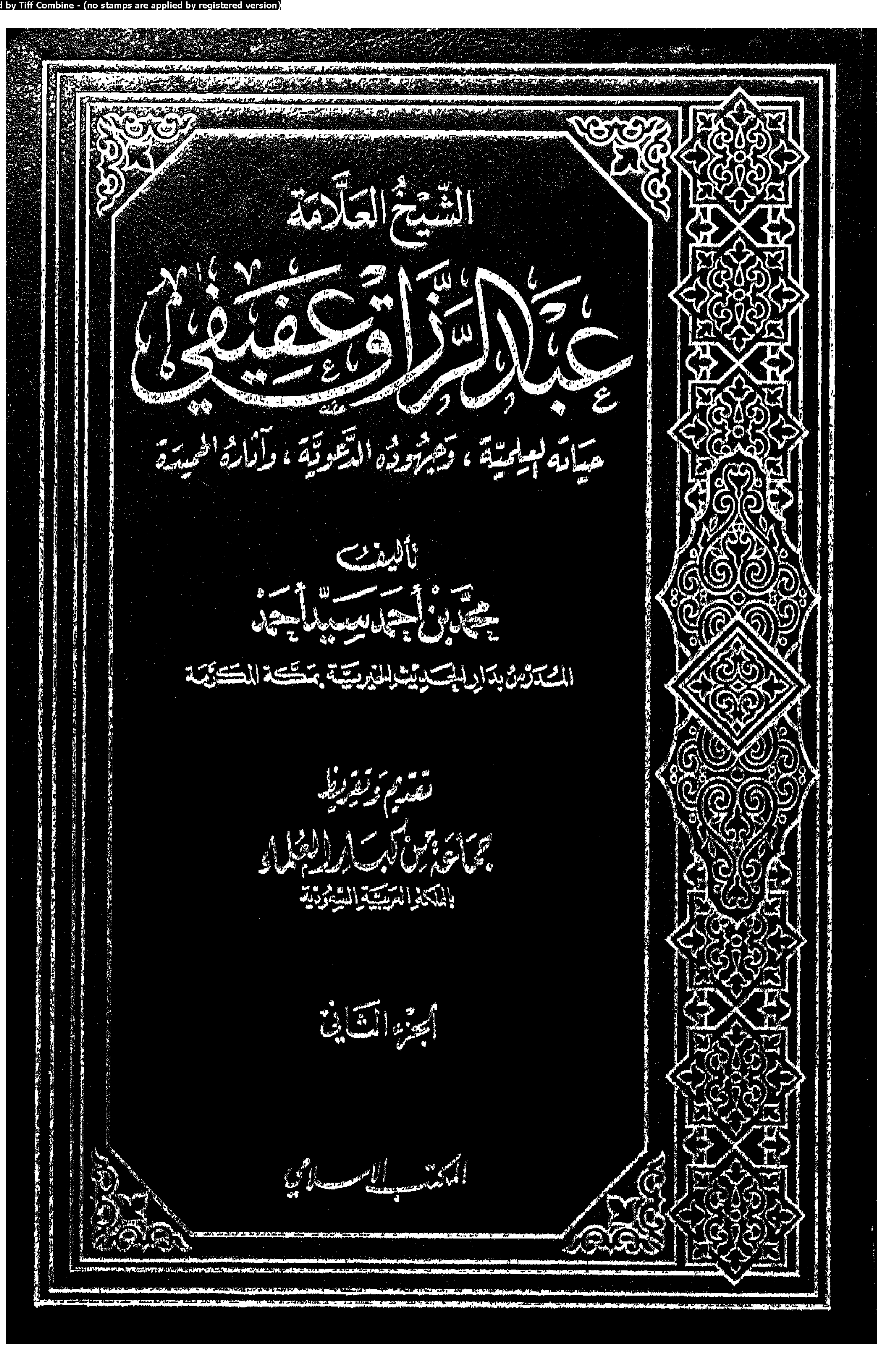

الشيخ العلامة
عبد الرزاق عفيفي
حياته العلمية، وجهوده الدعوية، وآثاره الحميدة
تأليف
محمد بن أحمد سيد أحمد
المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة
تقديم وتقريظ
جماعة من كبار العلماء
بالمملكة العربية السعودية
الجزء الثاني
المكتب الإسلامي



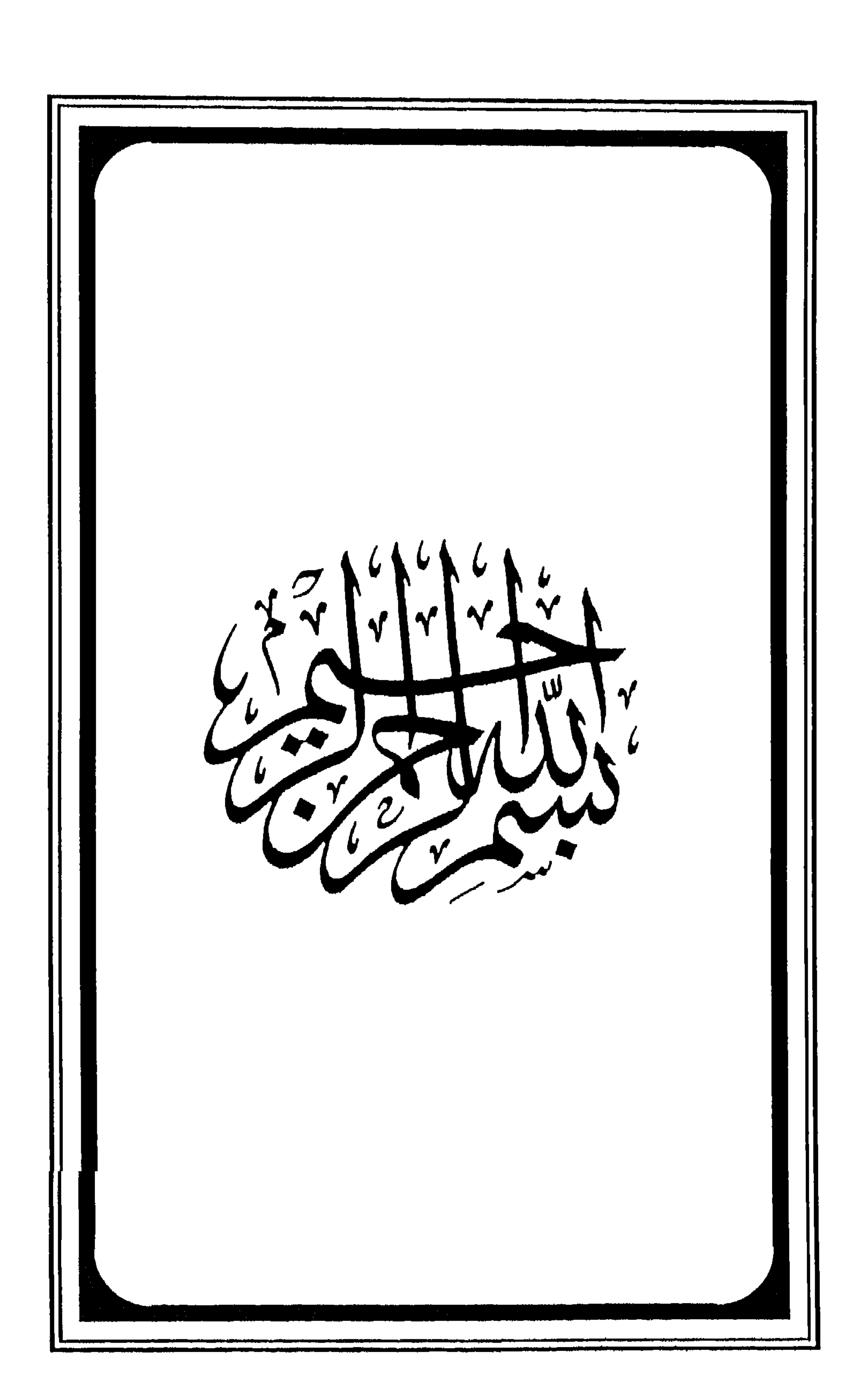




الشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّزَّاق عَفِيفِي

حَيَاتُه العِلْمِيَّة، وَجُهُودُه الدَّعَوِيَّة، وَآثَارُه الحَمِيدَة


بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ العلامة

عبد الرزاق عفيفي

حياته العلمية، وجهوده الدعوية، وآثاره الحميدة

تأليف

محمد بن أحمد سيد أحمد

المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

تقديم وتقريظ

جماعة من كبار العلماء

بالمملكة العربية السعودية

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

عقيدته السلفية
وجهوده في مجال العقيدة

المبحث الأول: معنى العقيدة وأهميتها.

المبحث الثاني: منهجه في العقيدة وعنايته البالغة بالتوحيد.

المبحث الثالث: إمامته في السُّنة وحثه على التمسك بها.

المبحث الرابع: اهتمامه بكتب العقيدة وتأثره بعلماء السلف.

المبحث الخامس: كفاحه ضد البدع والمنكرات ودعوته إلى الاعتصام بالكتاب والسُّنة.

المبحث السادس: نماذج من كتاباته وتعليقاته وتحقيقاته في العقيدة.



الفصل الرابع

عقيدته السلفية وجهوده في مجال العقيدة

المبحث الأول

معنى العقيدة، واهمِّيتُها

معنى العقيدة، لغة:

العقْد: نقيض الحل، وعقد الحبل والبيع والعهد واليمين يعقده عقداً: أحكمه وشدَّه.

والعقد: العهد، والجمع عقود، وهي أوكد العهود، وتعاقد القوم: تعاهدوا.

وعَقَد العهد واليمين يعقدهما عقْداً، وعقدَّهما أكدهما.

وفي القرآن الكريم ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ..﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما، المعاقدة: المعاهدة، والميثاق.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[2].

قيل العهود، وقيل هي الفرائض التي ألزموها[3].

---

(١) سورة النساء: الآية (٣٣).

(٢) سورة المائدة: الآية (١).

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور (٣/٢٩٦، ٢٩٧) والمصباح المنير للفيومي (ص١٦٠) مادة (عَقَد)، ومحيط المحيط (ص٦١٨ مادة عقد).

واصطلاحاً: هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك[1].

والعقيدة في الإسلام تقابل الشريعة، إذ الإسلام عقيدة وشريعة، والشريعة تعني التكاليف العملية التي جاء بها الإسلام في العبادات والمعاملات[2].

والعقيدة ليست أموراً عملية، بل هي ما يُصدِّقه العبد ويَدين به، فإن كانت هذه العقيدة موافقة لما بعث الله به رُسله، وأنزل به كُتبه، فهي عقيدة صحيحة سليمة، تحصل بها النجاة من عذاب الله، والسعادة في الدنيا والآخرة، وإن كانت هذه العقيدة مخالفة لما أنزل الله به رُسله، وأنزل به كُتبه، فهي عقيدة توجب لأصحابها العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة.

والعقيدة الإسلامية: إيمان راسخ بأن الله ربّ كلّ شيءٍ ومليكه خلْقاً وتقديراً، ومُلْكاً وتدبيراً، وأن العبادة بجميع أنواعها حقٌ له وحده، لا يشركه فيها مَلَك مقرّب ولا نبيٌّ مرسل، وله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العليا التي جاءت بها نصوص الكتاب والسُّنة الصحيحة.

أهمية العقيدة:

أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، أرسله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله سبحانه إلى الإنسانية وهو ﷺ مثالُ الإنسانية الكاملة. ليردها إلى وحدة صادقة، في ظل

(١) انظر: مجموع الرسائل (ص٤٢٩).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٦٩) ط المكتب الإسلامي.

توحيد صادق، وعقيدة نقية راسخة، ذلك لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربَّها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله،ويكون مع ذلك كلِّه أحبّ إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه.

إن العقيدة الإسلامية هي الغذاء الواقي لقوى النفس المختلفة، والمداد القوي لحيويتها، وليس على وجه الأرض قوة تساوي قوة العقيدة أو تُدانيها في ضمان تماسك المجتمع، واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، وترجع أهمية العقيدة والعناية بها، ودراسة مصنفاتها إلى الأسباب الآتية:

أولاً: أنها هي التي استطاعت أن توحِّد بين القلوب، وتؤلِّف بين النفوس، وتجمع الأُمَّة على هدف واحد، وغاية واحدة، هي إخلاص العبادة لله، ومحاربة الشرك والضلال، فهي خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد من الإنصاف والعدالة، كما أنها تعمل على نشر الحق والخير بين الناس، وأصدق دليل على ذلك عصر صدر الإسلام، الذي ضرب فيه الصحابة -رضوان الله عليهم- ومن تبعهم بإحسان، أروع الأمثلة في التضحية والفداء في الدفاع عن هذه العقيدة، وحمايتها، وكان لهم القدح المُعلَّى في العمل على نشرها، حيث كانت حيَّة صافية في نفوسهم لم تتسرب إليها الشبهات، ولم تؤثر فيها الشهوات.

ثانياً: إن العقيدة الإسلامية متى رسخت في الفرد استقام سلوكه في حياته، ومتى أظلت مجتمعاً إنسانياً انضبط ذلك المجتمع وارتقى إلى ذروة الكمال الإنساني. كما أنها تبعث من دان الله بها إلى العمل الصالح والأخلاق الفاضلة والآداب السامية.

ثالثاً: تميزت عقيدة السلف الصالح بالوضوح، حيث إنها تتخذ من نصوص الكتاب قاعدة لها تنطلق منها في التصور والفهم بعيداً عن شُبه المعطلين والمُحرّفين، والمؤولين والمشبِّهين، وتربط المسلم برسول الله ﷺ وبصحابته، وبسلف الأمة الصالح، الذين هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وهي مَنْ كان على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

رابعاً: ثم إن في التزام عقيدة السلف الصالح اتباعاً لما أمر به القرآن، ودعت إليه السُّنة من ضرورة اتباع سبيل المؤمنين الصادقين، الذين يتلقون كل ما جاء به الرسول ﷺ في إذعان تام، وتسليم مطلق، دون أن يزيغوا بعقولهم عن هذا الصراط المستقيم[1].

خامساً: ليس هناك ما يُوحِّد بين صفوف المسلمين ويجمع كلمتهم دون أن تتوزعها الأهواء، وتتجاذبها الفرق، كالعودة إلى عقيدة السلف، والانطلاق منها للبناء والتربية والتوجيه.

سادساً: إن المتمسك بعقيدة السلف الصالح يحصل له النجاة من عذاب الله وتحصل له السعادة في الدنيا والآخرة، ويحصل له كمال الأمن والاهتداء في الدارين، كما أنه ينجو من مهلكات الخوض في ذات الله، أو الرد لشيءٍ مما صح عن رسول الله ﷺ.

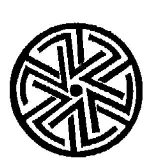
سابعاً: إن العقيدة الإسلامية هي وحدها التي تجيب على التساؤلات التي تشغل الفكر الإنساني وتُحيِّره، ولا توجد عقيدة سوى العقيدة الإسلامية تجيب على هذه التساؤلات إجابة صادقة مقنعة، وكل

---

(١) انظر كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، دراسة وتحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (١٣/١).

من لم يعرف هذه العقيدة، ومن لم يعتنقها، فإنه يظل ضائعاً تائهاً، فاقداً لذاته ووجوده.

ثامناً: إنه ليس للعالم -في زماننا الحاضر وفي كلِّ زمان- من سبيل إلى الخلاص من طوفان المادية المتلاطم، وشرِّها المتدافع إلاَّ بعقيدة الإسلام، فالمجتمعات المعاصرة على امتداد العالم في حالة من الصراع والقلق النفسي تنذر بالشرِّ والخطر وتهدد الحياة الإنسانية بالتحلل والضياع، وذلك راجع بلا شك إلى الفراغ الديني والبعد عن الله والإسراف في الملذات والانهماك في الشهوات التي أرهقت الإنسان وحرمته من كل معاني الاستقرار، وجردته من كثير من القيم التي تصله بالله ثم بالحياة والناس.



المبحث الثاني

منهجه في العقيدة وعنايته البالغة بالتوحيد

كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- سلفي العقيدة، من كبار علماء التوحيد، يرجع في أمر المعتقد إلى مذهب السلف الصالح، وقد عُرف بشدة الانتصار له، والدفاع عنه، يعض عليه بالنواجذ، ويحاول إرجاع الناس إليه بكل الوسائل.

لقد كان مدافعاً ومنافحاً عن العقيدة الإسلامية الصافية «عقيدة التوحيد» فقد حارب البدع وهو يحمل لواء التوحيد، يحافظ عليه بكل ما أتاه الله من قوة، وما حباه من عزيمة.

إن عقيدة الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- هي العقيدة التي جاء بها الإسلام، فهي عقيدة تتسم بالقوة والوضوح، والبعد عن الشطط والانحراف، وهي عقيدة تقوم أوّلاً وأساساً على الإيمان بالله رباً واحداً له الربوبية المطلقة على الأشياء كلِّها خلْقاً وملكاً وتدبيراً ورعاية وحفظاً لا شركة لأحد معه أصلاً في خلْق شيء، ولا في تدبير أمر، كما قال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وأن خلقه للأشياء تم بقدرته وحدها على وفق علمه ومشيئته

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٥٤).

دون مُعين أو وسيط، وأن تدبيره لها كذلك يجري وفق قوانين ثابتة، وسنن مطردة اقتضتها حكمته، فلا يستطيع أحد لها تحويلاً ولا تبديلاً.

وتقوم على الإيمان به كذلك إلهاً واحداً، لا تنبغي الإلهية إلا له، فهو الإله المعبود الذي تألهه القلوب، يعني تعبده محبة ومخافة وذلاً، وإنابة واستكانة، وخضوعاً وتعظيماً، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي يحبها الله ويرضاها والتي أمر عباده أن يتقربوا إليه بها.

وتقوم على الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

وتقوم أيضاً على الإيمان بملائكة الله على الوجه الذي ورد في الكتاب والسُّنة من أنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[2].

وأن منهم السفراء بينه وبين رسله من البشر، يحملون إليهم وحي الله ورسالاته ليقوموا بتبليغها إلى من أُرسلوا إليهم من الناس،ومنهم من وُكِّل بالأرزاق والأمطار والنطف وقبض الأرواح وكتابة الأعمال..

وتقوم على الإيمان باليوم الآخر وبكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالبعث

(١) سورة الشورى، الآية (١١).

(٢) سورة الأنبياء، الآيات (٢٦ ـ ٢٨).

والجزاء وخروج الناس من قبورهم أحياء، وحشرهم إلى ربهم، وفصل القضاء بينهم ومحاسبتهم على كل ما قدَّموا لأنفسهم وما كسبته أيديهم من خير وشر.

وتقوم أيضاً على الإيمان بقضاء الله وقدره، إيماناً يحمل للنفوس الطمأنينة والرضا، وينفي عنها الهلع والجزع، ويحملها على التسليم لله فيما قدَّره وقضاه.

وتقوم كذلك على أن الدِّين كلَّه لله، فهو الذي يتعبد عباده بما يشاء، ويُشرِّع لهم من الأحكام والحدود والفرائض والآداب ما اقتضته حكمته مما يعلم أن فيه صلاحهم وسعادتهم، فلا يجوز لأحد أن يزيد في دين الله ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو فيه، أو يبدل كلماته، أو يحرفها عن مواضعها بتأويل زائغ، أو يُشرِّع ما لم يأذن به الله.

وتقوم أيضاً على أن دين الله واحد وهو الإسلام الذي بعث به رُسله وأنزل به كتبه، وأن الأنبياء كلهم إخوة أبناء علات، أصول دينهم واحدة وشرائعهم شتى، وأن الواجب هو الإيمان بهم وبما أُنزل إليهم جميعاً، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1].

وبعد إلقاء الضوء على عقيدة الشيخ والأسس التي قامت عليها يستطيع القارئ والمطّلع على كتابات الشيخ عبد الرزاق وإملاءاته وتحقيقاته وتعليقاته على بعض الكتب والرسائل والبحوث، أن يقف على

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

أبرز سمات المنهج العقدي للشيخ، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١- التعويل الدائم على الدليل من الكتاب والسُّنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، والالتزام بمنهج السلف الصالح في كل قول وفعل.

٢- وضوح العبارات، ودقة المعاني والرغبة في الوصول إلى الحق من أقصر طُرُقه مع البعد عن مصطلحات المتكلمين، وتعقيداتهم وتخرصاتهم.

٣- الفهم الدقيق، والاستيعاب الواسع لجوانب المباحث المطرحة مع الإلمام بالأصول والقواعد التي تصدر عنها الأحكام.

٤- تكييف الموضوع وتصوره، والحكم عليه وفق الأصول الصحيحة والأسس الثابتة التي التزمها السلف الصالح والأئمة الكبار، المشهود لهم بالخيرية والأمانة والعلم.

٥- تفصيل المسائل وتأصيلها، وتوضيح الغامض، وحل المشكل، وتقديم البراهين والأدلة على صحة القول.

٦- الإنصاف والتجرد عند عرض الآراء، ومناقشة الأدلة، والرد على الخصوم مع عدم الانتصار للرأي وإن كان صواباً.

٧- الالتزام بالنصوص الشرعية وإقامة الحجج العقلية والأدلة النقلية عند عرض قضايا العقيدة، وطرق الدعوة ووسائلها.

٨- الاهتمام بتقعيد القواعد التي تبنى عليها الأقوال، وضبط الأصول التي يتفرع منها غيرها، مع الإحاطة بمستجدات الواقع، وأحداث العصر.

وفيما يلي تفصيل لهذه السمات وبيان لها.

أولاً: التعويل الدائم على الدليل من الكتاب والسُّنة الصحيحة، والالتزام بمنهج السلف الصالح في كل قول وفعل:

إن المتأمل لكتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ يجد أنهما متظاهران على وجوب امتثال أمر الله وامتثال أمر رسوله ﷺ، وطرح كل قول يخالف الكتاب والسُّنة دون شقاق أو عناد، فإن ذلك من تمام الانقياد، الذي هو قيد من قيود لا إله إلا الله، فلا توحيد إلا بطاعة الله ورسوله ﷺ ولا فوز ولا فلاح إلا بتقديم الكتاب والسُّنة على آراء الرجال، كما أنه لا شفاء للقلوب والأرواح ولا حياة لها إلا بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، والاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].

لقد عُرِف فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- بشدة متابعته للكتاب والسُّنة والتعويل علىالدليل، وتقديم كل بحث أو قول على ضوء الأسس والأصول الصحيحة التي التزمها السلف الصالح والأئمة الكبار، وفيما يلي نماذج من كتاباته، تبرهن وتؤكد على عظم متابعته الإسلامية المرتبطة بكتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ.

فقد ذكر -رحمه الله- في مقدمة كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي، أن العلماء لهم منازع شتى، ومشارب متباينة، وأسعدهم بالحق من كانت نزعته إلى كتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ، ووسعه ما وسع السلف مع رعاية ما ثبت من مقاصد الشريعة باستقراء نصوصها، فكلَّما كان العالم أرعى لذلك وألزم له كان أقوم طريقاً، وأهدى سبيلا.

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٤).

وفي كلمة له -رحمه الله- بعنوان «أمانة العلم وصفات العلماء» يؤكد فضيلته على وجوب التمسك بالكتاب والسُّنة، ونبذ كل قول أو رأي أو فعل يخالفهما، ففي هذه الكلمة يقول فضيلته:

لقد راجت شُبه الملحدين من جديد رواجاً مخيفاً جمد إزاءه المسلمون ولو أنهم رجعوا إلى أقوال سلفهم الصالح، وسلكوا طريقهم لردوا كيد الكائدين إلى نحورهم. فإنه ما من شبهة تذاع اليوم إلا وقد سبق لها شياطين الملحدين السابقين في العصور الأولى ووفّقها وردها وأبطلها أجلّة علماء السلف، ببراعة فائقة، فلا سبيل أرشد من سبيلهم، ولا هدْي أقوم مما كانوا عليه.

فالخير في العودة إلى كتاب الله تلاوة له، وتفقهاً فيه، وإلى أحاديث المصطفى صاحب جوامع الكلم ﷺ، دراية ورواية، والفُتيا بهذين الأصلين، وعرض أعمال الناس عليهما. فذلك هو الفلاح والرشاد الذي ليس بعده رشاد[1].

وفي مقال بعنوان «الحكم بغير ما أنزل الله وأثره على الأفراد والشعوب» يقول فضيلته:

أوصى سبحانه وتعالى من وكل إليه الحكم في خصومة أو الفصل بين الناس في أمر ما أن يحكم بينهم بالعدل، سواء كان مُحكِّماً أو وليّ أمر عام أو خاص، ولا عدل إلا ما جاء في كتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ، فذلك الهدى والنور والصراط المستقيم.

---

(١) انظر العدد الأول من مجلة الهدي النبوي والصادر عام ١٣٥٦هـ.

ثانياً: وضوح العبارات، ودقة المعاني، والرغبة في الوصول إلى الحق من أقصر طرقه مع البعد عن مصطلحات المتكلمين وتعقيداتهم وتخرصاتهم:

سبق وأن ذكرت أن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان يتمتع بمزايا فريدة، وخلال حسنة لا تكاد تتوافر إلا في القليل من الرجال، ومن هذه المزايا؛ فصاحة لسانه، وقوة بيانه. فقد كان -رحمه الله- ذا أسلوب متين جزل بليغ، تتسم عباراته بالإيجاز والوضوح والإحكام والبيان، وكلماته بالجزالة والفصاحة مع خلوها من الحشو وبعدها عن التعقيد، وكانت كلماته تصل إلى القلوب من أول وهلة، وذلك لأن الحق رائده، والصدق معوّله، وما كان من القلب وصل إلى القلب.

إن الشيخ -رحمه الله- على الرغم من أنه درس بالأزهر، وسبر كتب الأشاعرة، وألمَّ بها، وخبر مناهجها، إلا أنه لم يتأثر بشيء منها، وظل على سلفيته، مع بعده عن مصطلحات أهل الكلام وسفسطهم، ويتضح هذا جلياً في كلمته القيمة تحت عنوان «مبدأ وميثاق».

ففي هذه الكلمة، أوضح فضيلته أن الإسلام عقيدة وقول وعمل. فالعقيدة إيمان راسخ بأن الله ربّ كلِّ شيء ومليكه، خلْقاً وتقديراً، وملكاً وتدبيراً، وأن العبادة بجميع أنواعها حق له وحده لا يشركه فيها مَلَك مقرب ولا نبيٌ مرسل، فله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العليا التي جاءت بها نصوص الكتاب والسُّنة الصحيحة.

ثم وضَّح الشيخ أن هذه النصوص تمرّ كما جاءت اقتداءً بسلف هذه الأمة وخير قرونها، وأن تفسر بمعانيها التي تدل عليها حقيقة في لغة العرب التي نزل بها القرآن، وكانت لسان النبي ﷺ، مع تفويض

العلم بكيفياتها إلى الله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

ولا يلزم من ذلك تشبيهاً لله بعباده، وذلك لأن الله أعلم بنفسه من خلقه، وأرحم بهم منهم بأنفسهم، وكلامه أبلغ الكلام وأبينه، وله سبحانه الحكمة البالغة، فيستحيل أن تتوارد النصوص وتتابع الآيات والأحاديث على إثبات أسماء الله وصفاته بطريقة ظاهرة واضحة، والمراد غير ما دلت عليه حقيقة، ويقصد الله منها، أو يقصد رسوله ﷺ إلى معان مجازية من غير أن ينصب من كلامه دليلاً على ما أراد من المعاني المجازية اعتماداً على ما أودعه عباده من العقل وقوة الفكر. فإن ذلك لا يتفق مع كمال علمه تعالى، وسعة رحمته، وفصاحة كلامه، وقوة بيانه، وبالغ حكمته.

فمن جحد شيئاً من النصوص أو تأولها على معانٍ مجازية من غير دليل يرشد إلى تأويلها عليه، فقد ألحد في آيات الله وأسمائه وصفاته، وحُقّ عليه ما توعد الله به الملحدين في ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾[2].

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

وقد زادت السُّنة عن نصوص الكتاب في إثبات الأسماء والصفات

---

(١) سورة الشورى: الآية (١١).

(٢) سورة فصلت: الآية (٤٠).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٨٠).

توكيداً وبياناً فقضت على قول كل متأول يحرف كلام الله عن مواضعه، كما فعلت اليهود في تحريفها لكتاب ربها وتلاعبها بشريعة نبيِّها[1].

ومما يدل دلالة قاطعة على أن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان سلفي النزعة، بعيداً كل البعد عن شطحات المتكلمين وخزعبلاتهم أنه كان إذا دعته الحاجة إلى أن يتطرق إلى موضوع سبق وأن تطرق إليه المتكلمون من الأشاعرة وغيرهم، نجد أنه يسلك مسلكاً غير مسلكهم في البحث والمناظرة والاستشهاد، فهو دائماً يعوّل على الدليل من كتاب الله تعالى وسُّنة رسوله ﷺ مع ربط كل مسألة وبحث بالمصدرين العظيمين والأصلين الكريمين، القرآن والسُّنة، فضلاً عن ذلك فإن الشيخ عبد الرزاق عندما يتعرض لمسألة من المسائل العقدية أو حتى العلمية، فإنه يحيط بالمسألة من جميع جوانبها ويوسعها بحثاً واستقصاءً وبأسلوب مركز يتسم بالقوة والموضوعية.

وفي الصفحات التالية نماذج من هذه المسائل التي أملاها الشيخ على طلبته في كلية الشريعة بالرياض، ومنها مسألة إثبات أن العالم ممكن، وأن الممكن محتاج إلى موجد ومؤثر، وإثبات وجوب الوجود لله سبحانه بالأدلة العقلية والنقلية، وكلها تبرهن وتؤكد على صحة ما ذكرته آنفاً.



(١) مجلة الهدي النبوي عدد ربيع الآخر سنة (١٣٧٩هـ).

المسألة الأولى
إثبات أن العالم ممكن

إنَّ ما شاهدناه في ماضينا من الكائنات، وما نشاهده منها في حاضرنا ممكن: أي جائز الوجود، والعدم ؛ وذلك لأنَّا نراه يتحوَّل من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم، وهذا التغير والتحول دليل إمكانه، إذ لو كان واجباً لما سبق وجوده العدم، ولما لحقه فناء، ولو كان مستحيلاً لما قبل الوجود لأن المستحيل لذاته لا يوجد، وحيث إننا شاهدناه موجوداً بعد عدم ثبت أنه ممكن.

المسأله الثانية
الممكن محتاج إلى موجد ومؤثر

وحيث ثبت أن العالم ممكن، والممكن ما استوى طرفاه -الوجود والعدم- بالنسبة إلى ذاته، فوجوده ليس من ذاته، وعدمه بعد وجوده ليس من ذاته، إذن لابد له من سبب يرجح وجوده على العدم، إذ لو وجد بدون سبب خارج عن ذاته وحقيقته للزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر بلا مرجِّح، وهو باطل؛ ولو أوجد الممكن نفسه للزم من ذلك أن يكون متقدِّماً على نفسه باعتباره خالقاً لها، ومتأخراً على نفسه باعتباره مخلوقاً لها، وتقدم الشيء على نفسه وتأخره عنها محال بالضرورة لما فيه من التناقض الواضح، فثبت أن الممكن لا بدَّ له من موجد غير ذاته وحقيقته، يوجده ويدبر شؤونه في كل أحواله، هذا المغاير: إما المستحيل، وإما الواجب، لا جائز أن يكون موجده هو المستحيل، لأن المستحيل غير موجود فلا يؤثر، ولأن فاقد الشيء لا يُعطيه. فثبت أن موجده هو الواجب، وهو الله- تعالى.

وقد أرشدنا الله -تعالى- إلى ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[1].

فقد أنكر -سبحانه- أن يكونوا قد خُلقوا بلا خالق، وأن يكونوا قد خَلَقوا أنفسهم، فإذن لا بدَّ لهم من خالق موجود مغاير لهم وهو الله -تعالى.

ومن ذلك يتضح اتفاق الفطرة، والعقل السليم والسمع على أن العالم محتاج إلى صانع، ومستند إلى موجد أوجده.

المسألة الثالثة

في إثبات وجوب الوجود لله- سبحانه وتعالى

إن لفظ الوجود، ومعناه المطلق، يشترك فيهما كل من الممكن الواجب، والحادث والقديم الأزلي. فالله يوصف بأنه موجود والحادث يقال له -أيضاً- إنه موجود، ولكن للممكن وجود يخصُّه، فإنه حادث سبق وجوده عدم، ويلحقه الفناء، وهو في حاجة دائمة ابتداءً، ودواماً، إلى من يكسبه، ويعطيه الوجود، بل يحفظه عليه. ولله-تعالى- وجود يخصُّه، فهو- سبحانه- واجب الوجود لم يسبق وجوده عدم، ولا يلحقه فناء، ووجوده من ذاته لم يكسبه من غيره.

وذلك لأنه -تعالى- الغني عن كلِّ ما سواه، وبذلك جاء السمع، وشهد العقل. أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[2].

---

(١) سورة الطور: الآية (٣٥).

(٢) سورة الحديد: الآية (٣).

وأما العقل: فبيانه أنه -تعالى- لو كان مستحيل الوجود لم يصح أن يستند إليه الممكن في حدوثه بداهة، لأن المستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ولو كان ممكناً لافتقر في حدوثه إلى من يُرجِّح وجوده على عدمه لما تقدم، فإن استمرت الحاجة، فاستند كلّ في وجوده إلى نظير له من الممكنات لزم إما الدور القبلي[1]، وإما التسلسل في المؤثرات إلى ما لا نهاية، وكلاهما محال. وإذا انتفى عنه الإمكان. والاستحالة ثبت له الوجوب ضرورة. لأن أقسام الحكم العقلي ثلاثة، وقد انتفى اثنان، فتعين الثالث، وهو الوجوب فالله -تعالى- واجب الوجود.

- وقد أرشدنا الله إلى ذلك في كثير من الآيات.

منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ

---

(١) الدور السبقي، ويقال له القبلي: هو توقف الشيء على ما توقف عليه، وهو قسمان: مصرح، ومضمر. فالمصرح ما كانت الواسطة فيه واحدة، مثاله كأن يقال مثلًا خالد أوجد بكراً، وبكر أوجد خالداً، فبكر متوقف في وجوده على خالد ثم خالد توقف في وجوده على بكر والواسطة واحدة وهي بكر. ويقال له: هذا دور بمرتبة. فإن تعددت المراتب كانت بحسبها، وهذا الدور باطل لما يلزمه من التناقض، إذ يلزمه أن يكون الشيء سابقاً لا سابقاً مؤثراً لا مؤثراً إلخ. بل يلزم أن يكون الشيء نقيض نفسه ضرورة المغايرة بين المتقدم والمتأخر، والأثر والمؤثر. أما الدور المعي مثل توقف الأبوة على البنوة، والبنوة على الأبوة، فجائز. لأنه من باب الإضافات، وهي اعتبارية لا وجود لها. والتسلسل هو ترتب أمور بعضها على بعض بحيث يكون كل متأخر منها يتوقف في وجوده على سابق عليه. يكون علة له في وجوده إلى غير نهاية. ويُسمَّى هذا النوع التسلسل في العلل، وفي المؤثرات، وهو باطل باتفاق العقلاء لما يلزمه من عدم وجود شيء من الحوادث، وهذا باطل بالمشاهدة. وقد عرَّف السعد في «شرح المقاصد» الدور والتسلسل بعبارة جامعة لهما فقال: هما أن يتوالى عروض العلية والمعلولية لا إلى نهاية، بأن يكون كل ما هو معروض للعلية معروضاً للمعلولية، ولا ينتهي إلى حالة تعرض له العلية دون المعلولية، فإن كانت المعروضات متناهية، فهو الدور بمرتبة إن كان اثنين، وبمراتب إن كانت المعروضات فوق اثنين، وإلا فهو التسلسل.

وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

-وهذه الآية، وإن سيقت للاستدلال على توحيد الألوهية الذي تقدم قبلها في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

إلا أنها تدل دلالة قاطعة على توحيد الربوبية، فإن استحقاقه -تعالى- للعبادة، واختصاصه بها فرع عن وجوده، وانفراده بالخلق، والتدبير، والتصريف، والتقدير.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[3].

- فهذه الآيات، وإن ذُكرت لتنزيه الله -تعالى- وتقديسه عما ظنه به منكرو البعث، وسيقت لإثبات قدرته على المعاد. كما يرشد إليه ما قبلها من الآيات، فهي دليل -أيضاً- على وجوب وجوده -تعالى- لاستناد ما ذُكر في الآيات من المخلوقات إليه. وحدوثه بقدرته، ولا يعقل ذلك إلا إذا كان واجب الوجود.

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٦٤).

(٢) سورة البقرة: الآية (٦٣).

(٣) سورة الواقعة: الآيات (٥٨ ـ ٦٥).

- فمن نظر إلى ما ترشد إليه هذه الآيات، ونحوها من سنن الله في العالم نظراً ثاقباً، وفكّر في عجائب خلقها، وحُسن تنسيقها، وشدة أسرها تفكيراً عميقاً، وبحث في أحكامها، وبديع صُنعها بحثاً بريئاً من الهوى، والحميَّة الجاهلية، وأنصف مناظره من نفسه، فلم يمنعه من فهم ما عرض عليه من الحق، والإذعان له كِبرٌ يرديه، ولا عناد يطغيه، واتضح له طريق الهدى. واضطره ذلك أن يستيقن النتيجة، ويؤمن من أعماق قلبه، بأن للعالم ربَّاً خلاقاً فاعلا مختاراً حكيماً في تقديره، وتدبيره أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير.

ومع قيام الدليل، ووضوح السبيل، تعامى فرعون موسى عن الحق، وتجاهل ما استيقنته نفسه، وأنكر بلسانه ما شهدت به الفطرة، ودلَّ عليه العقل من وجود واجب الوجود، فأقام موسى عليه الحُجة، بدلالة الأثر على المؤثر، والصنعة على الصانع، ووجود العالم، وعظم خلْقه على وجود الخالق، وعظيم قدرته، وسعة علمه، وكمال حكمته، فغلبه بحجته.

وذلك بيِّنٌ واضح فيما حكاه الله عنهما من الحوار، والسؤال، والجواب: قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[1].

- فانظر كيف وقف موسى موقف من يصدع بالحق، ويقيم عليه البرهان؟

---

(١) سورة الشعراء: الآيات (٢٣ ـ ٢٩).

- وكيف وقف فرعون من موسى موقف السفهاء، لا يملك إلا الشتم، والسباب، والسخرية، والاستهزاء، والتهديد بأليم العذاب؟!!.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2].

إنَّ فرعون حينما أخذته الحجة، وانتصر عليه موسى، لم يبق بيده سلاح إلا التمويه على قومه، وإنذار موسى ومن آمن به أن يذلهم، ويذيقهم العذاب الأليم.

وأنَّى له ذلك! والله من ورائهم محيط؟! وقد كتب على نفسه أن يجعل العاقبة للمتقين.

وقال تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾[3].

- وقد ورث ذلك الزيغ، والإلحاد أناس ظهروا في عصور متعاقبة بأسماء مختلفة، واشتهروا بألقاب متنوعة.

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان (١٠١، ١٠٢).

(٢) سورة النمل: الآيتان (١٣، ١٤).

(٣) سورة الإسراء: الآية (١٠٣).

- فتارة يُسمون بالدهريين؛ وأخرى برجال الحقيقة ووحدة الوجود. وأحياناً بالشيوعيين، وأخرى بالوجوديين. (اللقب الجديد) وآونة بالبهائيين.

إلى غير ذلك من العبارات التي اختلفت حروفها ومبانيها، وائتلفت مقاصدها، واتحدت معانيها، فكلّها ترمي إلى غرض واحد، وتدور حول محور واحد، هو أنه ليس للعالم رب يخلق ويدبر، وليس له إله يُعبد ويُقصد.

- وبما تقدم من دليل حاجة الممكن إلى موجد، ودليل وجوب وجوده -تعالى- يظهر لك فساد مذهبهم، وخروجه عن مقتضى النظر، وموجب العقل، وما يصدق ذلك، ويؤيده من أدلة السمع.

فإن زعم زاعم منهم بعد ذلك، أن وجود العالم وليد الصدفة والاتفاق.

أو أنه نشأت أطواره عن تفاعل بين عناصر المادة، فتفرقت إلى وحدات بعد اجتماع، أو اجتمعت، وائتلفت بعد تفرق واختلاف. وصار لتلك الوحدات، أو المركبات من الخواص ما لم يكن لها قبل هذا التفاعل، وبذلك تجددت الظواهر، وحدث ما نشاهده من تغيير، وآثار مع جريانها على سُنة لا تتبدل، وناموس لا يختلف، ولا يتغير.

- قيل له: من الذي أودع تلك المادة طبيعتها، وأكسبها خواصها، فإنها إن كانت لها من ذاتها، ومقتضى حقيقتها لم تقبل التغير والزوال لأن ما بالذات لا يتخلف ولا يزول، وقد رأيناها تتبدل، فلا بد لها من واهب يهبها، وفاعل مختار حكيم عليم يدبرها، ويضعها في محالها، وليس ذلك من المادة وحدها، ولا من خواصها، أو طبيعتها القائمة بها، فإنها

ليس لها من سعة العلم، وكمال الحكمة، وشمول المشيئة، وعظيم القدرة ما ينتظم معه الكون على ما نشاهده من إحكام تبهر العقول دقته وجماله، ومن إبداع يأخذ بمجامع القلوب ما فيه من شدة الأسر، وقوة الربط بين وحداته، وكمال التناسب، والتكافؤ بين أجزائه، وقيام كل من الآخر مقام الخادم من سيده، والراعي من رعيته.

- ألا إن الطبيعة صماء لا تسمع، بكماء لا تنطق، عمياء لا تبصر، جاهلة لا تعلم، مسخرة لمن أودعها المادة، خاضعة لتصريفه وتقديره، سائرة على ما رسم لها من سنن لا تعدوها، ونواميس لا تخرج عنها، فأنى يكون لها خلق وإبداع أو إليها تنظيم وتدبير أو منها وحي وتشريع؟ !إنما ذلك إلى الله وحده، تعالى الله عما يقول الملحدون: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[1].

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

- ولا يعيب الحق بعد ذلك أن يتنكب طريقه مَنْ مُسِخت فطرته، واتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم، وختم على سمعه، وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، ولا يضير الدعاة إلى الحق أن عدل عن طريقه

---

(١) سورة الإنسان، الآية (٢٨).

(٢) سورة الملك، الآيات (١ ـ ٥).

المستقيم من انحرف مزاجه، أو غلبته شهوته، فخشي أن تحدّ الشريعة من نزغاته الخبيثة، وتحول دون وصوله إلى نزواته الدنيئة. أو أطغاه كبره وسلطانه، وخاف أن تذهب الشريعة بزعامته الكاذبة، وسلطانه الجائر، فوقف في سبيلها، ولجّ في خصامها بغياً وعدواناً. فإن الله ناصرٌ دينه، ومؤيّدٌ رسله، وأولياءه.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].
وقال سبحانه: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2]

ثالثاً: الفهم الدقيق والاستيعاب الواسع لجوانب المباحث المطروحة مع الإلمام بالأصول والقواعد التي تصدر عنها الأحكام:

لقد تميّز فضيلة الشيخ العلاّمة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- بدقّة الفهم لمختلف المسائل العقدية والعلمية، واستيعابه للأصول والقواعد التي تصدر عنها الأحكام مع سرعة استحضاره لكلام أهل العلم، وأدلة الشريعة، فضلاً عن إدراكه لأشباه المسائل ونظائرها، وهذه الميزات وغيرها جعلت الشيخ مرجعاً لطلاب العلم والمستفتين من مختلف الطبقات.

ويؤكد هذا كلّه أحد طلابه وهو فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد العجلان بقوله: لقد عرفت فضيلة الشيخ عبد الرزاق أستاذاً ماهراً، وبحراً زاخراً بمختلف علوم التفسير والعقيدة والفقه والأصول وغيرها من جوانب العلم الشرعية واللغة العربية، وعرفته كذلك محدثاً واعظاً ومرشداً جم المعرفة غزير العلم.

---

(١) سورة الحج: الآية (٤٠).

(٢) سورة الشعراء: الآية (٢٢٧).

ويقول فضيلة الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: كان شيخنا يمتاز بسعة علمه، وكان إذا تكلّم في فن من فنون العلم ظن السامع أنه لا يحسن غيره، وأنه متخصص فيه وحده، لقد كان موسوعي المعرفة، فضلاً عن أنه كان مفسراً يغوص في المعاني الدقيقة في الآية، ويذكر ارتباطها بما قبلها وما بعدها، ويصل بين تلك المعاني وبين حياة الناس.

وبعد هذه النقول عن طلبة الشيخ، يمكن القول أن الشيخ -رحمه الله- تميز بدقة الفهم وجودة العبارة وحُسن العرض ومع أن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- كان يميل إلى الاختصار والإيجاز في معالجة كثير من المسائل العقدية والمباحث العلمية، إلا أن هذا الإيجاز والاختصار في حقيقة الأمر كان مفيداً ومحققاً للمقصود.

ومن قرأ بحوث وتعليقات الشيخ مما حوته هذه الترجمة، يدرك للوهلة الأولى ما مَنّ الله به على هذا العالم الجهبذ من علم ثر، وإلمام بأصول المسائل والقواعد الشرعية التي تصدر عنها الأحكام.

رابعاً: تكييف الموضوع وتصوره، والحكم عليه وفق الأصول الصحيحة، والأسس الثابتة التي التزمها السلف الصالح والأئمة الكبار المشهود لهم بالخيرية والأمانة والعلم.

كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- واسع الاطلاع، طويل الباع، راسخ القدم في كثير من العلوم، كما كان قوي الحجة، ناصع البرهان، صحيح المعتقد، ذا رأي سديد، وتوجيه رشيد وإحاطة بكثير من المعارف والعلوم، فما من موضوع شرعي أو بحث علمي إلا وله فيه مساهمة مشكورة، وجهد متميز لا يُنكر.

كان -رحمه الله- ذا منهج متميز في كتابة البحوث والموضوعات

العقدية، وكان يضع لكل موضوع يبحثه بداية ووسطاً وخاتمة، مع تصدير كل بحث أو موضوع بمقدمة في تصور الموضوع أو المسألة المراد بحثها، وذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فضلاً عن ذلك فقد كان -رحمه الله- يُصدِّر كل بحث ببيان الأمور التي اشتمل عليها هذا البحث.

خامساً: تفصيل المسائل وتأصيلها، وتوضيح الغامض منها، وحل المشكل، وتقديم البراهين والأدلة على صحة القول.

سبق وأن ذكرت أن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- عُرِف بالدقة العلمية، والاستيعاب الواسع فضلاً عن دقة الفهم لمختلف مسائل العلم وتأصيلها وتحليل فروعها، وتحرير مواطن الخلاف فيها، والترجيح السديد بين الآراء المعتمدة. يقول فضيلة الدكتور صالح الأطرم: لقد كانت منهجية الشيخ تمتاز بوضوح الكلام وقلته، وتكييف المادة بحيث تصل إلى الأذهان من أول وهلة، بديع في تفكيك عبارات المؤلفين على اختلاف المواد.

لقد كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- يقرر في حِلَقه الدراسية العلم ويحقق المسائل، ويُوضِّح الغامض، ويحل المشكل، ويدفع الشُبه، ويقرع الحجة بالحجة، ويقيم البراهين والأدلة على صحة قوله، وفي كل هذا ينشد الحق، ويلتزم الأدب فلا يجرح سائلاً ولا يحرج مستفتيا.

ويؤكد هذا كلّه أحد طلبة الشيخ قائلاً[1]: كان الشيخ -رحمه الله- ذا بيان مشرق متدفق، لا يتلعثم، ولا يتوقف ولا يلحق، وكان مناظراً قوي الحجة، مستحضر الدليل، يحيط بأطراف الموضوع الذي يناقشه،

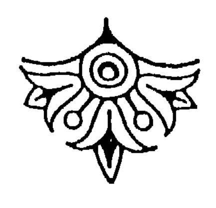
---

(١) هو فضيلة الشيخ محمد بن لطفي الصباغ.

وكان ينظر إلى العبارة العويصة فيحلها، ويشير إلى مراميها، ومقاصد كاتبها على نحو لا تجده عند غيره.

والحق يُقال: إن الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- كان رجلاً متعدد المواهب، غاية في معرفة المسائل العلمية العقدية، لا يقلد أحداً، كما كان سريع الاستحضار لأحكام الشريعة، محيطاً بالكثير من أدلتها، عالماً بقواعدها وأصولها.

وفي بحث «العرش والكرسي وما يتعلّق بهما» والذي يتلو هذه الصفحة برهان ساطع على ما ذكرته، وهذا البحث وإن كان منتزعاً من العقيدة الطحاوية مع شرحها إلا أن جمال العرض، وروعة الأسلوب، وتسلسل المسائل، وغزارة الأدلة ودقة النقل، كل ذلك جعل منه بحثاً متميزاً جديراً بالتأمل والمطالعة.



«بحث العرش والكرسي ومايتعلّق بهما»

العرش والكرسي كلاهما حق، وللعرش حملة من الملائكة يحملونه فوقهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[2]. وقد ميز الله العرش بنسبته إليه، وخصه باستوائه عليه، قال تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾[5]، وقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[6]، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[7]، وقال في أكثر من آية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فدل ذلك على وجوده وامتيازه واستواء الله عليه، كما دلت الآية الثانية على وجود الكرسي.

واختلف في صفة العرش وموقعه من المخلوقات، فقيل: إن العرش

(١) سورة غافر: الآية (٧).
(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).
(٣) سورة الحاقة: الآية (١٧).
(٤) سورة البروج: الآية (١٥).
(٥) سورة غافر: الآية (١٥).
(٦) سورة المؤمنون: الآية (١١٦).
(٧) سورة طه: الآية (٥).

مثل القبة فوق المخلوقات، واستدل لهذا بما رواه أبو داود وغيره في حديث الأطيط من قوله ﷺ: «إن عرشه على سماواته لهكذا، وقال بأصابعه، مثل القبة»[١] أي أشار بأصابعه إشارةً تدل على أن العرش يشبه القبة، لكن هذا حديث ضعيف الإسناد، واستدل لذلك أيضاً بما رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «إذا سألتم الله فسألوه الفردوس، فإنَّه أوسطُ الجنَّة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن». لكن هذا لا يدل على أنَّ العرش كالقبة فوق السماوات من جانب واحد، فإن السماوات محيطة بالأرض، ومع ذلك فهي كالقبة بالنسبة لكل جماعة على سطح الأرض من الجهة التي تليهم.

وقيل: إن العرش فلك مستدير محيط بالعالم من كل جهة، وربما سمَّاه أصحاب هذا القول الفلك الأطلس أو الفلك التاسع، ورُد هّذا بأن للعرش قوائم تحمله الملائكة، لما ورد في حديث بيان النبي ﷺ فضل موسى عليه الصلاة والسلام من قوله ﷺ: «فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقه الطور»[٢] فالظاهر أنه كسقف أقيم على قوائم، وأن الملائكة تحمله من هذه القوائم، وأيضاً العرش في اللغة: السرير الذي أُعدَّ للملك ليجلس عليه، ولا تفهم منه العرب إلا ذلك، وقد نزل القرآن بلغة العرب وإذن ليس العرش فلكاً مستديراً، بل هو كالقبة على العالم وسقفٌ للمخلوقات، وقد استُشهد لكونه سريراً بشعر أميَّة ابن أبي الصلت:

---

(١) قال الشيخ ناصر الألباني في تعليقه على الطحاوية (ص٣١٠): ضعيف الإسناد، ولا يصح في أطيط العرش حديث.

(٢) حديث متفق عليه على صحته.

مجِّدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء العالي الذي بهر النا س وسوَّى فوق السماء سريرا

واستشهدوا لذلك أيضاً بما ذكره ابن عبدالبر وغيره من الأئمة، من أنَّ عبدالله بن رواحة عرَّض لامرأته بشعر عن القراءة حينما اتهمته بجاريته ليوهمها به أنه قرآن، وأنه ليس بجنب، قال:

شهدتُ بأنّ وعدَ الله حق وأنّ النار مثوى الكافرينا
وأنّ العرشَ فوق الماء طاف وفوقَ العرش ربُّ العالمينا
وتحمله ملائكةٌ شداد ملائكة الإلهِ مُسوِّمينا[1]

وتأول جماعة العرش فقالوا: إنَّه عبارة عن المُلْك، وهذا تحريفٌ لكلام الله وإخراجٌ له عن المعنى المتبادر منه بلا دليل، فإنَّه يبعد أن يُقال في تفسير الآيات السابقة ويحمل مُلك ربك فوقهم يومئذ ثمانية، وأن يكون معنى «وكان عرشه على الماء» وكان ملكه على الماء، ويكون معنى أخذ موسى بقائمة من قوائم العرش أخذه بقائمة من قوائم المُلْك، فكان تفسير العرش بالملك باطلاً.

أما الكرسي فقيل: إنه موضع القدمين. وأنه بين يدي العرش كالمرقاة إليه، فهو غير العرش لقول أبي ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أُلقِيَت بين ظهراني فلاة من الأرض»، ولقول ابن عباس: الكرسي

---

(١) قصة عبد الله بن رواحة مع امرأته، ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٣٨/١) والدارمي في الرد على الجهمية، وأعلّها الذهبي في (العلو) بالانقطاع، وقال النووي في المجموع (١٦٣/٢): إسناد هذه القصة ضعيف ومنقطع، وقال صاحب النهج السديد: وفي المتن نكارة واضحة.

موضع القدمين، والعرش لايقدر قدره إلا الله، وقيل: إن الكرسي هو العرش، ويرده ما تقدم عن ابن عباس، وفُسِّر الكرسي بالعلم، ونُسِب هذا إلى ابن عباس، ولكن المحفوظ عنه التفسير الأول.

هذا والسكوت عن الكلام في العرش وأنه كالقبة أو فلك مستدير محيط بالكائنات خير من الخوض في ذلك، وكذا ترك التعمق في كون العرش هو الكرسي أو خلافه خير من الجدل وكثرة الحديث فيه، فإن الخوض في ذلك والتعمق فيه من شَرَه الفكر، واستشراف العقل إلى إدراك أمر غيبي لا يُعلم إلا بالتوقيف، فينبغي الوقوف عند النقل.

ويجب أن يُعلم أن استواء الله على العرش ليس لحاجته إليه، ولا يكون العرش حاملاً له، فإن السماء فوق الأرض ومحيطة بها، ولم يلزم أن تكون السماء في قيامها وتماسكها محتاجة إلى الأرض، ولا أن تكون الأرض حاملة لها، فالله مستوٍ على عرشه، وهو مستغنٍ عنه وعما فيه من الكائنات وهو فوق عباده حقيقة، محيط بهم إحاطة تليق بجلاله لا كإحاطة الفَلَك بما فيه من الكائنات، والجميع قائم بحوله وقوته إبتداءً ودواماً، محفوظ بعنايته ورعايته، جلت قدرته، وتعالت عظمته علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1]. وقال: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾[3].

---

(١) سورة فاطر، الآية (١٥).

(٢) سورة العنكبوت، الآية (٦).

(٣) سورة النساء، الآية (١٢٦).

وقـــــال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾[1].. وقـــــال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾[2].

وهذا هو مذهب السلف في صفة الاستواء، وعلُّو الله على عرشه حقيقة مع التفويض في الكيفية، فقد سُئِل مالك بن أنس رضي الله عنه كيف استوى الله على العرش، فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب[3]، وذكر ذلك حسان بن ثابت في شعره، قال:

شـــهـدتُ بـإذن الله أنَّ محمـداً   رسول الذي فوق السماوات مَن علُ
وأنَّ أبـــا يحيـــى كـــلاهما   لـه عـمـل مـن ربـه مُـتـقـبـلُ

يريد النبيَّيْن يحيى بن زكريا وأباه زكريا، وسأل مطيع البلخي أبا حنيفة عمَّن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقال: قد كفر، لأن الله يـقـول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.، وعـرشـه فـوق سـبـع سماوات، قلت فإن قال: إنَّه على العرش ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض قال: هو كافر، لأنَّه أنكر أنَّه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر وفي بعض الروايات عنه زيادة «لأن الله في أعلى علِّيين، وهو يُدعى مِنْ أعلى لا من أسفل ومن أنكر نقل هذا عن أبي حنيفة فهو ممن انتسب إلى مذهبه الفقهي مع مخالفته له في بعض مسائل الاعتقاد كالمعتزلة».

---

(١) سورة فصلت: الآية (٥٤).

(٢) سورة البروج: الآيتان (١٩ ـ ٢٠).

(٣) ويروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ولا يصح والصواب أنَّه موقوف على مالك ـ رحمه الله ـ.

وشهدت العقول السليمة، والفطر المستقيمة على علو الله على خلْقه وكونه فوق عباده، كما صرَّحت بذلك نصوص الكتاب والسُّنة المتنوعة المحكمة، فمن ذلك التصريح بالفوقية مقروناً تارة بحرف (من) المعينة لفوقيته تعالى بنفسه، ومجرداً منها تارة أخرى، قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]،. وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[2]، ومنها التصريح بالعروج إليه، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[3].

وقال ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي، فيقولون تركناهم وهم يصلون[4]، وأتيناهم وهم يصلون»، ومنها التصريح بصعود العمل الصالح إليه، ويرفعه بعض المخلوقات إليه، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[5]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[6]، وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[7].

وكذا عروج النبي محمد مع جبريل عليهما الصلاة والسلام إلى السماوات ليلة الإسراء والمعراج، وإخبار النبي ﷺ أنه تردد بين موسى

(١) سورة النحل: الآية (٥٠).
(٢) سورة الأنعام: الآية (١٨).
(٣) سورة المعارج: الآية (٤).
(٤) البخاري (الفتح ٢/٥٥٥) واللفظ له ومسلم (٦٣٢).
(٥) سورة فاطر: الآية (١٠).
(٦) سورة النساء: الآية (١٥٨).
(٧) سورة آل عمران: الآية (٥٥).

وبين ربه تلك الليلة بشأن تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عليه الصلاة والسلام عدة مرات[1]، ومنها التصريح بالعلو المطلق الدال على إثبات جميع مراتب العلو، علو الذات والقدر والشرف[2].

قال تعالى في آية الكرسي: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[3]، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[4].، وقال: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾[5]. ومنها التصريح في كثير من الآيات بنزول القرآن منه- وتنزيله إلى الأرض يقتضي أنه فوق عباده، قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[6]، وقال: ﴿تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[7]

وقال: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾[8]، ومنها التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾[9]، وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾[10] ففرّق سبحانه بيّن من له

---

(١) معراج النبي ﷺ ثابت بالأحاديث الصحيحة ومنها حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه والذي رواه البخاري ومسلم.

(٢) فالعلو مطلقاً ثابت له سبحانه، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).

(٤) سورة سبأ: الآية (٢٣).

(٥) سورة الشورى: الآية (٥١).

(٦) سورة غافر: الآية (٢).

(٧) سورة فصلت: الآية (٢).

(٨) سورة النحل: الآية (١٠٢).

(٩) سورة الأعراف: الآية (٢٠٦).

(١٠) سورة الأنبياء: الآية (١٩).

عموماً وبين مَنْ عنده مَنْ ملائكته وعبيده خصوصاً، وقد بين النبي ﷺ أن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش كتب فيه «رحمتي سبقت غضبي»[1]، ومنها التصريح بأنه تعالى في السماء قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾[2]. وبيان ذلك أن «في» بمعنى على.

وتقدير المعنى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن﴾ على السماء، أو «في» على حقيقتها، والسماء معناها العلو، وتقدير المعنى «أأمنتم من في العلو...» لايجوز في معنى هذا النص إلاّ هذان الوجهان، ومنها التصريح بأنه مستو على العرش خاصة مع التعدية بعلى وذكر «ثم» في الأكثر، وهي دالة على الترتيب والمهلة فلا يتأتى مع ذلك تأويل استوائه على العرش بالقدرة أو الاستيلاء عليه، ومنها التصريح بمشروعية رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء فقد رفع النبي ﷺ يديه إلى السماء وهو يدعو في الاستسقاء وغيره وثبت عنه أنه قال: «إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً» أخرجه الحاكم وغيره[3].

ومنها أشار ﷺ إشارة حسية إلى جهة السماء وهو يخطب الناس في حجة الوداع يوم عيد الأضحى حينما قال في خطبته: «أنتم مسؤولون عني، فماذا أنتم قائلون». قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحتَ. فرفع إصبعه الكريمة إلى السماء[4]، مشيراً بذلك إلى

(١) حديث صحيح، وبعض ألفاظه عند الشيخين البخاري (الفتح ٦/٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١)، وهو مخرّج في الصحيحة للألباني (١٦٢٩)، وفي السُّنة لابن أبي عاصم (٨١٠، ٨١١).

(٢) سورة الملك: الآيتان (١٦، ١٧).

(٣) حديث صحيح أخرجه الحاكم وغيره.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

أن الله فوقها وفوق كل شيء، ومنها سؤاله الجارية بلفظ صريح في ذلك حيث قال لها: «أين الله؟» وشهادته لها بالإيمان حينما أجابته بأن الله في السماء وشهدت له بالرسالة، فقال لسيِّدها: «أعتقها فإنها مؤمنة»، فهذا السؤال والإقرار والحكم بإيمان الجارية منه ﷺ وهو أعلم الخلق بربه، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بياناً عنه للمعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلاً بوجهٍ مِنْ الوجوه، دليل على أن الله فوق السماء وأنّه فوق كلِّ شيء بنفسه، والأدلة المتعلقة بعلوِّ الله على خلقه كثيرة متنوعة، يؤيد بعضها بعضاً، فمن رام أن يتأولها[1] فقد رام باطلا، ومن سلك طريق التأويل لهذه النصوص فتح على نفسه باب شر لا يمكنه إغلاقه فإنه يُسلِّط على نفسه بذلك الباطنية الذين يتأولون نصوص الصلاة والزكاة والصيام وسائر فرائض الإسلام، وبهذا يعود الشرع كله مؤولاً.

ومع هذا فقد تأوّل كثيرٌ مِنْ المتأخرين الفوقية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ بأنه تعالى خير من عباده، وأنه خيرٌ من العرش وأفضل منه وهو كما ترى تأويل بعيد تنفر منه العقول الرشيدة وتأباه الفطر السليمة، فإنَّه لا تمجيد لله في ذلك ولا تعظيم له، بل هو تأويل سمج مرذول فإنه يشبه قول القائل الجبل أثقل من الحصى، ورسول الله أفضل من اليهود والجوهر فوق قشر البصل أو قشر السمك ونحو ذلك ممَّا التفاوت فيه عظيم، ولا شك أن التفاوت بين الله وبين عباده أعظم، ولو أن هذا المتأول أثبت الفوقية مطلقاً، فوقية الذات، وفوقية القهر والغلبة، وفوقية القدر والمنزلة لكان ذلك صواباً، لاتفاقه مع نصوص

---

(١) هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ لدليل يقترن به مع قرينة مانعة من المعنى الحقيقي، وهذا هو معنى التأويل عند المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين، وانظر العقيدة الطحاوية (٢٣٥).

الكتاب والسُّنة مع عدم المحذور، أما أن يخص بتأويله نوعاً منها بلا دليل فذلك باطل. وقد يعبر بالخيرية بين الله وبين بعض خلقه إذا اقتضى المقام ذلك، كمقام الاحتجاج على من أشرك مع الله غيره، ودعوته إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] وقال حكاية لمقالة يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن، ودعوته إياهما إلى التوحيد ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[2].

وقد دلَّت الأدلة العقلية على ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسُّنة من أن الله بائن من خلقه وأنه فوق عباده بنفسه، وبيانه أن وجود الله إما أن يكون ذهنياً فقط، وأما أن يكون في خارج الأذهان، الأول: ممنوع بإجماع. وإذا تعين أن يكون وجوده خارج الأذهان، فإما أن يكون عين العالم أو صفة قائمة بالعالم وإما ألا يكون عين العالم ولا غيره واما أن يكون قائماً بنفسه بائناً مِنْ خلقه، وكل من الأول والثاني ممنوع فتعيَّن أن يكون الله موجوداً قائماً بنفسه بائناً مِنْ خلْقه.

١- الاستدلال بالفِطْرة على أنَّ الله فوق عباده:

وإذا ثبت ذلك كان سبحانه فوق عباده، مستوياً على عرشه، لأن السفول صفة ذم لا تتضمن مدحاً ولا ثناءً ولا يليق بالله، والعلو صفة مدح وثناءٍ وكمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصاً، ولا يوجب محذوراً، ولا يُخالف كتاباً ولا سُنة ولا إجماعاً، بل النصوص وإجماع السلف تثبت

---

(١) سورة النمل: الآية (٥٩).

(٢) سورة يوسف: الآية (٣٩).

ذلك وتقتضيه فوجب اعتقاده، وإنكار التأويل وصرف النصوص عن ظواهرها، لكونه عين الباطل الذي لا تأتي به الشريعة، ولا يراه عقل سليم، فإن قيل: إنَّ أكثر العقلاء يتأولون نصوص الاستواء والعلو والفوقية بالاستيلاء والقهر والغلبة، وبعلو القدر والمنزلة، وبالخيريَّة وكمال الفضل، فكان تأويلهم مقتضى العقل، إذ يبعد أن يرمى جمهور العلماء بالجهل والسفاهة وتحريف النصوص الصحيحة عن مواضعها، ولايكون لهم وجه يعتمدون عليه فيما ذهبوا إليه. قيل: ليس الأمر كما زعم، فإن الذين يصرحون بأن خالق العالم شيء موجود خارج الأذهان لكنه ليس فوق العالم وأنه ليس مبايناً للعالم ولا داخلاً فيه طائفة من النظار، وأول من ابتدع ذلك في الإسلام الجعد بن درهم[1]، وتبعه في التحريف[2] والتعطيل[3] الجهم بن صفوان[4] فقام هو وأتباعه بنشر هذه البدعة بين الناس، وهم مسبوقون بإجماع الصحابة والتابعين وأئمة التفسير والفقه والحديث على إجراء النصوص كما جاءت وإمرارها على ظواهرها إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[5]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[6].

---

(١) وهو أوّل من قال بالتعطيل، وأصل هذه المقالة إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وكان الجعد فيما قيل من أرض حرّان، وكان فيها خلق كثير من الصابئة والفلاسفة وقد مات مقتولًا، قتله خالد بن عبد الله القسري.

(٢) التحريف: هو التغيير والتبديل وهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها.

(٣) التعطيل لغة: الخلو والفراغ، والمراد به نفي صفات الله وإنكار قيامها به سبحانه.

(٤) هو الجهم بن صفوان رأس الجهمية، قال الذهبي: لم يزرع خيراً قط وإنما زرع شراً عظيماً وقد مات مقتولًا، قتله مسلم بن أحوز أمير خراسان.

(٥) سورة الإخلاص: الآيات (١ ـ ٣).

(٦) سورة الشورى: الآية (١١).

وقد شهدتْ بذلك الفطر السليمة أيضاً، فإن الخَلْق جميعاً يرفعون أكفهم إلى السماء عند الدعاء بمقتضى فطرهم وبدافع قوي من طباعهم التي لم يداخلها إلحاد ولم ينحرف بها عن جادة الحق تمويه ولا تلبيس، ويتصدون جهة العلو بقلوب كلها خشوع وضراعة إلى الله راجين أن يتقبل أعمالهم، ويستجيب دعاءهم، ويسبغ عليهم نعمه، ويعمهم بفضله وإحسانه.

وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي، أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان، فقال الشيخ أبو جعفر أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ما قال عارف قط: يا ألله إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو، لايلتفت يمنة ولا يُسرة، فكيف تدفع بهذه الضرورة عن أنفسنا، قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل. وأظنه قال: وبكى، وقال: حيّرني الهمداني حيَّرني، وكأن الشيخ أبا جعفر أراد أن هذا أمْرٌ فِطري، فَطَر اللهُ عليه عباده من غير أن يتلقوه عن المرسلين، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يدفعهم للتوجه إلى الله وطلبه في العلو.

فإن قيل: إن رفع الأيدي إلى السماء، وتوجه القلوب إلى جهة العلو إنما كان من أجل أن السماء قِبلة الدعاء، كما أن الكعبة قِبلة الصلاة، لا لأن الله في السماء فوق عباده، ثم منقوض بشرع السجود، ووضع الجبهة على الأرض مع أن الله ليس في وجهة الأرض.

أجيب أولاً: بمنع أن تكون السماء قبلة الدعاء، فإن كون الشيء قبلة لايعرف إلا من طريق الشرع ولم يثبت في جعل السماء قبلة للدعاء

كتاب ولا سُنَّة، ولا قال به أحد مِن سلف الأمة وهو لا يخفى على جميعهم مثل هذا الأمر.

وثانياً: ثبت أن الكعبة قبلة الدعاء كما أنها قبلة الصلاة، فقد كان النبي ﷺ يستقبل الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة فمن ادعى أن للدعاء قبلة سوى الكعبة أو ادعى أنَّ السماء قبلته كما أن الكعبة قِبلةً له فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين.

وثالثاً: أنَّ القبلة ما يستقبله العابد بوجهه كما يستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح ودفن الميت ونحو ذلك مما يُطلب فيه استقبال القبلة، ولذا سُميت القِبلة وجهةً لاستقبالها بالوجه، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجِّه الدَّاعي وجهه إليها لكنه لم يُشرع بل نُهِي عنه، وإنما شُرِع رفع اليدين، ورفع اليدين إلى السماء حين الدعاء لايُسمَّى استقبالاً لها شرعاً ولا لغة، لا حقيقة ولا مجازاً.

ورابعاً: أن الأمر باستقبال القِبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كالأمر باستقبال بيت المقدس في الصلاة نُسِخَ بالأمر باستقبال الكعبة، ورفع الأيدي إلى السماء في الدعاء والتوجه بالقلب إلى جهة العلو أمر فطري مركوز في طبائع الناس لم يتغير في جاهلية ولا إسلام، يضطر إليه الداعي عند الشدة والكرب مسلماً كان أم كافرا.

وخامساً: أن من استقبل الكعبة لايقع في قلبه أنَّ الله هناك جهة الكعبة، بخلاف الداعي فإنَّه يرفع يديه إلى ربه وخالقه وولي نعمته، يرجو أن تنزل عليه الرحمات من عنده، وأجيب عن نقضهم الاستدلال بالفطرة على أن الله فوق خلقه بما ذكروه من السجود ووضع الجبهة على الأرض بأنه باطل، فإن واضع الجبهة على الأرض في السجود إنما

قصده الخضوع لله، وإعلان كمال ذل العبودية من الساجد لربه ومالك أمره لا لأنه يعتقد أنه تحته فيهوي إليه ساجدًا، فإن هذا لايخطر للساجد ببال. بل ينزِّه ربه عن ذلك، ولهذا شُرع له أن يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى». تعالى الله عن الظنون الكاذبة علواً كبيراً.

سادساً: الإنصاف والتجرد عند عرض الآراء ومناقشة الأدلة والرد على الخصوم مع عدم الانتصار للرأي وإن كان صواباً.

إن الواقف على سيرة وحياة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- يدرك تماماً أنَّه كان رجلاً قوي الشخصية، متميز التفكير، مستقل الرأي، لا يعوِّل إلا على الدليل، ولا ينتصر إلا له ولا يتنقص آراء الآخرين. بل على العكس كان يقَدِّر الرأي الآخر وإن كان مخالفاً لرأيه.

يؤكد هذا أحد كبار طلبة الشيخ[1] قائلاً: اختلفت يوماً مع شيخي فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي في مسألة، وكان الشيخ مشرفاً عليَّ في مرحلة الماجستير بالمعهد العالي للقضاء، وكان في نفس الوقت مديراً للمعهد، فقلت له: إذا كنت ستتمسك برأيك في هذه المسألة عند مناقشة رسالتي وتعتبر رأيي خطأً تؤاخذني عليه فسآخذ برأيك بصفة مؤقتة حتى ينتهي أمر مناقشة هذه الرسالة ثم أعود إلى رأيي المخالف لرأيك.

فما كان من الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- إلا أن قال لي: يا عبد الله أنا أحترم الرأي العلمي وإن كنت لا أراه ما دام مبنياً على

---

(١) هو فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان المنيع.

اجتهاد فيما يجوز فيه الاجتهاد، وإني لا أعتقد العصمة في الإصابة لنفسي ولا الخطأ لمخالفي، وعليك أن تجتهد في الاستزادة من تبرير رأيك المخالف، وسأعتبر تمسكك برأيك منقبة علمية أكافؤك عليها.

وفضلاً عن ذلك فإن من يقرأ للشيخ عبد الرزاق يلحظ إنصاف الشيخ وتجرده عند عرض الآراء ومناقشة الأقوال والترجيح بينها، ومن قرأ مقدمة «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي يدرك صواب ما قلته.

إن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- من العلماء الذين عرفوا بالإنصاف والتجرد، لا يخضع لغير سلطان الحق والعلم مع أدب رفيع وفهم دقيق.

سابعاً: الالتزام بالنصوص الشرعية، وإقامة الحجج العقلية والأدلة النقلية عند عرض قضايا العقيدة وطرق الدعوة ووسائلها:

كتب الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- في مقال له بعنوان «وجوب تقديم المنقول على المعقول» ما نصُّه: لقد أنزل الله القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان، وأوحي إليه من الأحاديث ما فيه بيان لما أُجمل في القرآن، وتفصيل لقواعده، وشرح العقائد والشرائع، فضلاً من الله ورحمة والله عليم حكيم.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فوجب تصديق ما جاء في كتاب الله، وما صحَّ من الأحاديث عن

---

(١) سورة النحل: الآية (٤٤).

رسول الله ﷺ وتحكيمها في كل شأن، والرضا والتسليم لحكمها دون حرج أو ضيق في الصدر تحقيقاً للإيمان، وتطهيراً للقلوب من درن الشرك والنفاق.

ولم يغفل الشيخ -رحمه الله- في كتاباته وإملاءاته جانب العقل وأهمية إقامة الحجج العقلية التي ترشد إلى معرفة الله والدعوة إلى التوحيد، موضحاً أن هذا هو مسلك الرسل في الدعوة إلى الله ومعرفة الحق فيقول: لقد بدأت الرُّسل دعوتها بالتوحيد، وإثبات الرسالة والجزاء يوم المعاد، فجرت على موجب العقل ومقتضى الفطرة، وقد سلكت في إثبات وجود الله وتوحيده وصدقهم في دعوى الرسالة وخبرهم عن اليوم الآخر، مسلك الاقناع بالحجة والبرهان، وضرب الأمثال، وجمعت في ذلك بين مناجاة العقل والتأثير على العاطفة والتذكير بما جبلت عليه النفوس، وفُطر عليه الخلق من الإقرار بالحق والميل إلى العدل مع لين الجانب والرفق في الخطاب والصفح الجميل في غير ذلة نفس ولا مواربة أو مداهنة في الحق.

وفي موضع آخر يشير الشيخ إلى أن مسلك الإقناع بالحجة والبرهان، هو أيسر الطرق في الدعوة إلى التوحيد وأقربها إلى معرفة الحق فيقول:

وقد أرشد الله الناس إلى أيسر الطرق في الدعوة إلى التوحيد وأسهلها، وأقربها إلى معرفة الحق وأعدلها. وهو الاستدلال بآيات الله وسُننه الكونية وتفرده سبحانه بتصريفها وتدبيرها على تفرده بالإلهية واستحقاقه أن يُعبد وحده لاشريك له، فذلك أهدى سبيلاً وأقوم دليلا، وأقوى في إقناع الخصم وإلزامه الحجة، فإنه مقتضى العقل الصريح وموجب الفطرة السليمة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1].

فرتب سبحانه نهيه إياهم عن اتخاذهم شركاء له في العبادة على علمهم وإقرارهم بأنه تعالى وحده هو الذي خلقهم وخلق الذين من قبلهم، وهو الذي جعل الأرض قراراً وذلّلها لهم ليمشوا في جوانبها وليبتغوا من فضله، ورفع السماء بلا عمد وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم، لينعموا بما آتاهم من النعم، وليتمتعوا بما أفاض عليهم من الخيرات لعلهم يتقون ربهم وولي نعمتهم فيعبدوه وحده لا شريك له مخلصين له الدين، شكراً له على ما أسبغ عليهم من نِعَمه وأفاض عليهم من بركاته.

وفي القرآن كثير من النظائر لهاتين الآيتين في بيان أسلوب الدعوة ورسم الطريق الناجحة في إقامة الحُجّة وإلزام الخصم.

لقد سلك الأنبياء والمرسلون هذه الطريقة في دعوتهم أممهم إلى الهدى ودين الحق، إهتداء بهدي الله واسترشاداً بإرشاده وهو العليم الحكيم، ومن أبرزهم في ذلك أولو العزم من الرسل، ومنهم إبراهيم الخليل (عليهم الصلاة والسلام).

أرسل الله جل شأنه خليله إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) إلى قوم من الفرس عتاة جبارين يعبدون التماثيل فأنكر عليهم عكوفهم لها

---

(١) سورة البقرة: الآيتان (٢١، ٢٢).

وتقربهم إليها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[1].

ولما لم يكن لديهم حجة يعتمدون عليها في عبادتهم الأصنام تعللوا لباطلهم بما وجدوا عليه آباءهم من التقرب إلى التماثيل وعبادتهم إياها فألغوا عقولهم وقلدوا آباءهم على غير هدى وبصيرة: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾[2].

فسفَّه إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) أحلامهم، وحكم عليهم وعلى آبائهم بالحيرة والضلال المبين ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3] وبيَّن لهم أن التماثيل لا تسمع النداء، ولا تستجيب الدعاء ولا تملك نفعاً، ولا توقع ضراً فلا يليق بعاقل أن يتخذها آلهة مع من فطر السماوات والأرض، وإليه مقاليد الأمور، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويضر من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[4].

فلما ركبوا رؤوسهم، وأبوا إلا اللجاج والعناد، والعصبية الممقوتة في تقليد الآباء والأجداد، أعلن براءته منهم، وشدة عداوته لهم ولما يعبدون من دون الله:

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (٥١، ٥٢).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٥٣).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٥٤).

(٤) سورة الشعراء: الآيات (٧٢ ـ ٧٤).

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[1].

وجد إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) أنه لابد له من سلوك طريق آخر عملي في إقامة الحجة ليكون أقوى في الإبانة عن الحق، وأملك في إلزام الخصم، يضطرهم به إلى الاعتراف بما هم فيه من ضلال وظلم وانحراف، فأقسم بالله أن يكيد لأصنامهم وهم عنها غائبون، انتهز فرصة خروجهم من البلد لبعض شأنهم، وذهب إلى آلهتهم خفية لئلا يراه أحد فيصده عن تنفيذ ما أراد، فجعلهم قطعاً صغاراً إلا كبيراً لهم تركه سالماً، ليكون له ولهم معه شأن عند التحقيق فيما جرى على أصنامهم، فلما عادوا إلى منازلهم وشاهدوا ما أصيبت به آلهتهم:

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[2].

فلما حضر مجلسهم أخذوا يقررونه بما صنع بآلهتهم: ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[3] فأجابهم بنسبة ماحدث إلى من لا يتأتى منه، نسبة إلى كبير التماثيل وهو -كما يعلم ويعلمون- جماد لا حراك به، ذلك ليرشدهم إلى مكان الخطأ في عكوفهم على التماثيل،

---

(١) سورة الشعراء: الآيات (٧٥ - ٨٢).

(٢) سورة الأنبياء: الآيات (٥٩ - ٦١).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٦٢).

عبادة لها وتقرباً إليها ويصرفهم عنها إلى عبادة الله وحده لاشريك له، ويوحي إليهم بأنه هو الذي كاد لأصنامهم وأنزل بهم مايكرهون، وقد أكد ذلك بأمره إياهم أن يسألوا التماثيل عمن أصابهم بالتكسير والتحطيم إن كانوا يحيرون جوابا ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[1].

وقد نجحت هذه الطريقة إلى حد ما، وأوجدت فيهم وعياً، فثابوا إلى رشدهم وما كان في أصل فطرتهم واعترفوا بأنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بعبادتهم تماثيل لاتملك لنفسها نفعاً ولا تدفع عنها بأساً، وظلموا إبراهيم (عليه السلام) بصدهم عن دعوته، وإعراضهم عما جاءهم به من الآيات البينات على التوحيد وإخلاص العبادة لله ربِّ العالمين، لكنهم لم يلبثوا أن ركبوا رؤوسهم ونكصوا على أعقابهم وارتكسوا في حمأة الضلال والحيرة عصبية لما ورثوه عن آبائهم من الشرك والبهتان المبين.

قال الله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾[2] لقد ازداد طريق الحق وضوحاً وبياناً، واستحكمت حلقات الحجة لإبراهيم على أبيه وقومه، وحق له أن يضيق ذرعاً من صدودهم وأن يتأفف ضجراً من طغيانهم وشركهم، وأن ينكر عليهم ذلك إنكاراً صارخاً، ويرميهم بالخبال وإلغاء العقول، ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٦٣).

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان (٦٤ ـ ٦٥).

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان (٦٦ ـ ٦٧).

لقد أخذت الحمية الجاهلية للباطل من نفوس قوم إبراهيم (عليه السلام) مأخذها، وتمكنت منهم العصبية لطاغوت التقليد للآباء فيما أصيبوا به من الشرك والانحراف عن الحق حتى ملكت مشاعرهم ووجهت عقولهم وأفكارهم إلى شر وجهة، وصرفتهم عن الحق المبين والصراط المستقيم، وزينت لهم أن يتخلصوا من إبراهيم (عليه السلام) وينزلوا به أشد العقاب انتصارًا لآلهتهم الباطلة، وانتقامًا منه جزاء له عما صنع بها من تحطيم وتكسير.

ويعلم الله أنه ما أراد بذلك إلا الخير لهم، وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد. ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾[1].

لكن يأبى الله إلا أن ينصر رسوله وخليله إبراهيم (عليه السلام) وأن يخذل أعداءه وأعداء دينه، ويبطل ماكادوا به لأوليائه فيبوءوا بالخسران المبين، إمضاء لسنته العادلة الحكيمة في أوليائه وأعدائه.

قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[3].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٦٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآيات (٦٩ - ٧٣).

(٣) سورة غافر: الآيتان (٥١ - ٥٢).

وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1].

ثامناً: الاهتمام بتقعيد القواعد التي تبنى عليها الأقوال، وضبط الأصول التي يتفرع منها غيرها مع الإحاطة بمستجدات الواقع وأحداث العصر:

من أبرز سمات الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- التي تحلّى بها أنه كان يملك عقلاً كبيراً، وعلماً غزيراً وشخصية يجللها الوقار، وتكسوها الهيبة، فضلاً عن ذلك فقد كان غاية في معرفة الخلاف، فقهياً مجتهداً لا يقلد أحداً، ميالاً إلى التقعيد وضبط الأصول، مُغرماً بمناقشة الأدلة والترجيح السديد بينها، وهذه في الحقيقة سمة عامة في كتابات الشيخ وقد وضّحت في الفصل الثاني وعلى وجه التحديد في المبحثين الخامس والسادس الدقة العلمية التي تميز بها الشيخ والرغبة الشديدة في تأصيل المسائل وتفصيلها وتصدير كل بحث بمقدمة ينبني عليها ما بعدها، وأمّا علمه بمستجدات الواقع وأحداث العصر. فهو أمر متفق عليه لا يجحده إلا مكابر، ولعل القارئ للفتاوى التي أصدرتها اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في مسائل العقيدة وغيرها من الفتاوى، أكبر شاهد على ما ذكرت من رغبة الشيخ في التقعيد والتأصيل والإيجاز في العبارة مع جزالة اللفظ ووضوح المعنى.

وبعد توضيح وبيان أبرز سمات المنهج العقدي للشيخ، أنتقل إلى الحديث عن عنايته البالغة بالتوحيد:

---

(١) سورة الفتح: الآية (٢٣).

عنايته البالغة بالتوحيد:

التوحيد هو أساس الإسلام، وقوام الدِّين، وهو زبدة الرسالات الإلهية وغايتها، وقطب رحاها وعُمدتها، ترتكز كلُّها عليه، وتستند في وجودها إليه وتتبدئ منه وتنتهي إليه.

قال العلامة ابن القيِّم -رحمه الله- التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه، فأمَّا أعداؤه فينجِّيهم من كُرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1].

وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها. ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عُذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، ولما فزع إليه فرعون، عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق، لم ينفعه، لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل، هذه سُنة الله في عباده، فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كُربه بالتوحيد، فلا يُلقي في الكُرب العظام إلا الشرك، ولا يُنجي منها إلا بالتوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها[2].

لقد كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- من كبار علماء التوحيد، يقرر مسائله ويعرض قضاياه الدقيقة فيه بأسلوب مميَّز واضح. وكان شرحه لكتاب التوحيد للعلامة المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثار إعجاب طلابه الذين شهدوا له بالتمكن والرسوخ في

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٦٥).

(٢) انظر الفوائد لابن القيم (ص٥١).

العلم وبخاصة علم التوحيد، ويؤكد هذا ويدعمه ما كتبه أحد كبار طلبته قائلاً:

لقد عرفتُ الشيخ عبد الرزاق عفيفي أول ما عرفته عام ١٣٦٩هـ عندما تتلمذت عليه في مدرسة دار التوحيد، فتلقَّيت على فضيلته مادة التوحيد، وكان يُدرِّس لنا كتاب «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، فكان في تفسيره للآيات وتقريبه لمعانيها، وشرحه للأحاديث ولأقوال السلف وبيان مطابقتها للترجمة، ودقته في استنباط المعاني من النصوص، وتقريبها لأذهان المتعلِّمين، آية في ذلك، ومثالاً يُحتَذَى، لا سيما في المواءمة بين المعاني الجليلة وبين عقول ومدارك المتلقين من الطلاب، وهم ما بين مبتدئ في المراحل الأولى من التعليم وما بين متوسط، ومن قطع شوطاً لا بأس به في التعليم.

ولقد كان في أثناء ذلك يُولي عناية بالمسائل التي يختم بها المؤلِّف - رحمه الله- كلَّ باب من أبواب كتاب التوحيد، ويُثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب في فقهه للمسائل وغوصه على دقيق المعاني من ظاهر النصوص، مما يضمنه تلك المسائل، وكان ينتهز الفرصة بين الحين والحين فيوصي الطلبة بالعناية بكتب السلف، والاطلاع عليها، والاستفادة من العطلة الصيفية بمواصلة القراءة لا سيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله[1].

ويتحدث فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام عن دعوة الشيخ عبد الرزاق إلى التوحيد وتركيزه على العقيدة فيقول:

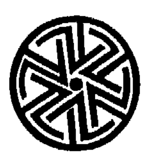
---

(١) انظر الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

فالشيخ -رحمه الله- اتسمت حياته بالعلم وبالعمل والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإحياء السُّنة والتركيز على العقيدة ونبذ البدع والخرافات كل ذلك بأسلوب حسن وهذا مما يبيّن الأولويات في الدعوة إلى الله. فينبغي على الدعاة إلى الله أن يبنوا دعوتهم على الأولويات التي دلّ عليها الدليل من كتاب الله وسُّنة رسوله عليه الصلاة والسلام وقضية العقيدة هي أم القضايا على الإطلاق، وهي أصل القضايا بالاتفاق وهي دعوة الرسل الذين دعوا أقوامهم إلى التوحيد والعقيدة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1].

ويكفي الشيخ في ذلك شرفاً أنه يصير على منهاج النبوة وعلى مشكاة الرسالة وعلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى[2].

وفي الصفحات التالية، نماذج مشرقة من كتاباته في التوحيد وبيان أنواعه، وحاجة الناس إليه.



(١) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).

(٢) انظر الفصل السادس «ثناء العلماء عليه».

أنواع التوحيد

أنواع التوحيد ثلاثة:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الأسماء والصفات. ويقال له أيضاً: توحيد الخبر، وتوحيد المعرفة والإثبات.

٣- توحيد العبادة ويسمى -أيضاً-: توحيد الإلهية، وتوحيد الإرادة والقصد، وتوحيد الطلب.

توحيد الربوبية

- أما توحيد الربوبية: فهو توحيد الله -تعالى- بأفعاله. والإقرار بأنه خالق كل شيء ومليكه، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير.

فهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الذي يرسل الرسل، ويشرع الشرائع، ليحق الحق بكلماته، ويقيم العدل بين عباده شرعاً وقدراً إلى غير ذلك مما لا يحصيه العد، ولا تحيط به العبارة. وهذا النوع من التوحيد قد أقرت به الفطرة، وقام عليه دليل السمع والعقل، ولم يُعرف عن طائفة بعينها القول بوجود خالقين متكافئين في الصفات والأفعال. ومن نقل عنهم من طوائف المشركين نسبة شيء من الآثار والحوادث لغير الله، كقوم هود، حيث قالوا فيما حكاه الله عنهم:

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾[1].

فإن ما نسبوه إلى آلهتهم إنما كان لزعمهم أنها وثيقة الصلة بالله، وأنها شفيعة لمن عبدها، وتقرب إليها بالقرابين عند الله، في جلب النفع له، ودفع الضر عنه.

ومن أجل هذه الشائبة من الشرك في الربوبية نبّه الله سبحانه على بطلانه، وأنكر على من زعمه فقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

فبين -سبحانه- أنه لو كان معه إله يشركه في استحقاقه العبادة لكان له: خلْق، وملك، وقهر، وتدبير. إذ لا يستحق العبادة إلا من كان كذلك، ليرجى خيره ونفعه، فيطاع أمره وينفذ قصده، ويخشى بأسه وبطشه. فلا يعتدى على حدوده، ولا ينتهك حماه، ولو كان له خلق، وتدبير، وملك،وتقدير لعلا على شريكه، وقهره إن قوي على ذلك ليكون له الأمر وحده، ولذهب بخلقه، وتفرد بملكه دون شريكه. إن لم يكن لديه القوة والجبروت ما يفرض به سلطانه على الجميع. فإن من صفات الرب -تعالى- كمال العلو، والكبرياء، والقهر، والجبروت. وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِى الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[3].

---

(١) سورة هود: الآية (٥٤).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان (٩١ - ٩٢).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٤٢).

- إذا كان المعنى المراد لاتخذوا سبيلاً إلى مغالبته. وقيل: المعنى لاتخذوا سبيلاً إلى عبادته، وتأليهه، والقيام بواجب حقه. وابتغوا إلى رضاه سبيلاً. كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[1].

- وقد استخلص بعض العلماء من ذلك دليلاً سموه: دليل التمانع، استدلوا به على توحيد الربوبية. قالوا: لو أمكن أن يكون هناك ربان يخلقان، ويدبران أمر العالم لأمكن أن يختلفا بأن يريد أحدهما وجود شيء، ويريد الآخر عدمه، أو يريد أحدهما حركة شيء، ويريد الآخر سكونه. وعند ذلك إما أن يحصل مراد كل منهما، وهو محال. لما يلزمه من اجتماع النقيضين، وإما أن يحصل مراد واحد منهما دون الآخر فيكون الذي نفذ مراده هو الرب دون الآخر لعجزه، والعاجز لا يصلح أن يكون رباً.

توحيد الأسماء والصفات

- وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو أن يسمَّى الله ويوصف، بما سمَّى ووصف به نفسه، أو سمَّاه، ووصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تأويل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

ومن تبصر في العالم، وعرف شؤونه وأحواله تبين له كمال تعلقه خلقاً وأمراً بأسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، وارتباطه بها أتم ارتباط، وظهر له أن الوجود كله آيات بينات، وشواهد واضحات على أسماء الله وصفاته.

---

(١) الإسراء: الآية (٥٧).

وقد ذكر (ابن القيم) في: «مدارج السالكين» طريقين لإثبات الصفات:

١- الوحي الذي جاء من عند الله تعالى على لسان رسوله ﷺ.

٢- الحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة قال -رحمه الله تعالى- في بيان الطريق الأول:

- فأما الرسالة فإنها جاءت بإثبات الصفات إثباتاً مُفصَّلاً على وجه أزال الشبهة، وكشف الغطاء، وحصل العلم اليقين ورفع الشك المريب، فثلجت له الصدور، واطمأنت به القلوب، واستقر به الإيمان في نصابه. ففصَّلت الرسالة الصفات، والنعوت، والأفعال، أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررت إثباتها أكمل تقرير. فما أبلغ لفظه وأبعده من الإجمال، والاحتمال، وأمنعه من قبول التأويل، ولذلك كان التأويل لآيات الصفات، وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد، وأخباره. بل أبعد منه. لوجوه كثيرة ذكرتها في كتاب: «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة». بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها، كتأويل آيات الأمر والنهي سواء، فالباب كله باب واحد، ومصدره واحد، ومقصده واحد، وهو إثبات حقيقتها، والإيمان بها.

وكذلك سطا على تأويل آيات المعاد قوم. وقالوا: فعلنا فيها، كفعل المتكلمين في آيات الصفات، بل نحن أعذر. فإن اشتمال الكتب الإلهية على الصفات، والعلوم، وقيام الأفعال أعظم من نصوص المعاد للأبدان بكثير، فإذا ما ساغ لهم تأويلها، فكيف يحرم علينا نحن تأويل آيات المعاد!

وكذلك سطا قوم آخرون على تأويل آيات الأمر، والنهي وقالوا: فعلنا فيها، كفعل أولئك في آيات الصفات مع كثرتها، وتنوعها. وآيات

الأحكام لا تبلغ زيادة على خمسمائة آية. قالوا: وما يظن أنه معارض من العقليات لنصوص الصفات، فعندنا معارض عقلي لنصوص المعاد من جنسه، وأقوى منه.

- وقالوا متأولو آيات الأحكام على خلاف حقائقها، وظواهرها، والذي سوغ لنا هذا التأويل القواعد التي اصطلحتموها لنا، وجعلتموها أصلاً نرجع إليه، فلما طردناها كان طردها أن الله ما تكلم بشيء قط، ولا يتكلم، ولا يأمر، ولا ينهى، ولا له صفة تقوم به، ولا يفعل شيئاً.

- وطرد هذا الأصل لزوم تأويل آيات الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والثواب، والعقاب، وقد ذكرنا في كتاب الصواعق أن تأويل آيات الصفات، وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين، وزوال الممالك، وتسليط أعداء الإسلام عليه إنما كان بسبب التأويل. ويعرف هذا من له اطلاع، وخبرة بما جرى في العالم.

ولهذا يُحرِّم عقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم بصحته، لأنه سبب لفساد العالم، وتعطيل للشرائع. ومن تأمل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسُّنة علم قطعاً بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها، فإنها وردت على وجه لا يحتمل التأويل بوجه. فانظر إلى قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[1]. هل يحتمل هذا التقسيم والتنويع تأويل إتيان الرب - جل جلاله- بإتيان ملائكته وآياته؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلاً في أنه إتيانه بنفسه!

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٥٨).

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾، إلى أن قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[1].

ففرق بين الإيحاء العام، والتكليم الخاص، وجعلهما نوعين، ثم أكد فعل التكليم بالمصدر الرافع لتوهم ما يقوله المحرفون. كذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا﴾[2].

فنوّع تكليمه إلى تكليم بواسطة، تكليم بغير واسطة وكذلك قوله لموسى، عليه السلام: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾[3]. ففرّق بين الرسالة والكلام. والرسالة إنما هي بكلامه. وكذلك قول النبي ﷺ: «إنكم ترون ربكم عياناً كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس بينه سحاب وكما ترون الشمس في الظهيرة صحواً ليس دونها سحاب»[4].

ومعلوم أن هذا البيان، والكشف، والاحتراز ينافي إرادة التأويل قطعاً، ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين.

الطريق الثاني: من طرق إثبات الصفات دلالة الصفة عليها، فإن المخلوق يدل على وجود خالقه، وعلى حياته ، وعلى علمه، ومشيئته. فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاماً ضرورياً. فما فيه من

---

(١) النساء الآيتان (١٦٣ ـ ١٦٤).

(٢) سورة الشورى: الآية(٥١).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٤٤).

(٤) رواه البخاري (الفتح ٧٤٣٤/١٣) ومسلم (٦٣٣)، ولفظه عند مسلم: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامُّون في رؤيته..» الحديث.

الإتقان، والإحكام، ووقوعه على أكمل الوجوه يدل على حكمة فاعله وعنايته، وما فيه من الإحسان، والنفع، ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق يدل على رحمة خالقه، وإحسانه، وجوده، وما فيه من آثار الكمال يدل على أن خالقه أكمل منه، فمعطي الكمال أحق بالكمال.

وخالق الأسماع، والأبصار، والنطق أحق أن يكون سميعاً بصيراً متكلماً.

وخالق الحياة، والعلوم، والقدر، والإرادات أحق بأن يكون هو كذلك في نفسه، فما في المخلوقات من أنواع التخصيصات هو من أدل شيء على إرادة الرب -سبحانه- ومشيئته، وحكمته التي اقتضت التخصيص، وحصول الإجابة عقب سؤال الطالب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات، وعلى سمعه لسؤال عبيده، وعلى قدرته على قضاء حوائجهم، وعلى رأفته ورحمته بهم، والإحسان إلى المطيعين، والتقرب إليهم، والإكرام لهم، وإعلاء درجاتهم يدل على محبته ورضاه. وعقوبته للعصاة، والظلمة، وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب. والسخط، والإبعاد، والطرد، والإقصاء يدل على المقت، والبغض.

- فهذه الدلالات من جنس واحد عند التأمل، ولهذا دعا -سبحانه- عباده إلى الاستدلال بذلك على صفاته. فهو يثبت العلم بربوبيته، ووحدانيته، وصفات كماله بآثار صنعته المشهودة، والقرآن مملوء بذلك، فيظهر شاهد اسم الخالق من المخلوق نفسه، وشاهد اسم الرزاق من وجود الرزق والمرزوق، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبثوثة في العالم، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدرار لا ينقطع لحظة

واحدة، واسم الحليم من حلمه على الجناة، والعصاة وعدم معاجلتهم بالجزاء، واسم الغفور، والتواب من مغفرة الذنوب، وقبول التوبة. ويظهر اسم الحكيم من العلم بما في خلقه، وأمره من الحِكَم، والمصالح، ووجود المنافع.

- وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنى له شاهد في خلقه وأمره. يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله. فالخلق، والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته. وكل سليم العقل، والفطرة يعرف قدر الصانع، وحذقه على غيره، وتفرده بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعته فكيف لا تعرف صفاتُ مَنْ هذا العالم العلوي والسفلي، وهذه المخلوقات من بعض صنعه، وإذا اعتبرت المخلوقات، والمأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت، والصفات، وحقائق الأسماء الحسنى، وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عمى، ومكابرة، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة، كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1].

فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب -جل جلاله- ونعوته، وأسماؤه، هي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى، وحقائقها، وتنادي بها وتدل عليها، وتخبر بها بلسان النطق والحال، كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت ما بها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل

تشير بإثبات الصفات لربها ... فصامتها يهدي ومن هو قائل

- فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٢١).

صفات خالقها، ونعوت كماله، وحقائق أسمائه. وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها فهي تدل عقلاً، وحساً، وفطرة، ونظراً، واعتباراً. اهـ[1].

توحيد الإلهية

- وأما توحيد الإلهية: فهو إفراد الله بالعبادة: قولاً وقصداً، وفعلاً، فلا ينذر إلا له، ولا تقرب القرابين إلا إليه ولا يُدعى في السراء والضراء إلا إياه، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، إلى غير ذلك من أنواع العبادة. وهذا النوع هو الذي بُعثتْ به الرسل، وأنزلت به الكتب، وبدأ به كل رسول دعوته، ووقعت فيه الخصومة بينه وبين أمته.

وهو الذي من أجله شرع الجهاد، وقامت الحرب على ساقها بين الموحدين والمشركين.

والطريق الفطري لإثبات توحيد الإلهية الاستدلال عليها بتوحيد الربوبية. فإن قلب الإنسان يتعلق أولاً بمصدر خلقه ومنشأ نفعه وضره، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقربه إليه، وترضيه عنه، وتوثق الصلات بينه وبينه، فتوحيد الربوبية بابٌ لتوحيد الإلهية.

- من أجل ذلك احتج الله على المشركين، وأرشد رسوله إلى هذه الطريقة، وأمره أن يدعو بها قومه، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾[2].

---

(١) انظر مدارج السالكين للعلامة ابن القيم ٦٢/١، ومذكرة التوحيد (ص٣٢ ـ ٣٩).

(٢) سورة المؤمنون: الآيات (٨٤ ـ ٨٩).

- فقد استدل بتفرده بالربوبية، وكمال التصرف، وحمايته ما يريد أن يحميه، على استحقاقه وحده للعبادة، ووجوب إفراده بالإلهية قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[1]. فأخبر بأن البعث آت لا محالة، ونزه نفسه عما زعمه المشركون من الشركاء، ثم استدل -سبحانه- على قدرته على البعث، وتفرده باستحقاقه الإلهية بآياته الكونية، فقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾[2].

إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٨ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ۝١٩ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، إلى أن قال: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4]. فجعل -سبحانه- تفرده بالربوبية خلقاً للحاضرين والسابقين، وتمهيده الأرض، ورفعه السماء بغير عمد يرونها، وإنزاله الأمطار ليحيي بها الأرض بعد موتها. ويخرج بها رزقاً لعباده باباً إلى توحيد الإلهية وآية بينة على استحقاقه وحده العبادة.

---

(١) سورة النحل: الآية (١).

(٢) سورة النحل: الآيتان (٤ ـ ٥).

(٣) سورة النحل: الآيات (١٧ ـ ٢٢).

(٤) سورة البقرة: الآيتان (٢١ ـ ٢٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾[1]. فقررهم -سبحانه- بما لا يسعهم إنكاره، ولا مخلص لهم من الاعتراف به من تفرده بالرزق، والملك، والتدبير، والإحياء والإماتة، والبدء، والإعادة، والإرشاد، والهداية ليقيم به عليهم الحجة في وجوب تقواه دون سواه. وينكر عليهم حكمهم الخاطئ، وشركهم الفاضح، وعكوفهم على من لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولا حياة ولا نشوراً.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

فأنكر -سبحانه- أن يكون معه مَنْ خَلَقَ، ودبر، أو صرَّف وقدَّر، أو يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، أو يوليٍّ، أو يعزل، وينصر، ويخذل، أو ينقذ من الحيرة، ويهدي من الضلالة، أو يبدئ ويعيد، ويبسط الرزق لمن يشاء، ويقدر. إلى غير ذلك مما استأثر الله به.

وهذا مما استقر في فطرتهم، ونطقت به ألسنتهم، وبه قامت الحجة عليهم فيما دعتهم إليه الرسل من توحيد العبادة. وما ذكر من الآيات قليل من كثير.

---

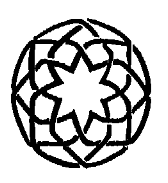
(١) سورة يونس: الآية (٣١).

(٢) سورة النمل الآيات: (٥٩ ـ ٦٤). وتمامها: «أمَّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون، أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلًا ما تذكرون. أمَّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته، أإله مع الله تعالى الله عما يشركون، أمَّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين».

- ومن سلك طريق القرآن في الاستدلال، واهتدى بهدي الأنبياء في الحجاج اطمأنت نفسه، وقوي يقينه، وخصم مناظره (أي انتصر عليه). فإن في ذلك الحجة، والبرهان من جهتين:

الأول: أنه خبر المعصوم.

والثاني: أنه موجب الفطرة، ومقتضى العقل الصحيح.



المبحث الثالث

إمامته في السُّنة وحثُّه على التمسُّك بها

السُّنة في اللغة: الطريقة حسنة كانت أو سيئة، ومنه قوله ﷺ: «من سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها، وأجر من عَمِل بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1].

وقال خالد بن عتبة الهذلي:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها   فأول راضٍ سُنَّة من يسيرها

واصطلاحاً: ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[2].

والسُّنة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، بل هي قطب رحاها، ومصدر شعاعها، وشمس الحقيقة، ومنبع الهداية، وهي السراج الوهاج في ليل داج، فقد كانت البشرية في الجاهلية الأولى تتخبط خبط عشواء، وهي منغمسة في شهواتها، ومنتهية في جهالاتها، ومرتطمة في نزواتها، لا تهتدي سبيلاً، ولا تجد طريقاً حتى مَنَّ الله عليها ببعث نبيِّها الكريم ﷺ

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) انظر قواعد التحديث للقاسمي (ص٣٥ ـ ٣٨)، وحجية السُّنة للسباعي(ص٤٧).

وأنزل عليه كتابه العظيم. ولما كان القرآن الكريم محتوياً للأصول غير مستقص لجميع التفاصيل، وفيه من الإجمال شيء غير قليل، فوّض الله بيانه إلى رسوله الكريم ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فبيّن رسول الله ﷺ أحكامه، ورفع إبهامه، وخصص إطلاقه، وشرح أهدافه.

ومن هنا يظهر جلياً، أنه لا يمكن فهم كتاب الله تعالى والعمل به على مراد الله سبحانه إلا ببيان رسوله النيِّر، وأسوته الحسنة، فمن رام الهداية من غيرهما فقد رام المحال.

ولما كان للسُّنة هذه المنزلة العظيمة، وكان كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قام أعداء الإسلام بالتشكيك في السُّنة وزعزعة الثقة بها، وإثارة الشبهات حولها، ولكن من رحمة الله وتوفيقه أن قيّض لهؤلاء المبتدعة والفرق الضالة، علماء عاملين، نذروا أنفسهم لنصرة الدِّين دعوة وجهاداً، وقاوموا أعداءه جماعات وفرادى، ولم يخشوا في الله لومة لائم، ولم يُبالوا بعداوة من عادى، فقهروا البدع المضلة، واجتثوا شجرة الإلحاد بمعاول السُّنة، وردوا على المبتدعة فبهتوهم بالبراهين القطعية، وصنفوا في رد شُبههم، ودفع باطلهم ودحض حججهم، الكتب المفيدة، ولم تنجم بدعة من الضالين المضلين إلا ويقيِّض الله لها جيشاً من العلماء المخلصين، فحفظ الله عزَّ وجلَّ بعلمهم دينه على العباد، وأخرجهم بهم وبعلمهم من ظلمات الزيغ والضلالة إلى نور الهدى والرشاد.

---

(١) سورة النحل: الآية (٤٤).

ومن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- ولا نزكي على الله أحداً، فقد كان من العلماء الناصحين، والدعاة المصلحين، الذين يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، كيف لا وهو المحب للسُّنة، العاض عليها بنواجذه، الحامل للوائها، المدافع المنافح عنها، الناشر لعلومها، المحيي لما اندرس منها بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب، فلا عجب إذ وُصف بأنَّه إمام في السُّنة وذلك لشدة تمسكه بها والذب عنها، والاعتصام -بعد كتاب الله- بها، وأصدق دليل على ذلك ما كتبه إبَّان رئاسته لجماعة أنصار السُّنة المحمدية بمصر قائلاً:

إن ما ترزح الأمم الإسلامية اليوم من تفرق في الكلمة، وانحراف في الرأي، وضعف في الدفاع، وتأخر إلى الوراء حين يتقدم غيرهم، ليس كل ذلك إلا نتيجة غفلتهم عن تراث السلف الصالح، وسلوكهم لغير خطتهم علماً وعملاً، ولقد راجت شُبه الملحدين من جديد، رواجاً مخيفاً جمد إزاءه المسلمون، ولو أنهم رجعوا إلى أقوال سلفهم الصالح، وسلكوا طريقهم لردوا كيد الكائدين إلى نحورهم، فإنَّه ما من شُبهة تُذاع اليوم، إلا وقد سبق إليها شياطين الملحدين السابقين في العصور الأولى، ووقَّفها وردَّها وأبطلها أجلَّة علماء السلف، ببراعة فائقة، فلا سبيل أرشد من سبيلهم، ولا هذي أقوم مما كانوا عليه.

فالخير كل الخير في العودة إلى كتاب الله تعالى تلاوةً له، وتفقُّهاً فيه، وإلى أحاديث المصطفى، صاحب جوامع الكَلِم ﷺ دراية ورواية، والفُتيا بهذين الأصلين، وعرض أعمال الناس عليهما، فذلك هو الفلاح والرشاد الذي ليس بعده رشاد.

هذا وإن جماعة أنصار السُّنة المحمدية، ممن شعر بهذا منذ زمن بعيد، وعرفتْ مصدره وعلاجه، فبدأت الجماعة تكافح الخرافات، لاسيَّما ما كان متعلِّقاً منها بالعقائد، وترجع بأعضائها وكل من يُشرِّفها إلى سُنَّة النبي ﷺ وطريق السلف الصالح، وتنيرهم بالمعارف النبوية، وتنشئهم على حبِّ الكتاب والسُّنة وتُمرنهم على النزول على حكمها من غير عصبية[1].

وبالجملة فقد كانت عناية الشيخ بالسُّنة بالغة، وقد وصفه كثير من طلابه بأنه صاحب سُنّة ورجل عقيدة. فالعقيدة باعتبارها قاعدة الإطلاق، ومركز الانطلاق،والسُّنة باعتبارها الوحي الثاني، والواجهة التي تتعرض للأهباء والأقذاء، كانتا مناط اهتمام الشيخ -رحمه الله- يركز عليهما، أو يُلمح إليهما، أو يُذكِّر بهما ويمسهما مساساً رفيقاً في شتى حديثه، ويتعرض لهما، لأدنى ملابسة بينهما وبين الموضوع الذي يعالجه[2]، وهذا إن دلّ فإنما يدل على أنه كان من العلماء الذين أسهموا بشكل فعالٍ في نشر السُّنة وإحياء ما اندرس منها، فضلاً عن محاربة أهل البدع والإنكار عليهم، وردِّ شبههم ودحض مزاعمهم الباطلة.

كان -رحمه الله- في جُلِّ مناظراته ينفي عن السُّنة ما عراها من غبرة كما ينفي عنها تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، ولعل محاضرته القيِّمة «شبهات حول السُّنة»[3] أصدق دليل على ما ذكرته، فقد أوضح فيها موقف المسلم الداعية من خصوم السُّنة المنكرين لها قائلاً:

---

(١) انظر العدد الأول من مجلة الهدى النبوي الصادر عام ١٣٥٦هـ.

(٢) انظر كلمة الشيخ بخاري عبده أحمد وكيل جماعة «أنصار السُّنة» بمصر الفصل السادس «ثناء العلماء عليه».

(٣) هي في الأصل محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ـ رحمه الله ـ في مجتمع طلابي، وقد تم تسجيل المحاضرة في حينها، وقد قمت بتفريغ أشرطة المحاضرة القيمة مع حذف العبارات المكررة والجمل المعادة خشية الإطالة ومراعاة لتناسب الفقرات.

المسلم الداعية أو المناظر الذي يثبت حُجيَّة السُّنة، والذي يدفع الشُّبَه عنها يختلف موقفه باختلاف خَصمه أو مَنْ يناظره، فتارة يكون مُنكِراً للسُّنة من أصلها، وينكر جميع ما جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام من الأحاديث قولاً أو عملاً أو خُلُقاً، ينكره ويكتفي بما جاء في القرآن الكريم، موقفه مع هؤلاء أن يثبت لهم حاجة المسلمين في فهمهم للقرآن، وعملهم بالقرآن، أن يثبت حاجتهم في ذلك، إلى السُّنة التي جاء بها النبي ﷺ قولاً وعملاً وصفة، فإذا احتج علينا بالقرآن فقال: إن اللهّ تعالى أغنانا بالقرآن لقوله فيه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]

فالقرآن بيّنٌ واضح ومُبين لكلّ شيء فلا يُحتاج معه إلى سُّنة، فلماذا نتكلف البحث فيها والركون إليها أو الاحتجاج بها، لماذا نتكلف هذا مع أن الله تكفَّل لنا ببيان كل ما نحتاج إليه فى محكم كتابه لقوله ونزلنا عليك الكتاب «وهو القرآن» تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فلا حاجة إلى أن نكلف أنفسنا عناء البحث في سُّنة رسول اللهّ ﷺ لنعمل بما فيها لغنانا بالقرآن عنها ويقول سبحانه في آية أخرى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾[2]. ويريدون بالكتاب القرآن، فيكون المعنى ما فرطنا في القرآن من شيء ففي القرآن كل شيء فلا حاجة إلى السُّنة، وهذا إنكار للسُّنة بجملتها أو إنكار للحاجة إليها وإلى الاحتجاج بها بالجملة، إكتفاءً بما جاء في القرآن بهاتين الآيتين، وقد أجاب العلماء عن الاستدلال بهاتين الآيتين بأجوبة منها:

---

(١) سورة النحل: آية (٨٩).

(٢) سورة الأنعام: آية (٣٨).

أن المراد بقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ المراد به اللوح المحفوظ، والسورة مكية ولم يكن نزل من القرآن إلا قليل، سورة البقرة مدنية، براءة مدنية، النساء مدنية، آل عمران مدنية، كثير من آيات الأحكام والفروع، كثير منها مدني، وما يتصل بالصلاة إنما وضح وتبين وتكامل في المدينة.

وأحكام المعاملات إنما نزلت في القرآن بالمدينة، نزلت أصولها في القرآن، بعد الهجرة، وأحكام الجنايات من قِصاص وديات نزلت في المدينة، والسورة، سورة الأنعام كلها مكيّة على الصحيح أنها جميعاً مكية، قد يكون منها آيات مكية تُشبه الآيات المدنية كآيات الذبح وذكر اسم الله على الذبائح، قد يكون مثل هذا نزل بالمدينة، لكن الغالب عليها أنها مكيّة، فكيف يكون في الكتاب الذي هو القرآن بيان كل شيء في الوقت الذي نزلت فيه هذه الآية، مع أن تلكم الأحكام إنما نزلت أصولها بالمدينة لا في مكة. ثم عدد الصلوات وتحديد أوقاتها، وعدد ركعاتها، وسائر كيفياتها لم تُعرف من القرآن، إنما عُرِفتْ من السُّنة.

وأحكام الزكاة من جهة النصاب ومن جهة المستحقين لم تكن عُرفت في مكة، بل لم تكن فريضة الزكاة شُرعت في مكة إنما الذي شُرع الصدقات العامة، وفرْض الزكاة وجبايتها إنما كان في المدينة وبيان المستحقين للزكاة إنّما نزل في المدينة في سورة التوبة ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾[1] إلى آخر الآية التي فيها الأصناف الثمانية ثم النصاب، نصاب الزكاة ليس محدداً في القرآن وكذا شرطها وهو حلول الحول ليس محدداً في القرآن ولا مُبَّيناً فيه، فالواقع يدل على

(١) سورة التوبة، الآية (٦٠).

أن القرآن اشتمل على الأصول العامة، وأنه لم يكن فيه كل شيء، فتفسير الكتاب بالقرآن في آية ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1] تفسير غير صحيح، إنما المراد به اللوح المحفوظ الذي أمر الله تعالى القلم أن يكتب فيه ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

أما الآية الأخرى وهي: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2] فيقال فيها مثل ما قيل في الأولى، المراد بالكتاب القرآن، ولكن سورة النحل التي نزلتْ فيها هذه الآية أو هذه الجملة سورة مكيّة، النحل من السُّوَر المكية، ولم يكن نزل التشريع كلّه في مكة، إنما نزلت أصول التوحيد، وما يتصل بمعجزات الرسول صلى اللّه عليه وسلم، إنما نزلت أصول هذا وهذا في مكة وأما الفروع فقد نزلت في المدينة، فكيف يُقال ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.

فالمراد بالكتاب في هذه الآية من سورة النحل القرآن، لكن ليس المراد ببيانه لكل شيء بيان لجميع أحكام الفروع، إنما هو مثل الآية التي قال الله فيها: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ إخباراً عن الريح التي أرسلها الله جل شأنه على عادٍ قوم هود أرسل عليهم ريحاً وقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[3]. وهي إنما دمرت قوم هود، دمرت عاد، ودمرت ديارهم، فالأمارات الحسية أو الأدلة الحسية، وواقع الهالكين الذين هلكوا وتحدث اللّه عنهم في القرآن يدل على أن المراد بالآية الخصوص لا العموم.

كذلكم قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى آخر الآية هي مما

---

(١) سورة النحل: الآية (٨٩).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٣٨).

(٣) سورة التوبة: الآية (٦٠).

أريد بها الخصوص وإلا ففي أيٍّ آية من الآيات بيان عدد الصلوات، أو بيان تفاصيل الزكوات، أو بيان الحج إلى بيت الله الحرام، بأصله وتفاصيله، لم يكن شُرع في هذا الوقت، إنما شُرع في المدينة في السنة التاسعة أو السنة العاشرة على الخلاف بين العلماء، وما كان مِن حجٍّ قبل ذلك، فهو على الطريقة الموروثة عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما بنى البيت هو وابنه إسماعيل وأمره الله أن يُؤذّن في الناس، كان الحج مشروعاً وممتداً شرْعه من أيام رسالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى أيام العرب في زمن النبي ﷺ وبعد زمنه، أما فرضه في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد نزل ضمن آيات سورة آل عمران، وهذا لم ينزل في مكة إنما نزل في السنة التاسعة من الهجرة أو في السنة العاشرة التي حجَّ فيها رسول الله ﷺ.

فكيف يُقال تبياناً لكل شيء وهو لم يتبيَّن فيه أصل فرضية الحج ولا تفاصيل الحج ولا تفاصيل الصيام، والصيام أيضاً فُرِض في المدينة بعد الهجرة بسنة، أين الجهاد وتفاصيله، الجهاد بالسلاَح أين هو وتفاصيله، البيوع أين هي وتفاصيلها وأين تحريم الربا وهو لم ينزل إلا في المدينة، فالآية إما أن يُقال فيها إنها من العام الذي أريد به الخصوص، وإمّا أن يقال تبياناً لكل شيء أوجبه على المسلمين وهم في مكة لأن السورة مكية بيان لكل شيء مما أوجبه عليهم وشرعه لهم، لا أنها بيانٌ لكل حُكم من أحكام الإسلام.

فهؤلاء الذين أنكروا السُّنة جُملة أو قالوا: لاحاجة إليها جملة أكتفاءً بالقرآن واستدلالاً بهاتين الآيتين قد أخطأوا الطريق، ولم يعرفوا تاريخ التنزيل، ولم يعرفوا واقع التشريع وأن بيان ما في القرآن من العبادات والمعاملات، واقعه في السُّنة، ثم أين تحريم الجمع بين المرأة

وعمتها، والمرأة وخالتها، أين تحريم زواج الإنسان بامرأة أبيه، إنما كان هذا في المدينة، تفاصيل الأحوال الشخصية من وقف ومواريث وهبات ووصايا ونكاح وطلاق، تفاصيل هذا كلّه إنما كان بالمدينة، في الآيات التي نزلت في المدينة وبيّنها الرسول ﷺ في سُنَّته.

فواقعُ التشريع وعملُ المسلمين جميعاً، برهانٌ واضح يدل ضرورةً أو دلالةً ضرورية على أن السُّنة جاءت بياناً للقرآن، بيَّن في مكة ما يحتاجون إليه بقدر ما نزل من أحكام أصول التشريع، وبيّن في المدينة ما طرأت الحاجة إليه من بيوع وغيرها من المعاملات والجنايات والحدود، كل هذا ما نزلت آياته إلا بالمدينة، ولا بيّن الرسول ﷺ تفصيله قولاً وعملاً إلا بالمدينة عليه الصلاة والسلام. فالاستدلال بالآيتين استدلال مردود ولا يقال الدليل مردود.

قلتُ ابتداءً إنَّ موقف الداعية من المدعوين يختلف باختلاف حالهم، فمن أنكر الاحتجاج بالسُّنة جملة اكتفاء بكتاب الله احتج بالآيتين والرد عليه كما علمتم.

موقف آخر يكون لبعض الناس من المسلمين، يردُّ بعض الأحاديث، إما بالنسبة لمعارضتها لفكره فيما يزعم، أو لمعارضتها لما يرونه أن الطب جاء به، وأن الطب قرّر قراراً صحّياً في أمور لا يليق أن يأتي على خلافها حديثٌ عن الرسول ﷺ، فأمثال هؤلاء يردون أحاديث إما لمعارضتها لعقولهم، وإما لمعارضتها لقواعد صحية مثلاً . كحديث الذباب[1] والأمر

---

(١) ونصُّه: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه كُلَّه ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر دواء» رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي رواية: «إذا وقع الذباب في الطعام فامقلوه، فإن في أحد جناحيه سُمّاً وفي الآخر شفاء، وأنه يقدم السمَّ ويؤخر الشفاء» رواه أحمد وابن ماجه، وسنده حسن.

بغمسه إذا سقط في الطعام، أو في الشراب، الأمر بغمسه بالشراب يرده جماعة ممن اقتنعوا بالطب وبالنظريات الطبية، وقدّسوا النظريات الطبيّة ووثقوا بعقول الأطباء وبتجارب الأطباء أعظم وأقوى من ثقتهم بتشريع الله، وبما صحَّ عن رسول الله ﷺ،حسَّنوا ظنهم بالنظريات الطبية أكثر من تحسين ظنهم بما ثبت عن رسول الله ﷺ، وفي هذا طعن في أحد أمرين: إما الطعن في المشرِّع وهو رسول الله ﷺ أو تخصيص لوظيفته ومهمته، يقولون إن وظيفته تشريع صلاةٍ وصيامٍ وكذا، وليس له دراية بالطب، ما الذي يدخله في الطب، هو له دائرةٌ محدودة يجول فيها هي دائرة التشريع من صلاةٍ وصيامٍ وبيع وشراء وأمثال ذلك، فما الذي يدخله في هذا، هذا ليس من اختصاصه فالعمل فيه إنما يكون على النظريات الطبية، لا على ما جاء عن الرسول ﷺ.

إن الفنَّ ليس مقاله ولا هو اختصاصه وإمَّا أن يكون ردهم لهذا الحديث من جهة أخرى هي طعنهم في الرواة الذين رووا هذا الحديث، أمَّا من الجهة الأولى فالرسول ﷺ بيّن لهم العلة. قال: إن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، وتعليله هذا وهو أُميٌّ لم يدخل مدارس طب ولم يتفنّن بتجارب قام بها، دليل على أنه إنما تكلَّم بهذا عن طريق الوحي من الله جل شأنه، والله سبحانه عليم بخواص مخلوقاته فهو عليم بجناح الذباب وما فيه من داء وما فيه من دواء، وأنّ هذا يكون علاجاً لهذا.

ومعروف في الذُّباب وفي كل طائر أنه إذا هبط من أعلى إلى أسفل أنه يهبط بمَيل حتى الطائرات لا تنزل الطائرة رأسية، لابد أن تنزل مائلة إلا إن كانت طائرات خاصة إنمَّا الطائرات العادية المعروفة تنزل هكذا، ثم إذا أرادت أن تنزل للجنب الثاني لابد أن تميل هكذا،

هذا النظام الدولي. والطيور إذا نزلت تنزل بجناح كذا، وإذا أرادت أن تَصُفَ وتقف في الجو تنصب الجناحين إلى الجانبين كذا.

فالقصد أنّ الذُّباب كسائر الطيور إذا نزل نزل بالجناح، فإذا غمسته كان جناحه الثاني وما فيه من شفاء علاجاً لما أصاب الشراب أو الطعام من الداء الذي نزل في الطعام من الجناح الآخر. فهذا التعليل دليل على أنَّ تعليله بهذا ليس تخميناً من عند نفسه ودخولاً فيما لا يخصه، إنما هو بوحي من الله جلَ شأنه، والله عليم بمخلوقاته وما فيها من خواص، فالرسول ﷺ إليه البلاغ عن الله، وقد بلَّغ هذا عن ربِّه.

ويجب على الإنسان أن يثق بوحي الله جل شأنه أعظم من ثقته بنظريات الأطباء، ثم هم لم يتفقوا، الأطباء لم يتفقوا على ما بنى عليه هؤلاء المعترضون على هذا الحديث، هم مختلفون أيضاً فيما بينهم والمسألة مسألة نظرية اجتهادية للأطباء، فكيف يُرد بمسألة نظرية اجتهادية مازالت تحت البحث، يرد بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما من جهة السند، فالسند على طريقة المحدثين سند صحيح مستوفٍ للشروط التي اشترطها علماء الحديث، والناس الذين اعترضوا على هذا الحديث من جهة رجاله ليس عندهم سند يستندون إليه في ذلك، وهم في معاملتهم وقبولهم للأخبار التي تصل إليهم يعتقدون يقيناً أو يظنون ظناً غالباً بما وصلهم من الأخبار، يعتقدون ما دلَّت عليه فيلزمهم أن يقبلوا ما جاء عن رواة هذا الحديث لأنهم أوثق وأضبط وأعدل من الرواة الذين يروون لهم أخباراً في سفر فلان وفي إدانة فلان، وفي شهادة الشهود في قضية يقبلون ذلك من أقل من هؤلاء الذين رووا

عن رسول الله ﷺ هذا الحديث. قلت: إن طعنهم إما أن يكون في الرسول ﷺ من جهة أن هذا ليس من اختصاصه، وأنّه أخبر بشيء يُخطئ فيه ويصيب، وبيّنت الجواب عنه بأن تعليله يشعر بأنه إنما جاء به من عند الله جل شأنه.

الناحية الثانية: الطعن من جهة الرواة، والرواة قلت: إنهم أوثق وأعدل وأضبط من أولئك الذين يقبلون أخبارهم العادية ويقبلون في البيع والشراء، والسفر والحضر، وفي الشهادات في القضايا. يقبلون أخباراً أقل من خبر هؤلاء الذين رووا هذا الحديث، الذين يروون بعض الأحاديث قد يردونها لأنها لا تتفق مع أفكارهم ومداركهم، فإمّا أن يردوها ويكذبوها ويقولون: خالفت صريح العقل إن لم يمكنهم أن يؤولوها، وإما أن يتأولوها على خلاف ما دلّت عليه مع كثرتها، وهذا أيضاً وضعٌ غير سليم واعتراض غير سليم، فإن عقلهم يعتريه الخطأ والصواب.

والوحي الذي جاءت به الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام وثبت عنهم جاء عن الصادق الأمين بوحيٍ من ربّه وهو لا ينطق عن الهوى فيجب على الإنسان أن يتهم عقله وتفكيره بدلاً من أن يتهم رسوله أو الرواة العدول أو أن يتهم ربّه في وحيه، وليثق بربّه وبرسوله ﷺ أكثر من ثقته بتفكيره، فإن العقل قاصر وجُرِّبَ عليه الخطأ كثيراً ومداه محدود وما يجهله أكثر مما يعلمه، فعليه أن يعتقد في تفكيره القصور، وأن يعتقد في وحي الله الكمال والصدق، وأن يعتقد في الرواة الذين استوفوا شروط النقل المضبوطة المعروفة عند المحدثين، عليه أن يثق بهؤلاء أكثر من ثقته بتفكيره.

هذا جواب عمن ينكر الحديث لمعارضته لتفكيره، فيقال اتهم عقلك

بالقصور فإن ما يعلمه أقل مما يجهله، إتهم عقلك بالخطأ وبالجهل فى تفكيره، لأنك كثيراً ما أخطأت وجُرّب عليك هذا، أما هؤلاء العدول الضُبّاط الذين استوفوا النقل، نقل الأحاديث فهؤلاء يندر فيهم أن يُخطئ أحدهم، خطؤه إلى جانب صوابه قليلٌ جداً ونادر، والذين يتأولون نصوص الأحاديث ويحملونها على غير ظاهرها، هم يسلكون أيضاً هذا المسلك في كتاب الله جل شأنه فيتأولون كثيراً من نصوص آيات الأسماء والصفات ومن نصوص الرؤية.

نصوص الرؤية في القرآن: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[1]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2]. آيات الأسماء والصفات، أحاديث عذاب القبر ونعيم القبر وسؤال القبر، عذاب الأبدان، تعذيب الأبدان، ويحملون العذاب على عذاب الأرواح، ويحملونه على ضعف الأرواح، ينكرون عروج الرسول ﷺ ببدنه إلى السماء وإسرائه من مكة إلى بيت المقدس ببدنه، ويقولون هذا إسراء بالروح، وعروج بالروح، تحكيماً للسنن الكونية، والعادات المألوفة في الخلق، فإن الإنسان لا يسر تلك المسافة في جزء ليلة، ولا يعرج إلى السماء السابعة في جزء ليلة ولا ينظرون إلى أنَّ الأنبياء جاءوا بخوارق العادات.

فخوارق العادات بالنظر للأنبياء والمعجزات الكونية والسنن الكونية التي خص الله بها الأنبياء هذه تعتبر عادية بالنظر لخصوص الأنبياء وإن كانت خارقة للعادة، وغير مألوفة بالنظر لغير الأنبياء، فلماذا نقيس الأنبياء فيما أوتوا من الله على الأفراد العاديين هذا قياس باطل، على فرض أن

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٠٣).

(٢) سورة القيامة: الآية (٢٢، ٢٣).

القياس في نفسه صحيح وقامت عليه الأدلة وثبتت حُجيته على فرض هذا فهذا قياس باطل، لا يصح الاحتجاج به، لأن الأنبياء يختلفون عن غيرهم في جريان خوارق العادات على أيديهم معجزة لهم، ثم الإسراء قد ثبت في القرآن وجاء به ، فتأويلهم لا يكون تأويلاً لحديث الإسراء إنما هو تأويل أيضاً للقرآن، القرآن جاء فيه ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[1]

إنَّ النصارى يعتقدون في عيسى أنه يحيي الموتى بإذن الله، وأنه يبرئ الأكمه الذي ولد أعمى يبرؤه بإذن الله، وأنه يصور طيراً فينفخ فيه فيكون طيراً يمر بإذن الله، وأنه يبرئ الأبرص بإذن الله وليس بطريقة علاج وما فتح مستشفى، إنما هو خوارق عادات. وكذلكم اليهود يؤمنون بخوارق العادات، فما الذي جعل خوارق العادات بالنظر لموسى بانفلاق البحر ونجاة موسى ومَنْ معه إلى الشاطئ الآخر وجعل الممر يَبَسا إثنا عشر طريقاً على عدد الأسباط حتى لا يتنازع سبط مع سبط، جعلها يبساً يمرون فيها في هذه الممرات دون أن يغرقوا والماء متماسك بدون حواجز، ما وضعت صبات من الأسمنت، ثم هذا سلب لخاصية الماء، معجزة لموسى وإكراماً له ولمن معه، حيث انجاهم بإذنه سبحانه وتعالى، ثم ما جعله نجاة لموسى ومَن معه، جعله نفسه دماراً وهلاكاً لخصومه وأعدائه الكفار من اليهود والنصارى وهم يعترفون بخوارق العادات وبهذه المعجزات.

العرب يؤمنون بإبراهيم عليه السلام وبأن الله نجاه من النار، أُلقي في النار فنجاه الله منها فما الذي يجعلهم يؤمنون بسلب الله خاصية النار

---

(١) سورة الإسراء: الآية (١).

حتى تكون برداً وسلاماً على إبراهيم ولا يؤمنون بالإسراء بمحمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم العروج به إلى السماء السابعة، يذكرون شُبهاً في هذا أيضاً، في عروجه وفي إسرائه يقولون هذه السرعة إلى هذا الحد تحرق البدن، يعني الاحتكاك بين بدنه وبين الهواء الذي في الجو الطبقات المحيطة به، هذا الاحتكاك يولد ناراً فيحترق، كذلك الصعود بهذه السرعة يولد ناراً فيحترق، شيء آخر إذا صعد هؤلاء إلى أعلى حتى إذا لم يكن هناك هواء ينفجر ويتمزّق، لأن الضغط الخارجي على جلده وعلى جسمه من جميع الجهات بالهواء، فينفجر حيث يوجد ضغط في الخارج وضغط في الداخل فيخرج الدم. يقولون في الطبقات التي لا هواء فيها كيف يتنفس؟

الذين يصعدون في هذه الأيام ويريدون القمر، يأخذون لأنفسهم هواءً، ويأخذون وقايات من هنا ومن هناك. العرب ما كان عندهم هذا الاختراع فكيف صعد هؤلاء إلى أعلى، كذلك الرسول ﷺ كيف صعد وتغلّب على الجاذبية الأرضية، وكيف لم يسقط على الجاذبية التي فوق جاذبية الكواكب (المجموعة الشمسية وأمثالها) كان يهلك، كيف خلص من الجاذبية الأرضية ولا أجنحة له، ولا طيارة ركبها، إنما هو «براق» وأولئك ما يعرفون البراق الذي ركبه كيف صعد وعاكس الجاذبية الأرضية، وكيف تماسك ولم يسقط على سطح الكواكب السماوية. حينما وقع في دائرة جاذبيتها، فهذه شُبه يوردونها على الإسراء ويوردونها أيضاً على المعراج.

وقد ألّف بعض أهل السُّنة في هذا تأليفاً يرد به على أولئك منهم الشيخ محمد عبد الحليم الرمالي له رسالة صغيرة في الإسراء والمعراج ذكر فيها جميع الشُبه التي ترد على الإسراء والمعراج إن كانت في الحديث أو كانت من جهة السنن الكونية، والرد أمر واحد هو أن خوارق العادات

بالنظر للأنبياء سننٌ عادية تشبه السنن العادية بالنظر لسائر الخلق، فهم في معجزاتهم يسيرون في طريق كوني عاديٍ بالنظر لهم، كما أن الناس يسيرون على سطح الأرض سيراً عادياً، وكما أن الطيور ترتفع إلى أعلى بأجنحتها ارتفاعاً وصعوداً عادياً، فالرد كما ذكرت شيء واحد، هو أن هذا من خوارق العادات والمعجزات التي أجراها الله جل شأنه على يد رسوله ﷺ.

والخلاصة أنَّ الذين يعترضون على الأحاديث أو على بعض الأحاديث، يؤمنون بما تواتر من الأحاديث لفظاً ومعنى وهو عدد قليل من الأحاديث كحديث «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1] أو الأحاديث المتواترة معنى كأحاديث رؤية الله تعالى وأحاديث المسح على الخفين، وأحاديث عذاب القبر ونعيم القبر. يؤمنون بمثل هذا إما لمجيئه في القرآن، وإما لتواتره في السُّنة، وإما لوجوده في الاثنين جميعاً، لكنهم لا يؤمنون بأحاديث الآحاد، وذلك لأنهم يرون أنها لا تفيد إلا ظناً قد يكون ظناً غير غالب، فيردون أمثال هذه الأحاديث ولا يحتجون بها أصلاً أو يحتجون بها في الفروع دون الأصول.

أما شبهتهم في رد أحاديث الآحاد فهم يقولون إن الراوي يخطئ ويصيب، وإنَّ الراوي قد يكون عدلاً فيما يظهر وهو كذاب أو منافق في باطن أمره، ويقولون إن عمر بن الخطاب رد على أبي موسى الأشعري قوله في السلام في الاستئذان وأن الإنسان إذا استأذن ثلاثاً فلم يُؤذن له فلينصرف وقد استئذن على عمر بن الخطاب وهو مشغول بشغله في

(١) متفق عليه. البخاري (الفتح ٣/١٢٩١) ومسلم (٤) في المقدمة.

بيته الله أعلم به، سلَّم عند الباب سلام الاستئذان، فلم يسمعه عمر فما أجابه ثم سلَّم فما أجابه أحد ولا أذن له أحد ثم سلَّم فما أذن له أحد فانصرف بعد أن انتبه عمر بن الخطاب أو خلص من شغله الذي شغل باله ولم يمكنه من الإذن أو إجابة من سلَّم عليه. قال كأني كذا، يعني أسمع منادياً يستأذن أو مسلماً يُسلِّم فطلّب مَنْ سلَّم فإذا به أبو موسى فقال له: ما الذي منعك أن تدخل، ما الذي جعلك تنصرف فذكر له الحديث: «إذا استئذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف»[1].

وهذا يؤيده القرآن في الجملة. وليس فيه تحديد للعدد، لكن أصل الانصراف موجود في سورة النور، وربّنا قال في الانصراف ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ الإنصراف أزكى لكم، لم يحدد العدد فعمر بن الخطاب قال لأبي موسى إما أن تأتيني بشاهد يشهد معك بأن الرسول ﷺ قال هذا، وإما أن أفعل بك وأفعل، يعني هدده، قال أبو موسى الأشعري في نفسه أنا عبد الله بن قيس أنا أبو موسى أنا كذا، ولم يستجب له وسقط في يده وتعب وقال ماذا أفعل، ذهب إلى مجلس الأنصار وأخبرهم الخبر، فصدقوه، صدقوه في هذا الحديث فقال: ليذهب معي أحدكم فقالوا له: لا يذهب معك إلا أصغرنا فذهب أبو سعيد الخدري وكان أصغر الجالسين وشهد معه عند عمر بن الخطاب بأن رسول الله ﷺ قال هذا الحديث فقبل منه الحديث وأعفاه مما هدده به. فيقولون إنَّ هذا عمر بن الخطاب اتهم صحابياً روى له حديثاً، فهذا مما يدل على أن رواية الواحد لا تقبل وأنه مصار تهمة فلا نعمل به حتى يتأيد بغيره.

---

(١) رواه البخاري - الفتح (٥٢٤٢/١١) ومسلم (٢١٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

هذا وأمثاله مما ورد عن الصحابة يردُّ عليه بأمرين الأمر الأول: أن عمر بن الخطاب لم يكذبه إنما أراد أن يتثبت من جهة وإلى جانب التثبت أمر آخر، خاف أن يجترئ الناس على سُنة رسول الله ﷺ فأظهر لهم القوة حتى يحتاطوا لأنفسهم عند البلاغ فلا يبلغ إلا وهو واثق مما تكلّم به، هذا جانب، بدليل أنه قبل خبر الواحد في مواضع أخرى: قَبِل خبر الواحد في إملاص المرأة.

ثم الرسول عليه الصلاة والسلام قد اعتمد خبر الواحد فكان يرسل رسولاً واحداً بكتابه، وما أدَرَى أولئك بأن هذا صادق في أن هذا كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم ما عندهم بصمة ولا عندهم صورة لخاتمه، ما الذي يدريهم بأن دحية الكلْبي رسول رسول الله ﷺ، وكيف لزمهم البلاغ، وكيف أُصيب كسرى بعذاب من عند الله حينما مزّق الكتاب، كيف لزمتهم الحجة فالرسول ﷺ لم يرسل الواحد إلا وهو يعتقد أن الحُجّة تقوم به وهذا أمر معلوم بالضرورة من إرسال الرسول ﷺ أفراداً إلى جهات لنشر الدعوة وإقامة الحجة، وقد أرسل معاذ بن جبل ليقضي ويكون أميراً في اليمن، وأرسل علياً، وأرسل أبا موسى الأشعري.

القصد أن إرسال الواحد من الرسول صلى الله عليه وسلم قد تكرر مرات، وهو لا يرسله إلا إذا كان يعتقد أن الحُجة تقوم به، وأن خبره يجب أن يُصدَّق، والمهم فيه أن يتخيّره عدلاً أميناً ضابطاً لما يبلغه من الخبر وأنه يقوى على البلاغ، عنده لسان يقوى به على البلاغ، المهم أن يتخيره، وليس من المهم أن يكون عدداً، بدليل أنه أرسل فرداً فرداً إلى دول لا إلى أفراد، في أصل الدين وهو العقيدة ليس في الفروع فقط إنما في أصل الدين، فهذا بيان من النبي ﷺ يحتج به على قبول خبر الواحد ضد هؤلاء الذين يتهمون الراوي إذا كان واحداً عدلاً ضابطاً مع

اتصال الإسناد، ومع عدم مخالفة من هو أوثق منه، ومع عدم الوقوف على علةٍ قادحة يُردُّ بها الحديث.

هذا العمل من الرسول ﷺ يرُد عليهم، وعمر بن الخطاب نفسه كان يقبل خبر الواحد قبله مرات، فلماذا يتمسكون بهذه القصة ولا يتمسكون بغيرها وغيرُها أكثر منها، هذا ردّ عليهم.

جهة أخرى في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عمر بن الخطاب كان عنده قوة في التثبت وكان يجتهد ويستوثق أكثر، لا لأنه مُتهِم لمن استوثق في خبره. ويدلكم على هذا أنه في حادث التحقيق مع سعد بن أبي وقاص لما كان أميراً جهة العراق أميراً قاضياً قائداً للسرية، إماماً في الصلاة، خطيباً في الجمعة اشتكاه رجل من أولئك الجماعة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكتب إليه وثيقة كتاباً يقول فيه إنه لا يخرج بالسرية، ولا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية، ولا يُحسن الصلاة، لا يحسن يصلي، فأرسل شخصاً يحقق في الموضوع مع وثوقه من سعد بن أبي وقاص لكنه ما يريد الفتن ولا القلاقل فأراد أن يستوثق أكثر فأرسل مَن يحقق.

وفعلاً حقق ودخل المساجد ومَر على أنَاس هنا وهناك فكلهم يثنون خيراً على سعد بن أبي وقاص إلا المكان الذي فيه بؤرة الفساد، الرجل الذي بلّغ سأله الرسول فانتظر له هذا الرجل فحكى نفسَ الكلمة وسعدٌ يسمع فقال: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأدم فقره، وأكثر عياله، وعرضه للفتن. أربع دعوات نظير أربع تهم وجهها الرجل إلى سعد بن أبي وقاص، فطال عمر هذا الرجل، وكثر عياله، ودام فقره، وكبُرَ في السن حتى صار وهو يمشي في الطريق ينظر للنساء بعين خائنة

وقد سقط حاجبه، فيقال له: ما لك وقد شبت فيقول مسكين أصابتني دعوة سعد.

أقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استخلف ستة عندما طُعن وأيس من أن يبقى وقالوا له: استخلف؟ فقال: لا أحملكم حياً وميتاً، ولما ألحُّوا عليه استخلف ستة ليختاروا من بينهم خليفة يعني استجاب لهم في الجملة، ثم جعل من الستة سعداً ثم قال: اعلموا أني لم أعزله عن شكٍّ فيه ولا اتهام له، يريد أن يطفئ فتنة، وأن يسد أبواب فساد وليس سوء ظن بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، يقول هذا سعد أنا لم أعزله لعدم ثقتي به وبرأيه، فإن أصابته الخلافة فالحمد لله. وإن لم تصبه خلافة فليستشْره مَن تكون الخلافة إليه. يعني رضي به خليفة وإن لم يُعينه لكن باختيارهم إيَّاه.

فهذا يدلكم على اتجاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. القصد إن هذا جواب في اعتمادهم على طلب عمر من أبي موسى الأشعري أن يأتيه بآخر يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذا الحديث إذا ستأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف.

وأسأل الله أن يوفقني وإياكم لما فيه رضاه، وأن يشرح صدورنا للعلم النافع وأن يجعل لنا بصيرة في إصابة الحق، وأن يوفقنا للعمل بما علمنا فإنه مجيب الدعاء.

وفي مقالٍ بعنوان: «وجوب تقديم المنقول على المعقول» يوضح الشيخ -رحمه الله- أنه ينبغي على الإنسان ألاَّ يغتر بقوة عقله وسعة تفكيره، ويجعل ذلك حكماً على نصوص القرآن والسُّنة، فيقول:

ولا يغتر إنسان بما آتاه الله من قوة في العقل وسعة في التفكير

وبسطة في العلم، فيجعل عقله أصلاً، ونصوص الكتاب والسُّنة الثابتة فرعاً، فما وافق منهما عقله قبله واتخذه ديناً، وما خالفه منهما لوى به لسانه وحرفه عن موضعه، وأوّله على غير تأويله إن لم يسعه إنكاره وإلا ردَّه ما وجد في ظنه إلى ذلك سبيلاً، ثقة بعقله، واطمئناناً إلى القواعد التي أصّلها بتفكيره واتهاماً لرسول الله ﷺ، أو تحديد مهمة رسالته وتضيق دائرة ما يجب اتباعه فيه واتهاماً لثقاة الأمة وعدولها، وأئمة العلم وأهل الأمانة الذين نقلوا إلينا نصوص الشريعة ووصلت إلينا عن طريقهم قولاً وعملاً، فإن في ذلك قلباً للحقائق وإهداراً للإنصاف مع كونه ذريعة إلى تقويض دعائم الشريعة المفضية إلى القضاء على أصولها، إذ طبائع الناس مختلفة واستعدادهم الفكري متفاوت وعقولهم متباينة، وقد تتسلط عليهم الأهواء ويشوب تفكيرهم الأغراض فلا يكادون يتفقون على شيء، اللهم إلا ما كان من الحسيات أو الضروريات.

فأي عقل من العقول يُجعل أصلاً يُحكَّم في نصوص الشريعة، فترد أو تنزل على مقتضاه فهماً وتأويلاً، أعقل الخوارج في الخروج على الولاة، وإشاعة الفوضى وإباحة الدماء؟ أم عقل الجهمية في تأويل نصوص الأسماء والصفات وتحريفها عن موضعها؟، أم عقل المعتزلة ومن وافقهم في تأويل نصوص أسماء الله وصفاته، ونصوص القضاء والقدر، وإنكار رؤية المؤمنين أين ربهم يوم القيامة؟، أم عقل الغلاة في إثبات الأسماء والصفات، والغلاة في سلب المكلفين المشيئة والقدرة على الأعمال ؟، أو عقل من قالوا بوحدة الوجود......الخ.

ولقد أحسن العلامة أحمد بن عبد الحليم بن تيمية -رحمه الله- إذ يقول: «المخالفون للكتاب والسُّنة، وسلف الأمة من المتأولين في هذا الباب في أمر مريج، فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه

مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك، يقول إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقيين في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل».

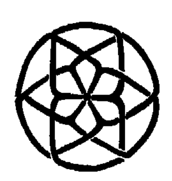
ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله. فياليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسُّنة،فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: أوكلما جاء رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء، انتهى.

هذا وإن فريقاً ممن قدّسوا عقولهم وخدعتهم أنفسهم واتهموا سُّنة نبيهم قد أنكروا رفع الله نبيَّه عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء حيَّاً بدناً وروحاً، ونزوله آخر الزمان حكماً عدلاً، لا لشيء سوى اتباع ما تشابه من الآيات دون ردِّها إلى المُحكم منها اتباعاً لما ظنوه دليلاً عقلياً،وما هو إلا وهم وخيال، وردوا ما ثبت من سُّنة النبي ﷺ نزولاً على ما أصّلوه من عند أنفسهم من أن العقائد لا يستدل عليها بأحاديث الآحاد واتهاماً لبعض الصحابة فيما نقلوا من الآحاديث، وفي ذلك جرأة منهم على الثِّقاة الأمناء من أهل العلم والعرفان دون حجة أو برهان. وتطاولوا على علماء الأحاديث وتناولوا رجال الجرح والتعديل بألسنة حداد جهلاً منهم بما قدموه من خدمة للدِّين وحفظ الأصل الثاني من أصول الإسلام وهو السُّنّة النبوية، وعجزاً منهم عن أن يهضموا ما دوّن أولئك الأمة الأخيار مِن كتب في قواعد علوم الحديث ودواوين

في تاريخ رواة الحديث وبيان درجاتهم ومراتبهم في الرواية وطبقاتهم ومواليدهم ووفاياتهم، ولقاء بعضهم بعضاً أو سماعه تمييزاً لمن تقبل روايته ممن تُرد روايته، وما يُقبل من الأحاديث وما يُرد، وذباً عن السُنّة النبوية وحفاظاً عليها.

ومع هذا اغتر الناشئة من طلبة العلم بهؤلاء المتهمين للسُنّة الصحيحة ورواتها، المفترين على سلف الأمة وأئمتها، وتردد آخرون وتساءلوا بينهم فكتبوا إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء يستفسرون عما أشكل عليهم من ذلك، فأجابتهم اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بما يناسب الحال ويقضي حاجة السائلين.

وفيما يلي ذكر ما ورد منهم إلى اللجنة من الأسئلة المتعلقة برفع عيسى بن مريم عليه الصلاة و السلام حيّاً إلى السماء ونزوله آخر الزمان حكماً عدلاً وما أجابت به اللجنة في هذا.



فتوى

عَن المسِيح عَليه السَّلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على الأسئلة المقدمة من أحد السائلين، حول المسيح عليه السلام وأجابت عن كل سؤال منها عقبه:

السؤال الأول: هل عيسى ابن مريم حي أو ميت، وما الدليل من الكتاب والسُّنة؟

السؤال الثاني: إذا كان حياً أو ميتاً فأين هو الآن، وما الدليل من الكتاب والسُّنة؟

الجواب على السؤالين: عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام حي لم يمت حتى الآن ولم يقتله اليهود ولم يصلبوه، ولكن شُبِّه لهم بل رفعه الله إلى السماء ببدنه وروحه، وهو إلى الآن في السماء، والدليل على ذلك قوله تعالى في فرية اليهود والرد عليها: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

---

(١) سورة النساء: الآيتان (١٥٧ ـ ١٥٨).

فأنكر سبحانه على اليهود أنهم قتلوه أو صلبوه، وأخبر أنه رفعه إليه، وقد كان ذلك منه تعالى رحمة به وتكريماً له، وليكون آية من آياته التي يؤتيها من يشاء من رسله، وما أكثر آيات الله في عيسى ابن مريم عليه السلام أولاً وآخراً ومقتضى الإضراب في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ أن يكون سبحانه وتعالى قد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام بدناً وروحاً حتى يتحقق به الرد على زعم اليهود أنهم صلبوه وقتلوه، لأن القتل والصلب إنما يكون للبدن أصالة ولأن رفع الروح وحدها، لا ينافي دعواهم القتل والصلب، فلا يكون رفع الروح وحدها رداً عليهم. ولأن اسم عيسى عليه السلام حقيقة في الروح والبدن جميعاً، فلا ينصرف إلى أحدهما عند الإطلاق إلا بقرينة ولا قرينة هنا، ولأن رفع روحه وبدنه جميعاً مقتضى كمال عزة الله وحكمته وتكريمه ونصره من شاء من رسله حسبما قضي به قوله تعالى في ختام الآية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. وسيأتي لهذا زيادة بيان وتأكيد في الجواب عن السؤال الثالث إن شاء الله تعالى.

السؤال الثالث والرابع: إذا كان عيسى عليه السلام حياً فهل سينزل آخر الزمان ويحكم بين الناس ويتبع في ذلك دين محمد ﷺ وما الدليل؟ وبم نرد على من زعم أن عيسى لن يبعث آخر الزمان ولن يحكم بين الناس؟

الإجابة عن السؤالين: نعم سينزل نبي الله عيسى ابن مريم آخر الزمان ويحكم بين الناس بالعدل متبعاً في ذلك شريعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام وسيؤمن به أهل الكتاب اليهود والنصارى جميعاً قبل موته بعد أن ينزل آخر الزمان قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ

بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[1].

فأخبر تعالى بأن جميع أهل الكتاب اليهود والنصارى سوف يؤمنون بعيسى ابن مريم عليه السلام قبل موته -أي موت عيسى- وذلك عند نزوله آخر الزمان حكماً عدلاً داعياً إلى الإسلام كما سيجئ بيانه في الحديث الدال على نزوله.

وهذا المعنى هو المتعين، فإن الكلام سبق لبيان موقف اليهود من عيسى وصنيعهم معه عليه الصلاة والسلام ولبيان سُنة الله في انجائه ورد كيد أعدائه فيتعين رجوع الضميرين المجرورين إلى عيسى عليه السلام رعاية لسياق الكلام وتوحيداً لمرجع الضميرين وثبت في أحاديث كثيرة صحيحة من طرق متعددة بلغت مبلغ التواتر أن الله تعالى رفع عيسى إلى السماء وأنه سينزل آخر الزمان حكماً عدلاً وأنه سيقتل المسيح الدجال.. قال ابن تيمية بعد أن ذكر أحاديث رفع عيسى عليه السلام ونزوله آخر الزمان من طرق كثيرة: فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وأبي أمامة والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم ومنها دلالة على صفة نزوله ومكانه.. إلخ.

ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لويشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض الماء حتى لا يقبله أحد».. قال ابو هريرة: اقروا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[2].

---

(١) سورة النساء: الآية (١٥٩).

(٢) سورة النساء: الآية (١٥٩).

وفي رواية عنه أن النبي ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم».. وثبت في الصحيح أيضاً أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما سمع النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة».. فدلت الأحاديث على نزوله آخر الزمان وعلى أنه يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ وعلى أن إمام هذه الأمة في الصلاة وغيرها أيام نزوله من هذه الأمة لا مجال فيها للشك، وليس هناك منافاة بين نزوله وبين ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ حيث لم يأت عيسى عليه السلام بشريعة جديدة ولله الحكم أولاً وأخراً يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وهو العزيز الحكيم.

السؤال الخامس: بما أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء فلم لم يرفع إلى السماء بدلاً من عيسى إذا كان عيسى رفع إليها حقيقة؟ ولماذا اختص عيسى بالرفع دون سائر الأنبياء؟ علل ودلل؟

الإجابة: إن الله تعالى وسع كل شيء رحمة وعلماً وأحاط بكل شيء قوة وقهراً سبحانه له الحكمة البالغة والإرادة النافذة والقدرة الشاملة اصطفى من شاء من الناس أنبياء ورسلاً مبشرين ومنذرين ورفع بعضهم فوق بعض درجات وخص كلا منهم بما شاء من المزايا فضلاً منه ورحمة، فخص بالخُلَّة خليليه إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام وخص كل نبي بما أراد من الآيات والمعجزات التي تتناسب مع زمنه وبها تقوم الحجة على قومه حكمة منه وعدلاً، لا معقب لحكمه وهو العزيز الحكيم اللطيف الخبير.

وليس كل مزية بمفردها بموجبة للأفضلية، فاختصاص عيسى برفعه إلى السماء حياً جارٍ على مقتضى إرادة الله وحكمته وليس ذلك لكونه أفضل من إخوانه المرسلين كإبراهيم ومحمد وموسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، فإنهم أعطوا من المزايا والآيات ما يقتضي تفضيلهم عليه أو بالجملة، فمرجع الأمر في ذلك إلى الله يدبره كما يشاء لا يُسأل عما يفعل لكمال علمه وحكمته ثم إنه لا يترتب على السؤال عن ذلك عمل أو تثبيت عقيدة بل ربما أصيب بالحيرة من حام حول ذلك واستولت عليه الريب والشكوك وعلى المؤمن التسليم فيما هو من شؤون الله وليجتهد فيما هو من شؤون العباد عقيدة وعملاً وهذا هو منهج الأنبياء والمرسلين وطريق الخلفاء الراشدين وسلف الأمة المهديين.

السؤال السادس: لماذا سُمِّي عيسى ابن مريم المسيح؟

الإجابة: سُمِّي عيسى بن مريم بالمسيح لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا برئ بإذن الله. وقال بعض السلف: سمي مسيحاً لمسحه الأرض، وكثرة سياحته فيها للدعوة إلى الدين.

وعلى هذين القولين يكون المسيح بمعنى ماسح، وقيل سمي مسيحاً لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص له، وقيل لأنه مُسح بالبركة، أو طهر من الذنوب فكان مباركاً، وعلى هذين القولين يكون مسيح بمعنى ممسوح، والأظهر الأول والله أعلم.

وعلى كل حال لا يتعلق بذلك عقيدة ولا عمل فالجدوى في ذلك ضعيفة أو معدومة.

مع هذه الأسئلة نصوص يستدل بها القاديانيون على موت عيسى ودفنه. أرجو بيان تلك النصوص وكيف نرد عليهم؟

الآيـــة الأولى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾[1].

الجواب: القصد من هذه الآية الرد على من قال: (إن الله هو المسيح ابن مريم).

ومن قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[2].

ببيان أن عيسى المسيح عليه السلام ليس رباً ولا إلهاً يُعبد، بل رسول كرمه الله بالرسالة، شأنه شأن الرسل الذين مضوا من قبله أجله محدود، لكن لم تُبيِّن هذه الآية متى يموت. وقد بينت الأدلة الماضية من الكتاب والسُّنة، أنه رُفع حياً وأنه سينزل حكماً عدلاً، ثم يموت بعد نزوله آخر الزمان وحكمه بين الناس، ثم ذكر تعالى أن عيسى وأمه عليهما السلام كانا يأكلان الطعام، فدل بذلك على أنهما ليسا إلهين مع الله لشدة حاجتهما إلى ما يحفظ عليهما حياتهما من الطعام، والله تعالى فرد صمد له الغنى المطلق يحتاج إليه كل ما عداه ولا يحتاج هو إلى أحد سواه.

يؤيد أن المراد بالآية ما ذكر سابقها ولاحقها من الآيات فقد سبقها آية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾[3].

وآية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[4].

وقد ذكر بعدها النهي عن الغلو في الدين وإنكار عبادة غير الله

---

(١) سورة المائدة: الآية (٧٥).

(٢) سورة المائدة: من الآية (٧٣).

(٣) سورة المائدة: من الآية (٧٥).

(٤) سورة المائدة: من الآية (٧٣).

ولعن من فعل ذلك أو سكت عنه ولم ينكره، ويوضح ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[1].

الآيــة الـثــانــية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[2].

الجواب: القصد من الآية الرد على من كفر برسالة محمد ﷺ لزعمه أن الرسول إنما يكون من الملائكة لا من البشر، فرد الله عليهم زعمهم ببيان أن سُنة الله سبحانه في إرسال الرسل إلى البشر أن يصطفيهم من البشر وأنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، شأنهم في ذلك شأن البشر وليس في الآية تحديد لأجل عيسى عليه السلام، وقد بينت الآيات الأخرى والأحاديث رفعه حياً ثم نزوله وحكمه بعد نزوله آخر الزمان ثم موته كما تقدم.

الآية الثالثة: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾[3].

الجواب: ليس في هذه الآية أي دلالة على موت عيسى عليه السلام حينما تآمر اليهود على قتله وصلبه، وإنما فيها الدلالة على أن الأنبياء والمرسلين ومنهم عيسى، ليسوا أجساداً لا تأكل بل يأكلون كما يأكل الناس، وفيها الحكم بأنهم لا يخلدون في الدنيا، وأهل السُّنة يؤمنون بذلك وأن عيسى كغيره من المرسلين يأتي عليه الموت كغيره، إلا أن

---

(١) سورة الأنعام: من الآية (١٤).

(٢) سورة الفرقان: من الآية (٢٠).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٨).

الكتاب والسُّنة دلا على أن ذلك بالنسبة له لا يكون إلا بعد نزوله من السماء حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما تقدم.

الآية الرابعة: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[1].

الجواب: هذه الجملة وإن كانت عامة، إلا أنها خُصِّصت بالآيات والمعجزات التي أجراها الله على أيدي رسله وكانت حجة لهم على أممهم في إثبات الرسالة، كانفلاق البحر لموسى إثنى عشر طريقاً يبساً بضربة عصا، وكإبراء عيسى الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى بإذن الله، إلى غير هذا مما هو كثير معلوم. فرفع عيسى حياً وإبقاؤه قروناً ونزوله بعد ذلك مما استثنى من هذا العموم كغيره من خوارق العادات التي هي سُّنة الله مع رسله ولا غرابة في ذلك.

الآية الخامسة: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[2].

الجواب: هذه الآية تثبت العبودية لعيسى عليه السلام، وأن الله أنعم عليه بالرسالة، وليس رباً ولا إلهاً، وأنه آية على كمال قدرة الله، ومثلٌ أعلى في الخير يُقتدى به ويهتدى بهديه فهي شبيهة في مغزاها بالآية الأولى، وليس فيها أي دلالة على تحديد لأجل عيسى عليه السلام وإنما يؤخذ بيان ذلك وتحديده من نصوص أخرى كما تقدم.

الآية السادسة: ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب: من الآية (٦٢).

(٢) سورة الزخرف: الآية (٥٩).

(٣) سورة المائدة: من الآية (١٧).

الجواب: جاء في صدر الآية: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[1].

فكان قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا﴾ رداً على زعمهم أن عيسى عليه السلام هو الله، ببيان أن عيسى وأمه عبدان ضعيفان كسائر خلق الله، لو شاء الله أن يهلكه وأمه ومن في الأرض جميعاً من المخلوقات لفعل ولكنه لم يعمهم بالهلاك بل أجرى فيهم سنته بالإهلاك في مواقيت محدودة اقتضتها حكمته سبحانه وكان من حكمته أنه لم يهلك عيسى عليه السلام حينما تآمر عليه اليهود ولا بعد رفعه وإنما رفعه حياً وأبقاه حياً حتى ينزل ويحكم بين الناس بشريعة محمد ﷺ ثم يميته بعد ذلك كما تقدم.

الآية السابعة: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[2].

الجواب: حملت مريم بعيسى عليهما السلام بلا أب، بل على خلاف السُّنة الكونية في غيرهما من الآيات البينات الدالات على كمال قدرة الله سبحانه، وقد آواهما الله إلى ربوة مكان مرتفع خصيب فيه استقرار وماء معين ظاهر تراه العيون، والمراد بذلك بيت المقدس من فلسطين رحمة من الله بهما ونعمة من الله عليهما. وكان ذلك في فلسطين، لا في بلد من بلاد باكستان، وكان ذلك قبل ميلاد نبينا محمد ﷺ بأكثر من خمسمائة عام، لا بعد هجرة نبينا محمد ﷺ بأكثر من اثنى عشر قرناً فمن حمل الربوة على مكان بباكستان، أو تأول ابن

---

(١) سورة المائدة: من الآية (٧٥).

(٢) سورة المؤمنون: الآية (٥٠).

مريم على غلام أحمد فقد حرف الآية وافترى على الله كذباً وخرج عن واقع التاريخ.

الآيـة الـثـامـنـة: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[1].

الجواب: استدلال القاديانيين بهذه الآية على موت عيسى عليه السلام فيما مضى مبني على تفسير المتوفى بالإماتة، وهو مخالف لما صح عن السلف من تفسيره بقبض الله رسوله عيسى عليه السلام من الأرض ورفعه إليه حياً وتخليصه بذلك من الذين كفروا جميعاً بين نصوص الكتاب والسُّنة الصحيحة الدالة على رفعه حياً وعلى نزوله آخر الزمان وعلى إيمان أهل الكتاب جميعاً وغيرهم به.

أما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من تفسير التوفي هنا بالإماتة فلم يصح سنده لانقطاعه إذ هو من رواية علي بن أبي طلحة عنه وعلي لم يسمع منه ولم يره، ولم يصح أيضاً ما رُوي عن وهب بن منبه اليماني من تفسير التوفي بالإماتة لأنه من رواية محمد بن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب ففيه عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس وفيه مجهول ثم هذا التفسير لا يزيد عن كونه احتمالاً في معنى التوفي فإنه قد فسر بأن الله قد قبضه من الأرض بدناً وروحاً، ورفعه إليه حياً وفسر بأنه أنامه ثم رفعه، وبأنه يميته بعد رفعه ونزوله آخر الزمان إذ الواو لا تقتضي الترتيب وإنما تقتضي جمع الأمرين له فقط.

وإذا اختلفت الأقوال في معنى الآية وجب المصير إلى القول الذي

---

(١) سورة آل عمران، من الآية (٥٥).

يوافق ظواهر الأدلة الأخرى جمعاً بين الأدلة ورداً للمتشابه منها إلى المحكم كما هو شأن الراسخين في العلم، دون أهل الزيغ الذي يتبعون ما تشابه من التنزيل ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وقانا الله شرهم.

الآية التاسعة: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾(١).

الجواب: الاستدلال بالآية على موت عيسى عليه السلام، قبل رفعه إلى السماء، أو بعد رفعه وقبل نزوله آخر الزمان، مبني على تفسير التوفي بالإماتة كما سبق في الكلام على الآية الثامنة، وقد تقدم أن هذا التفسير غير صحيح وأنه على خلاف ما فسره به السلف جمعاً بين نصوص الأدلة من الكتاب والسُّنة الصحيحة.

الآية العاشرة: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(٢).

الجواب: هذه الكلمة مما حكاه الله سبحانه في القرآن، من كلام عيسى عليه السلام في المهد، وفيها أنه سبحانه أمره بالصلاة والزكاة ما دام حياً وليس فيها تحديد لحياته ولا بيان لوقت مماته. وقد بينت ذلك الآيات التي تقدم ذكرها، فيجب حمل المجمل على المفصل من النصوص وألا يضرب بعضها ببعض، ولا يوقف عند الذي يتشابه فإن جميع ذلك من عند الله يبين بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً.

الآية الحادية عشرة: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(٣).

---

(١) سورة المائدة: من الآية (١١٧).

(٢) سورة مريم: من الآية (٣١).

(٣) سورة مريم: الآية (٣٣).

الجواب: هذه كالتي قبلها، فيها إثبات السلام والأمن له من الله في كل أحواله وليس فيها تحديد لمدة حياته، ولا لوقت موته، فيجب الرجوع إلى النصوص الأخرى التي تبين ذلك كما تقدم بيانه.

الآية الثانية عشرة: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾[1].

الجواب: هذه الآية سيقت للرد على من عبد غير الله من الملائكة وعزير وعيسى واللات والعزى، ومناة، ببيان أنهم لا يخلقون شيئاً ما ولا ذباباً، بل هم مخلوقون مربوبون أموات غير أحياء.

لكن الأدلة الأخرى دلت على بقاء عيسى عليه السلام حياً، حتى ينزل ويحكم بين الناس بشريعة محمد ﷺ ثم يموت.

الآية الثالثة عشرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2].

الجواب: هذه الآية أمر الله فيها بالإيمان بجميع الأنبياء وما أنزل إليهم من ربهم وبين أنه سبحانه لا يفرق بينهم في وجوب الإيمان بهم، وما أنزل إليهم من الله، وفي هذا رد على اليهود والنصارى الذين قالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا. وبيان لما أجمل من الرد عليهم في قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[3].

---

(1) سورة النحل: الآية (٢٠) وجزء من الآية (٢١).
(2) سورة البقرة: الآية (١٣٦).
(3) سورة البقرة: الآية (١٣٥).

وليس المراد الأمر بعدم التفريق بينهم في الموت والحياة، فإن هذا لا يرشد إليه سياق الكلام بل يرشد إلى ما ذكرنا. كما أن ذلك مما لم تدع إليه الرسل فحمل الآية عليه تحريف لها عما سيقت له من المعنى وعلى تقدير حمل قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾[1].

على عمومه حتى يشمل عدم التفريق بينهم في جنس الموت والحياة، بدليل الواقع والنصوص، فإن ذلك يدل على التفاوت بينهم في كثير من صفات الموت والحياة وأنواعها وزمنها ومكانها وطول العمر وقصره، إلى غير ذلك فلتكن من حياة عيسى وامتدادها طويلاً ومكانها وموته بعد ذلك، مما اختلف فيه عن إخوانه النبيين بدليل النصوص السابقة.

الآية الرابعة عشرة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

الجواب: القصد من هذه الآية بيان أن كل إنسان مجزي بعمله لا يتجاوزه إلى غيره، ولا يُسأل عنه سواه، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[4].

فعليه أن يسعى جهده في كسب الخير واجتناب الشر وألا يتعلق على غيره فخراً به أو أملاً في النجاة من العذاب يوم القيامة بقرابته منه أو صلته به وتعظيمه له في دنياه.

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٣٦).
(٢) سورة البقرة: الآية (١٣٤).
(٣) سورة الطور: الآية (٢١).
(٤) سورة الأنعام: الآية (١٦٤).

وعيسى عليه السلام وإن دخل في عموم الأمة الماضية، إلا أن الأدلة من الكتاب والسُّنة قد خصصته برفعه إلى السماء وإبقائه حياً ثم إنزاله آخر الزمان إلى آخر ما تقدم بيانه. ومن الأصول المعلومة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الخاصة يُقضى بها على النصوص العامة فتخصها والنصوص التي نحن بصددها من ذلك.

الآية الخامسة عشرة: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

الآية السادسة عشرة: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[2].

الجواب: تقدم الكلام على هاتين الآيتين في الكلام على الآية الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

وبالجملة فما يتعلل به القاديانيون من الآيات القرآنية لإثبات ما زعموا أن عيسى عليه السلام قد مات ودفن:

١- إما عموميات خصصتها أدلة أخرى من الآيات والأحاديث دلّت على رفع عيسى حياً وبقائه كذلك حتى ينزل آخر الزمان ويحكم بشريعة القرآن.

ووقف القاديانيون عند عموم الآيات بعد تخصيصها، وذلك باطل لمخالفته للقواعد والأصول الإسلامية.

٢- وإما آيات مجملة فسرتها نصوص أخرى يجب المصير إليها فوقف

---

(١) سورة النساء: من الآية (١٥٧)، والآية (١٥٨).

(٢) سورة النساء: الآية (١٥٩).

القاديانيون عند المجمل يتعللون به لباطلهم، دون أن يرجعوا إلى المحكم، الذي فسره، وهذا شأن من في قلوبهم زيغ ونفاق، الذين يتبعون ما تشابه من نصوص الكتاب والسُّنة، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله على ما يوافق هواهم.

٣- وإما كلمات اعتمدوا في تفسيرها على آثار لم يصح نسبتها إلى السلف. وقد تقدم بيان ذلك عند الكلام على الآية الثامنة. ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(١).

ففرح هؤلاء بهذه الآثار لموافقتها لهواهم، وموَّهوا بها على الجمهور، ولم ينظروا إلى أسانيدها. إما لجهلهم وإما تدليساً وخداعاً وترويجاً لباطلهم، وما ذلك إلا لزيغهم ورغبتهم في الفتنة.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾(٢).

والله الموفق للصواب وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء(٣)

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٥٥).

(٢) سورة آل عمران الآية: (٧).

(٣) انظر مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) ١٤١٥هـ.

المبحث الرابع

اهتمامه بكتب العقيدة وتأثره بعلماء السلف

سبق وأن وضّحتُ أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كان موسوعي المعرفة، له نفس طلعة لا تملّ من القراءة ولا تكل من المعرفة، ولم تكن له مكتبة ضخمة، كما عند غيره ولكنه كان ينتقي الكتب انتقاءً، فكان -رحمه الله- حسن الاختيار للكتاب، فلا يقتني من الكتب إلا ما كان مفيداً ونافعاً.

ولقد كانت له عناية خاصة بكتب العقيدة وبكل الكتب السلفية التي تُعنى بأمر المعتقد، وتوضح عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

ويؤكد هذا أحد كبار طلبته وهو فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد المنعم[1] فيقول: كان الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- ينتهز الفرصة بين الحين والحين فيوصي الطلبة بالعناية بكتب السلف، والاطلاع عليها، والاستفادة من العطلة الصيفية بمواصلة القراءة لاسيَّما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم -رحمهما الله تعالى[2].

ويقول فضيلة الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي: لقد كان -يرحمه الله- واسع العلم بمسائل العقيدة، شديد التمسك بمذهب السلف الصالح مع المعرفة التامة بالمِلل والنِّحل المختلفة وأصولها التي تصدر عنها،

---

(١) الأمين العام لهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

(٢) انظر الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

عالماً بعوارها ومواطن دحضها. لقد كان -رحمه الله- شديد الإعجاب بشيخ الإسلام ابن تيميَّة، كثير الرجوع إلى مؤلفاته، وكان مما سمعته منه: «لم أر لدى أكثر المؤلفين في العصور المتأخرة جديداً، بل تكرار لما ذكره مَنْ سبقهم سوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله- فإنك تجد في مؤلفاته الكثير منه ولا يتغير فيه شيء»[1].

ويتحدث فضيلة الدكتور محمد بن لطفي الصباغ عن اهتمام الشيخ بكتب العقيدة وسعة اطلاعه عليها قائلاً: كان -رحمه الله- من كبار علماء التوحيد على مذهب السلف -رحمه الله- واقفاً على كلام ابن تيميَّة وتلميذه ابن القيِّم وقد استطاع أن يرد ما جاء في «شرح الطحاوية» وهو مقتبس من كلام ابن تيمية وتلميذه إلى مواضعه من كتبهما، وقد تضمنت طبعة المكتب الإسلامي الأخيرة للكتاب هذه الإحالات[2].

قلت: ومما لا شك فيه أن كتب العقيدة السلفية كانت أحب الكتب إلى قلب الشيخ، وكانت عنايته بها بالغة ويرجع ذلك إلى زمنٍ بعيد منذ أن كان طالباً بالأزهر، فقد حرص على قراءة واقتناء كتب شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة وتلميذه العلامة ابن القيِّم -رحمهما الله تعالى- وقد أخبرني الثقات ممن زاملوا الشيخ أنه كان حريصاً على شراء كتب الشيخين «ابن تيميَّة وابن القيِّم» على الرغم من ندرة كتبهما والزهادة والتنفير من قراءة مؤلفاتهما. ومما تجدر الإشارة إليه أن أكثر تعليقات الشيخ عبد الرزاق وتصويباته كانت على كتب الشيخين ومن هذه التعليقات النفيسة تعليقه على «العقيدة الحموية»، و«العقيدة الواسطية» و«العقيدة الطحاوية» و«الرسالة التدمرية».. وغيرها.

---

(١) انظر الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

(٢) انظر كلمة «الشيخ عبد الرزاق من بقية السلف، الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

المبحث الخامس

كفاحه ضد البدع والمنكرات

كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- صاحب سُنَّة، ورجل عقيدة كان يهتم بحماية السُّنة والقضاء على البدع والإنكار على أهلها، وكانت تأخذه الغيرة في ذلك، ومع ذلك لم يكن ينتصر لنفسه، ولا يزهو على غيره لقد حارب المبتدعة وهو يحمل لواء السُّنة، يزود عن حياضها، ويدافع وينافح عنها، ويؤكد هذا أحد تلاميذه في مصر قائلاً:

ولقد عاش -رحمه الله- في مصر أياماً اتسع فيها مدّ الصوفية، وراجت أفكارهم التي تزعم في الأنبياء زعماً أقرب إلى زعم النصارى في نبيِّهم. وغالى بعضهم فزعم أن محمداً وربه حقيقةٌ واحدة، وفيهم مَنْ زعم أنهم خُلقوا من نور، وإن أجسادهم شفافة شفافية البلور النقي، وأن.. وأن.. إلى آخر تلك الأباطيل التي باركتها السياسة، ومكن الاستعمار لأقطابها في الأرض.

ولقد تصدَّى الشيخ -رحمه الله- لمثل هذه النزعات الضالة، وكان أخشى ما يخشاه أن يفيض المستنقع الصوفي، ويلوث ما حوله، ويتسلل إلى خلد بعض تلاميذه الموحدين. رأيٌ بأن الخطر داهم، وأنَّه يتفجر من مراكز قوة. وأن فصائل الغرب المستعمر يفسحون لهذه الأفكار ويهشون لها باسم حرية الفكر وباسم الفلسفة الإسلامية[1].

---

(١) انظر كلمة الأستاذ بخاري أحمد عبده في الفصل السادس «ثناء العلماء عليه».

ومما يدل على فطنة الشيخ عبد الرزاق وإلمامه بواقع الناس وحُس معالجته للأمور ما ذكره فضيلة الدكتور محمد بن لطفي الصباغ قائلاً:

وقد حدثني رحمه الله - أنه أراد أن يحذِّر إخوانه في مصر من دجل الدجالين من القصاص والوعاظ الذين يأتون في دروسهم بالأقاصيص الممتعة التي تشد السامعين وتمتعهم وتستحوذ على إعجابهم ولا أصل لها، والعامة هذا شأنهم في أغلب البلاد، فألقى عليهم درساً ملأه بمثل تلك الأقاصيص الغريبة فأُعجبوا بالدرس واستمتعوا، فلما رأى ذلك بادياً على وجوههم سألهم: مارأيكم: أهذا الدرس أحسن أم الدروس السابقة؟ قالوا: بل هذا. إنه درس جميل ممتع. فقال لهم: هذا كله غير صحيح، وما كنا عليه في دروسنا السابقة هو الصواب[1].

ويتحدث فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام عن تصدي الشيخ لأهل البدع قائلاً:

ولم يكن -رحمه الله- مقتصراً على العلم فقط، وإنما كان يحرص على العلم والعمل وعلى التعليم أيضاً وعلى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وهو في قريته وبعد التحاقه بالأزهر، كان -رحمه الله- حريصاً على الدعوة إلى الله مُركِّزاً على ما يحتاج إليه مجتمعه آنذاك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فقهه لواقعه الذي يعيشه، فالشيخ -رحمه الله- وُجِد في عالم يموج في كثير منه بالبعد عن الله عزَّ وجل والوقوع في معتقدات تخالف العقيدة الصحيحة والوقوع في الشركيات والبدع وعبادة القبور والخرافات، فكان -رحمه الله- داعية إلى التوحيد وهو في مقاعد

(١) انظر الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

التحصيل والعلم والدراسة وكان له في ذلك أسلوب حسن، ومن أساليبه في ذلك -رحمه الله- أنه كان حريصاً على أن يبني المساجد وعلى أن يُسهم فيها وأن يوجد في كل مكان من قريته مسجد يجتمع فيه الناس ويؤدون فيه شعائر الإسلام، ولم يك ينظر إلى أنه يؤدي فيه شعائر الإسلام فقط، وإنما كان يرى أن رسالة المسجد رسالة علم وتعليم ودعوة إلى الله وما المسجد إلا بمثابة قلعة إيمان، وحصن فضيلة، ومحلاً للدعوة إلى الله وإشعاع النور في بيئة تموج فيها الخرافة والعقيدة المخالفة لعقيدة أهل السُّنة رحمهم الله[1].

قلت: ومما يدل كذلك على علمه بواقع عصره، وظروف بيئته ووقوفه على طرق المبتدعة ومناهجهم الخبيثة ما حرَّره بيده موضحاً حقيقة أهل الزيغ والإلحاد والابتداع قائلاً: وقد ورث ذلك الزيغ والإلحاد، أناس ظهروا في عصور متعاقبة بأسماء مختلفة واشتهروا بألقاب متنوعة. فتارة يُسمون بالدهريين، وأخرى برجال الحقيقة ووحدة الوجود، وأحياناً بالشيوعيين وأخرى بالوجوديين وآونة بالبهائيين، إلى غير ذلك من العبارات التي اختلفت حروفها ومبانيها، وائتلفت مقاصدها واتحدت معانيها، فكلها ترمي إلى غرض واحد، وتدور حول محور واحد، هو أنه ليس للعالم رب يخلق ويدبر، وليس له إله يُعبد ويُقصد[2].

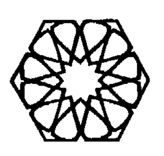
ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ عبد الرزاق كان له القدح المعلَّى في تخليص قريته «شنشور» من العادات التي تتنافى مع الدين وهي من الأمور المبتدعة والمنكرة ومن ذلك النياحة على الميت، ولطم الخدود،

---

(١) انظر الفصل السادس «ثناء العلماء عليه».

(٢) انظر مذكرة التوحيد ص١٧ طبع المكتب الإسلامي.

وزيارة النساء للقبور والأضرحة، وبناء المساجد على القبور والطواف بالأضرحة داخل المساجد وخارجها، إلى غير ذلك من البدع والضلالات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت.



المبحث السادس

نماذج من كتاباته وتعليقاته وتحقيقاته في العقيدة

سبق وأن ذكرت في المبحث العاشر من الفصل الثاني أن الشيخ عبد الرزاق -يرحمه الله- علّق على كتب كثيرة، ورسائل متنوعة وبعض هذه الكتب والرسائل لم يطبع حتى الآن، وفي هذا المبحث، أوردت نماذج أخرى من كتابات الشيخ وتعليقاته وتصويباته لبعض الكتب التي أُلفت في العقيدة، وأبدأ أولاً بإيراد نماذج نيّرة من كتاباته، ومن ذلك مبحث الرسالة وحاجة البشر إلى الرسالة والحكمة من إرسال الرسل، والطريقة المثلى للدعوة إلى الله، وقد صدّر -رحمه الله- مبحث الرسالة بقوله:

الإيمان بالرُّسل عليهم الصلاة والسلام ركن من أركان الدين، فلا يستقيم لأحدٍ دين ولا يقبل منه عمل إلا إذا أيقن برسالتهم وأذعن لكل ماجاؤوا به من الشرائع كل حسب طاقته وبقدر ما بلغه من ذلك إجمالا أو تفصيلا. قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1]. وفي الحديث أن جبريل سأل النبي عليهما الصلاة والسلام عن الإيمان فبيّنه بقوله: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

(٢) رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومَنْ زعم أنّه آمن ببعض الرُّسل دون بعض لم يقبل منه ذلك، وكان في حُكْم مَنْ كفر بالجميع، وذلك لأمرين الأول: أنّ من تقدّم من الرُّسل قد بشَّر بمن تأخَّر منهم وأخذ عليه وعلى مَنْ تبعه العهد والميثاق إنْ أدركهم أن يؤمنوا به وينصروه وإن مَنْ تأخَّر منهم مُصدِّقٌ لما بين يديه منهم. فمن كفر بواحدٍ منهم تقدَّم أو تأخَّر فهو كافر بجميعهم. الثاني أنّ الأمر الذي ثبتت به رسالة من آمن به منهم ومن أجله صدَّقه وهو «المعجزة» قد أجرى الله مثله على يدِ مَنْ كفر به من الأنبياء تصديقاً لهم في دعوى الرسالة قال ﷺ: «مامن الأنبياء نبيٌّ إلا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيتُه وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» فكان إيمانه بمن آمن به وكفره بغيره منهم اتباعٌ للهوى لا لدليل النبوَّة وإلا لآمن بالجميع، ومَن كان إيمانه تبع هواه ولو تغير هواه لتغير إيمانه فليس بمؤمن في حكم الشريعة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[1].

والقول في رسالة الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، يتشعب شُعباً كثيرة ويرجع إلى مباحث عدة، يرجع الى إمكان أن يُوحي الله إلى بعض مَنْ يصطفيه من عباده بشريعة ليهدي بها أُمّته سواءُ السبيل. ثم إلى حاجة العالم إلى هذه القيادة الرشيدة والشريعة المستقيمة، ليكون إرسالهم على

(١) سورة النساء: الآيتان (١٥٠، ١٥١).

مقتضى الحكمة وموجب العدالة الإلهية. ثم إلى بيان ما يؤيدهم الله به من الآيات البيِّنات، والمعجزات الباهرات التي تدلُّ على صدقهم فيما ادعوه من الرسالة والبلاغ عن الله، لتقوم بذلك الحُجَّة وينقطع العذر، ثم إلى بيان ما يتعلق بذلك من تنوّع المعجزات وحكمته. وبيان الفوارق بين المعجزات والسحر والكهانة. وبيان ما يعدُّ الله به رسله قبل الرسالة من السيرة الحميدة والأخلاق الفاضلة، ليكون ذلك أقرب إلى أن تستجيب لهم أممهم وتتقبل عنهم ما دعوهم إليه.

وقد تكفَّل الله ببيان ذلك كله خبراً وعقلاً وفطرةً فيما أنزل على رسله فعلَّمهم سبحانه طريق الحجة والبرهان التي يخضع لها العقل الصريح، وسلك بهم الطريقة المثلى التي لا يرتاب فيها إلا من سفه نفسه وأنكر فطرته.

واليك تفصيل ذلك لتعلم أنَّ الشرائع الإلهٰية تعتمد في أصولها الحجة والإقناع، وإن جاء في فروعها وتفاصيل أصولها ما قد يعجز العقل عن إدراك حكمته، فطريق ثبوت مثل هذا الخبر عن المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

١- إمكان الوحي والرسالة:

لا يبعد في نظر العقل، ولا يستحيل في تقدير الفكر، أن يختص واهب النِّعم ومفيض الخير سبحانه، بعض عباده بسعةٍ في الفكر، ورحابة في الصدر، وحسن قيادةٍ وكمال صبر وسلامة في الأخلاق، ليُعدَّهم بذلك لتحمل أعباء الرسالة، ويكشف لهم عمَّا أخفاه عن غيرهم، ويوحي إليهم بما فيه سعادة الخلق وصلاح الكون، رحمة للعالمين وإعذاراً إلى الكافرين، وإقامة للحجة على الناس أجمعين، فإنَّه سبحانه بيده ملكوت كلِّ شيء، وهو الفاعل المختار لا مانع لما أعطى ولا مُعطي لما منع وهو على كل شيء قدير، وآية ذلك أنَّا

نشاهد الله سبحانه خلَق عباده على طرائق شتى في أفكارهم، ومذاهب متباينة في مداركهم، فمنهم من سما عقله واتسعت مداركه واطلع من الكون على كثير من أسراره حتى وصل بما منحه الله من ثاقب الفكر ويُسّر له من التجارب إلى أن اخترع للناس ما رفع إليه من أجله أولو الألباب رؤوسهم إعجاباً به، وشهادة له بالمهارة، وأنكره عليه صغار العقول وعدوه شعوذة وكهانةً أو ضرباً من ضروب السحر. ولم يزالوا كذلك حتى استبان لهم بعد طول العهد ومرِّ الأزمان ما كان قد خفي عليهم فأذعنوا له وأيقنوا بما كانوا به يُكذِّبون.

ومنهم مَنْ ضعف عقله وضاقت مداركه، فعميت عليه الحقائق واشتبه عليه الواضح منها، فأنكر البديهيات وردَّ الآيات البيِّنات، ومنهم من انتهى به انحراف مزاجه واضطراب تفكيره إلى أنْ أنكر ما تدركه الحواس كطوائف السوفسطائية.

وكما ثبت التفاوت بين الناس في العقول والأفكار بضرورة النظر وبديهة العقل، ثبت التفاوت بينهم أيضاً في قوة الأبدان وضعفها، وسعة الأرزاق وضيقها ونيل المناصب العالية والاستيلاء على زمام الأمور، وقيادة الشعوب والحرمان من ذلك إمّا للعجز وإما للقصور أو التقصير وإمّا لِحِكَم أخرى يعلمها بارئ الكائنات، ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا، وربما كُشف الغطاء عن كثير منها لمن تدبّر القرآن وعرف سيرة الأنبياء وتاريخ الأمم وما جرى عليها من أحداث.

فمَنْ شاهد ما مضت به سُنة الله في عباده، من التفاوت بينهم في مداركهم وقواهم وإرادتهم وغير ذلك من أحوالهم، لم يسعه إلا أن يستسلم للأمر الواقع ويستيقن أن الله يُنبئ مَنْ شاء مِن خلْقه، ويصطفي مَن أراد مِن عباده ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ

لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]. ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[3].

بل هذا الحوار وأمثاله مما دار بين الرُّسل وأممهم يدلُّ على أنَّهم لم يكونوا ينكرون أصل الرسالة، ولم يكونوا يستبعدون أن يصطفي الله روحاً طيبة لوحيه أو يختار نفساً طاهرة لتبليغ رسالته وهداية خلقه، لكنهم استبعدوا أن يكون ذلك الرسول من البشر، وظنوا خطأً أنَّه إنما يكون من الملائكة، زعماً منهم أن البشرية تنافي الرسالة، فمهما صفت روح الإنسان وسمت نفسه، واتسعت مداركه، فهو في نظرهم أقل من أن يكون أهلاً لأن يُوحي الله إليه وأحقر من أن يختاره سبحانه لتحمل أعباء رسالتهم. وقد ذكر الله عنهم هذه الشبهة وردَّها بما لا يسع العاقل إلا قبوله والإذعان له، ومَنْ نظر في الكتب المنزَّلة وتصفح ما رواه علماء الأخبار مما دار بين الأنبياء وأممهم من الجدال والحِجاج اتضح له ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ

---

(١) سورة النساء: الآية (١٦٥).

(٢) سورة القصص الآية (٦٨).

(٣) سورة الزخرف الآيتان (٣١، ٣٢).

نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾[1]. الآيات إلى قوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[2].

فانظر كيف فرُّوا من ميدان المناظرة إلى استعجال الهلاك، وطلبوا ذلك من نوح فبيَّن لهم أنَّ ذلك إلى الله لا إليه إن عليه إلا النصح والبلاغ المبين، وإقامة الحجة والبرهان. وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾[3]. فذكر شبهتهم ثم ردَّها بما آتاه من المعجزة الدالة على صدقه، وبنصره وإهلاكهم فإنَّ العاقبة للمتقين.

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[5]. إلى غير ذلك من الآيات التي دلت على أن إنكار الأمم لم يكن لأصل الرسالة، إنما كان لبعث رسول إليهم من جنسهم.

---

(١) سورة هود، الآيات (٢٥ ـ ٢٧).
(٢) سورة هود، الآيتان (٣٢، ٣٣).
(٣) سورة القمر، الآيات (٢٣ ـ ٢٦).
(٤) سورة الأنعام، الآية (٩١).
(٥) سورة إبراهيم، الآية (١١).

ولو قال قائل، إنَّ أئمة الكفر، وزعماء الضلالة، كانوا يوقنون بإمكان أن يرسل الله رسولاً من البشر،غير أنهم جحدوا ذلك بألسنتهم حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، وتمويهاً على الطغام من الناس، وخداعاً لضعفاء العقول، وتلبيساً عليهم خشية أن يستجيبوا إلى مقتضى الفطرة، ويسارعوا إلى داعي الدين ومتابعة المرسلين- لو قال ذلك قائل ما كان بعيداً عن الحقيقة ولا مجافياً للصواب؛ بل بدرت منهم البوادر التي تؤيد ذلك وتصدقه وسبق إلى لسانهم ما يرشد البصير إلى ما انطوت عليه نفوسهم من الحسد والاستكبار أنْ يؤتى الرُّسل ما أوتوا دونهم، وأنْ ينالوا من الفضيلة وقيادة الأمم إلى الإصلاح ما لم ينل هؤلاء قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾(4).

---

(1) سورة الأنعام: الآية (١٢٤).

(2) سورة الزخرف: الآية (٣١).

(3) سورة النمل: الآيتان (١٣، ١٤).

(4) سورة البقرة: الآية (١٠٩).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(1).

هذا وليس بدعاً أن يختار الله نبيًّا من البشر، ويبعث إليهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، بل ذلك هو مقتضى الحكمة وموجب العقل. فإن الله سبحانه قد مضت سنته في خلْقه أن يكونوا أنواعاً مختلفة على طرائق شتى، وطبائع متباينة، لكلٍّ نوع غرائزه وميوله أو خواصه ومميزاته التي تقتضي الأنس والتآلف بين أفراده، وتساعد على التفاهم والتعاون بين جماعاته ليستقيم الوجود، وينتظم الكون، فكان اختيار الرسول من الأمّة أقرب إلى أخذها عنه، وأدعى إلى فهمها منه، وتعاونها معه لمزيد التناسب ومكان الألف بين أفراد النوع الواحد. ولو كان عُمَّار الأرض من الملائكة لاقتضت الحكمة أن يبعث الله إليهم مَلَكاً رسولاً وقد أرشد الله إلى ذلك في ردِّه على من استنكر أن يرسل إلى البشر رسولاً منهم. قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾(2).

ولكن شاء الله أن يجعل عمارة الأرض من البشر، فاقتضت حكمته أن يرسل إليهم رسولاً من أنفسهم، بل اقتضت حكمته ما هو أخص من ذلك ليكون أقرب إلى الوصول للغاية وتحصيل المقصود من الرسالة. فكتب على نفسه أن يرسل كل رسول بلسان قومه قال تعالى: ﴿وَمَآ

---

(1) سورة البقرة: الآية (١٤٦).

(2) سورة الإسراء: الآيتان (٩٤ ـ ٩٥).

أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[1].

ولو قُدِّر أنَّ الله أجاب الكفار إلى ما طلبوا من إرسال مَلَك إليهم لجعل ذلك المَلَك في صورة رجل، ليتمكنوا من أخذ التشريع عنه والاقتداء به فيما يأتي ويذر، ويخوض معهم ميادين الحجاج والجهاد. وإذ ذاك يعود الأمر سيرته الأولى، كما لو أرسل الله رسوله من البشر، ويقعون في لبس وحيرة جزاءً وفاقاً قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[2].

ومن نظر في آيات القرآن وعرف تاريخ الأُمم تبيَّن له أن سُنَّة الله في عباده أن يرسل إليهم رسولاً من أنفسهم. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾[4].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (٤).
(٢) سورة الأنعام: الآيتان (٨ ـ ٩).
(٣) سورة النحل: الآيتان (٤٣ ـ ٤٤).
(٤) سورة الفرقان: الآية (٢٠).

٢- حاجة البشر إلى الرسالة:

الأفعال الاختيارية: منها ما تحمد عقباه فيجمل بالعاقل فعله، والحرص عليه، ولو ناله في سبيل تحصيله حرج ومشقة، وأصابه في عاجل أمره كثير من الآلام. ومنها ما تسوء مغبته، فيجدر بالعاقل أن يتماسك دونه، وأن يتنكب طريقه، خشية شره، وطلباً للسلامة من ضره، وإن كان فيه ما فيه من الملذات العاجلة التي تغري الإنسان بفعله، وتخدعه عما فيه سلامة نفسه.

غير أن عقله قد يقصر في كثير من شؤونه، عن التمييز بين حسن الأفعال وقبيحها، ونافعها وضارِّها، فلا بدَّ من معين يساعده على ما قصر عنه إدراكه، وقد يعجز كلِّياً عن العلم بما يجب عليه علمه، لأنه ليس في محيط عقله، ولا دائرة فكره، مع ما في علمه من صلاحه وسعادته، وذلك: كمعرفته الله، واليوم الآخر والملائكة تفصيلاً، فكان في ضرورة إلى من يهديه إلى الطريق في أصول دينه، وقد يتردد في أمر إما لعارض هوى وشهوة، أو لتزاحم الدواعي واختلافها، فيحتاج إلى من ينقذه من الحيرة، ويكشف له حجاب الضلالة بنور الهداية، فبان بذلك حاجة الناس إلى رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويكملهم بمعرفة ما قصرت عنه أفهامهم، ويوقفهم على حقيقة ما عجزوا عنه، ويدفع عنهم الألم والحيرة، ومضرة الشكوك.

- أضف إلى ذلك أن تفاوت العقول والمدارك، وتباين الأفكار، واختلاف الأغراض، والمنازع، ينشأ عنه تضارب الآراء، وتناقض المذاهب، وذلك يفضي إلى سفك الدماء، ونهب الأموال، والاعتداء على الأعراض، وانتهاك الحرمات، وبالجملة ينتهي إلى تخريبٍ وتدمير، لا إلى تنظيمٍ

وحُسن تدبير، ولا يرتفع ذلك إلا برسول يأتي بفصل الخطاب، ويقيم الحجة، ويوضح المحجة، فاقتضت حكمة الله أن يرسل رسله رحمة بعباده، وإقامة للعدل بينهم، تبصيراً لما يجب عليهم من حقوق خالقهم، وإعانة لهم على أنفسهم، وإعذاراً إليهم، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله. من أجل ذلك أرسل الرُّسل وأنزل الكتب.

- ومما تقدم يُعلم أن إرسال الله الرُّسل مما يدخل في عموم قدرته -تعالى- وتقتضيه حكمته، فضلاً منه، ورحمة، والله عليم حكيم، وهذا هو القول الوسط، والمذهب الحق.

- وقد أفرط المعتزلة فقالوا: إن بعثة الرسل واجبة على الله -تعالى- إبانة للحق، وإقامة للعدل، ورعاية للأصلح، وهذا مبني على ما ذهبوا إليه من القول بالتحسين والتقبيح العقليين، وهو أصل فاسد.

- وتطرف البراهمة[1] فأحالوا أن يصطفي الله نبيًّا، ويبعث من عباده رسولاً، وزعموا أن إرسالهم عبث، إما لعدم الحاجة إليهم اعتماداً على العقل في التمييز بين المفاسد والمصالح، واكتفاءً بإدراكه ما يحتاج إليه العباد في المعاش والمعاد، وإما لاستغناء الله عن عباده، وعدم حاجته إلى أعمالهم، خيراً كانت أم شراً، إذ هو -سبحانه- لا ينتفع بطاعتهم، ولا يتضرر لمعصيتهم، وقد سبق بيان عدم كفاية العقل في إدراك المصالح والمفاسد وحاجة العالم إلى الرسالة تحقيقاً لمصالحهم مع غنى الله عن الخلق وأعمالهم، فليس إرسالهم عبثاً بل هو مقتضى الحكمة والعدالة.

---

(١) البراهمة: قيل: إنهم جماعة من حكماء الهند تبعوا فيلسوفاً يسمى برهام فنُسبوا إليه، وقيل: إنهم طائفة عبدت صنماً يسمى (برهم) فنسبت إليه، والقصد بيان مذهبهم في الرسالة. والرد عليه بما يدفع شبهتهم، مع أن بعضهم قد اعترف برسالة آدم. وآخرين منهم اعترفوا برسالة إبراهيم ـ عليهما السلام.

٣ ـ الحكمة من إرسال الرُّسُل(*)

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ المتقين، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله بعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، صلى الله عليه وعلى إخوانه النبيِّين والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإنَّ الله تعالى وسع كل شيء رحمة وعلماً سبحانه له الحكمة البالغة والقدرة الشاملة، والإرادة النافذة، لم يخلق عباده عبثاً، ولم يتركهم سُدى، بل بِعدْله قامت السماوات والأرض، وبحكمته وتشريعه وإرسال رسله قامت الحُجَّة، وسعد من اتبعهم وسلك طريقهم في الدنيا والآخرة وخاب وخسر مَنْ سلك غير سبيلهم، واتبع هواه بغير هدى من الله، قال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾[1] وقال: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾[2]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[3].

(*) انظر مجلة التوعية الإسلامية ومحاضرات موسم حج ١٣٩٣هـ.

(١) سورة القيامة: الآية (٣٦).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان (١١٥، ١١٦).

(٣) سورة ص: الآيات (٢٤ ـ ٢٩).

لا يليق بعاقل رشيد عرف كمال حكمة الله وسعة رحمته وعرف واقع الناس وما هم فيه من هرج ومرج وفساد وضلالة أن يُنكر حاجة البشر إلى قيادة رشيدة، عِمادها وَحْي الله وشريعته، تعتصم به، وتدعو الناس إليه، وتهديهم إلى سواء السبيل.

فإنَّ الإنسان قد يقصر عقله في كثير من أحواله وشؤونه عن التمييز بين الحسن من الأفعال وقبيحها، ونافعها وضارها، وقد يعجز عن العلم بما يجب عليه عِلْمه، لأنه ليس في محيط عقله ولا دائرة فكره، مع ما في علمه به من صلاحية وسعادة، كمعرفته بالله واليوم الآخر والملائكة تفصيلاً، فكان في ضرورة إلى معين يساعده في معرفة ما قصر عنه إدراكه أو عجز عنه فهمه، ويهديه الطريق في أصول دينه. وقد يتردد الإنسان في أمرٍ من شؤون حياته وتتملكه الحيرة فيه، إما لعارض هوىً وشهوة، وإما لتزاحم الدواعي واختلافها، فكان في أشد الحاجة إلى من ينقذه من الحيرة، ويكشف له حجاب الضلالة بنور الهداية، ويخرجه من الظلمات إلى النور، ويكمِّله بمعرفة ما عجز عنه فكره وفهمه، ويوقفه على حقيقة ما تردد فيه أو عجز عنه عقله، ويدفع عنه غائلة الألم والحيرة ومضرة الشكوك والأوهام[1].

إن تفاوت العقول والمدارك، وتباين الأفكار، واختلاف الأغراض والمنازع، ينشأ عنه تضارب الآراء وتناقض المذاهب وذلك مما يفضي إلى سفك الدماء، ونهب الأموال، والاعتداء على الأعراض وانتهاك الحرمات، وبالجملة ينتهي بالناس إلى تخريب وتدمير، لا إلى تنظيم وحُسن تدبير،

---

(١) سبق قريباً من هذا الكلام في الصفحات المتقدمة.

ولا يرتفع هذا إلا برسول يبعثه الله بفصل الخطاب ليُقيم به الحُجّة، ويوضّح به المحجة، فاقتضت حكمة الله أن يرسل رسله بالهدى ودين الحق، رحمة منه بعباده وإقامة للعدل بينهم، وتبصيراً لهم بما يجب عليهم من حقوق خالقهم وحقوق أنفسهم وإخوانهم، وإعانة لهم على أنفسهم، وإعذاراً إليهم، فإنّه لا أحد أحب إليه العُذْرُ من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن سعد بن عبادة قال: لو رأيتَ رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غيرُ مُصفح (أي بحده لا بصفحته) فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غَيْرة سعد، لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ منّي، ومن أجل غيْرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العُذْرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحبُّ إليه المِدْحَة من الله، ومن أجل ذلك وَعَد الله الجنة»[1].

بهذا يتبين أن إرسال الله الرسل إلى الناس مبشرين ومنذرين هو مقتضى حكمته، وموجب فضله وإحسانه ورحمته بعباده والله عليم حكيم.

ومن شاهد أحوال الناس وعرف واقعهم المرير الصاخب، وعرف أن الله لم يرسل الرُّسل لمصلحة تعود إليه أو مضرة يدفعها عن نفسه، تعالى الله عن ذلك عُلوّاً كبيراً، بل أرسلهم لمصالح البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة، أقول من عرف ذلك عرف فساد مذهب البراهمة، لمناقضته مقتضى الحكمة والرحمة، ومجافاته لواقع الناس.

---

(١) رواه البخاري (الفتح ١٣/٧٤١٦) في التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله»، ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

إن إرسال الله للرّسل ليس مستحيلاً في نفسه، ولا عبثاً حتى يجافي حكمة الله، بل هو جائز عقلاً، داخل في نطاق قدرة الله الشاملة وإرادته النافذة، فإنَّه سبحانه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا رادّ لما قضى، وهو على كل شيء قدير، يشد لهذا سُنَّة الله في تدبيره لشؤون خَلْقه وتصريفه لأحوالهم في عقولهم ومداركهم وفي أبدانهم وأرزاقهم، وفي وجاهتهم ومراكزهم في الحياة.

فإنَّا نشاهد أنَّ الله سبحانه خلق عباده على طرائق شتى في أفكارهم ومذاهب متباينة في مداركهم، فمنهم من سما عقله، واتسعت مداركه حتى وصل بثاقب فكره وانتهت به تجاربه إلى أن اخترع للناس ما رفع أولو الألباب إليه أبصارهم من أجله، إعجاباً به، وشهادة له بالمهارة، وأنكره عليه صغار العقول فعدوه شعوذة وكهانة، أو ضرباً من ضروب السحر، ولا يزالون كذلك حتى يستبين لهم بعد طول العهد ومر الأزمان ما كان قد خفي عليهم فيذعنوا له ويوقنوا بما كانوا به يُكذِّبون.

ومنهم مَن ضعف عقله، أو ضاقت مداركه، فعميت عليه الحقائق، واشتبه عليه الأمر الواضح، فأنكر البديهيات ورد الآيات البيِّنات، بل لمنهم من انتهى به انحراف مزاجه وضعف عقله إلى أن ينكر ما تدركه الحواس كالسوفسطائية، وكما ثبت التفاوت بين الناس في العقول والأفهام، ثبت التفاوت بينهم أيضاً في قوة الأبدان وضعفها وسعة الأرزاق وضيقها، ونيل المناصب العالية، والاستيلاء على زمام الأمور، وقيادة الشعوب والحرمان من ذلك إما للعجز أو القصور ليتخذ

بعضهم بعضاً سِخْرِيًّا، وإما لِحَكم أخرى عَلِمها مدبر الكائنات، وربما كشف عن كثير منها الغطاء لمَن تدبّر القرآن، وعرف سيرة الأنبياء، وعرف تاريخ الأمم وما جرى عليها مِنْ أحداث.

فمن شاهد ما مضت به سنة الله في عباده من التفاوت بينهم في مداركهم وإرادتهم وسائر قواهم وغير ذلك من أحوالهم، لم يسعه إلا أن يستسلم للأمر الواقع دون جدل أو مَراء، ويستيقن بأن الله الواهب النعم، المفيض للخير له سبحانه أن يختص بعض عباده بسعة الفكر، ورحابة الصدر وكمال الصبر، وحسن القيادة وسلامة الأخلاق ليعدهم بذلك لتحمل أعباء الرسالة، ويكشف لهم عما أخفاه عن غيرهم، ويوحي إليهم بما فيه سعادة الخلق، وصلاح الكون رحمة للعالمين، وإعذار للكافرين، وإقامة للحُجّة على الناس أجمعين، فإنه سبحانه بيده ملكوت كل شيء، لا يرد قضاؤه، ولا يمنع عطاؤه، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[1]، وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[2].

إن الفِطَر السليمة التي فطر الله عليها الناس لا تستبعد أيضاً ما مضت به سنة الله في عباده، وقضت به حكمته وعدله في خلْقه من إرساله سبحانه رسلاً مبشرين ومنذرين، بل أذعنت له، وأيقنت به، استجابة لمقتضى العقول الرشيدة، بل اعترف الكفار بذلك مع انحرافهم

(١) سورة القصص: الآية (٦٨).

(٢) سورة النساء: الآية (١٦٥).

وسلوكهم غير المنهج القويم، ولم ينكروا الرسالة نفسها، ولم يستبعدوا حاجتهم الهداية من الله عن طريق روح طيبة يختارها الله لوحيه أو نفس طاهرة يصطفيها الله لتبليغ شرعه، لكنهم استبعدوا أن يكون الرسل من البشر، وظنوا خطأ أنها إنما تكون من الملائكة، زعماً منهم أن البشرية تنافي هذه الرسالة فإنه مهما صفت روح الإنسان وسمت نفسه، واتسعت مداركه، فهو في نظرهم أقل شأناً من أن يوحي الله إليه، وأحقر في زعمهم مِنْ أن يختاره الله لتحمُّل أعباء رسالته، وإبلاغ شريعته.

ومن نظر في الكتب المنزلة، وتصفح ما رواه علماء الأخبار، اتضح له اعترافهم بإمكان الوحي وحاجتهم إليه حتى الكفار فإنهم إنما استبعدوا أن يختار الله لوحيه رسولاً من البشر، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ۝٢٧ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[3] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا

(١) سورة هود: الآيات (٢٥ ـ ٢٨).

(٢) سورة القمر: الآيات (٢٣ ـ ٢٥).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٩١).

أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[1] الآيات. وقال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3]. إلى غير ذلك من الآيات والأخبار التي تدل على أن إنكار الأمم لم يكن لأصل الرسالة ولا لحاجتهم إليها إنما كان لبعث رسول إليهم من جنسهم.

٤ ـ طريقة الرسل في إثبات العبادة:

لم يَدْعُ الأنبياء أممهم الى الإيمان بما جاءوا به من الشرائع دون بينة أو برهان يكون شاهدَ صدقٍ على إثبات أن ما دعوهم إليه وحي من الله وشْرعه الذي ارتضاه لعباده ديناً، ولم يلزموهم بذلك دون إقناع

---

(١) سورة يس: الآيات (١٣ ـ ١٥).

(٢) سورة إبراهيم: الآيتان (١٠، ١١).

(٣) سورة الأنبياء: الآيات (٢ ـ ٤).

تقوم به الحُجة ويُسقط به العذر، بل تحدى كل رسول أمته بما آتاه الله من الآيات البينات، والمعجزات الباهرات التي يخضع لها العقل السليم، وتتصاغر أمامها قوى البشر، وطلب منهم أن يأتوا بمثل ما ظهر علي يده من خوارق العادات ـ وأنى لهم ذلك وهو من اختصاص واهب القوى والقدر ـ فلما عجزوا عنه كان دليلًا واضحاً على صدقهم في دعوى الرسالة، وأن ما جاءوا به شرع الله ودينه الحق.

فإن لله سبحانه من كمال الحكمة والعدالة وسعة الرحمة والجود وسابغ الكرم والإحسان ما يمتنع معه أن يؤيد متنبئاً كذاباً يخدع العباد ويفسد عليهم أمر دينهم ودنياهم؛ بل يستحيل في حكمه وعدله أن يُبقي عليه أو يهمله؛ لما في ذلك من التلبيس والتضليل وفساد الكون وتخريبه، وهو شر محض، والشر ليس إليه سبحانه، ففي الحديث: «الخير كله بيديك والشر ليس إليك».

وقد بيّن سبحانه أنه بالمرصاد لمن افترى عليه كذباً، أو قال أُوحِي إليّ ولم يوحَ إليه بشيء، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[1].

وإذا أبت حكمة الله وسعة رحمته أن يترك عباده سُدىً، فلا يرسل إليهم رسولًا يأمرهم وينهاهم، ويبيّن لهم معالم الهدى وشرائع الحق، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حَيَّ عن بينة، فأولى في حكمه العدل ورحمته الواسعة أن يقضي علي المتنبئين كذباً وافتراء، وأن يعاجلهم

---

(١) سورة الحاقة: الآيات (٤٤ ـ ٤٧).

بالعقوبة والهلاك رحمة للعالمين وتمييزاً بين رسله الصادقين والمتنبئين الكاذبين.

هذا وأرجو أن أكون قد بيّنت بهذه الكلمة الموجزة بعض الدواعي التي تقتضي إرسال الرُّسل، وجوانب من حكمة الله في إعدادهم واصطفائهم لتلقي الوحي عنه، وتحمل أعباء البلاغ. وقيادتهم الأمم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، كما أرجو أن أكون قد أوضحت الحكمة في اختيار الرسل إلى البشر من جنسهم، وبلسان أُممهم، والرد على من يخالف في أصل إرسال الرسل، أو يمنع أن يكون رُسُل الله إلى البشر من جنسهم،ويخيّل إليه اختصاص ذلك بالملائكة والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وإخوانه النبيّين والمرسلين ومن اهتدى بهديهم وسلك منهجهم القويم.

(أ) الطريقة المثلى للدعوة إلى الله:

لم يرسل الله - تعالى - رسولًا إلا أمره بالتوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2]، وقد عُني الرسل عليهم الصلاة والسلام بذلك، فبدأوا البلاغ بدعوة أممهم الى أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً، وقطعوا فيه شوطاً بعيداً حتى شغلوا به الكثير من أوقات البلاغ، ولا عجب في ذلك فإن التوحيد أصل الدين وذروة سنامه، وملاك الإسلام ودعامته الأولى،

---

(١) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).

لا تصح من إنسان قربة، ولا يتقبل الله منه عبادة إلا إذا كانت مقرونة بالتوحيد وإخلاص القلب لله وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾[1]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾[2]، وقد أرشد الله الناس إلى أيسر الطرق في الدعوة إلى التوحيد وأسهلها، وأقربها إلى معرفة الحق وأعدلها، وهو الاستدلال بآيات الله وسننه الكونية وتفرده سبحانه بتصريفها وتدبيرها على تفرده بالإلهية واستحقاقه أن يُعبد وحده لا شريك له، فذلك أهدى سبيلًا وأقوم دليلًا، وأقوى في إقناع الخصم وإلزامه الحُجة، فإنه مقتضى العقل الصريح وموجب الفطرة السليمة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾[3]، فرتب سبحانه نهيه إياهم عن اتخاذهم شركاء له في العبادة على علمهم وإقرارهم بأنه ـ تعالى ـ وحده هو الذي خلقهم وخلق الذين من قبلهم، وهو الذي جعل الأرض قراراً، وذللها لهم ليمشوا في جوانبها، وليبتغوا من فضله، ورفع السماء بلا عمد وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم، لينعموا بما آتاهم من النعم

---

(١) سورة الزمر، الآيتان (٢، ٣).

(٢) سورة البينة، الآية (٥).

(٣) سورة البقرة، الآيتان (٢١،٢٢).

وليتمتعوا بما أفاض عليهم من الخيرات لعلهم يتقون ربهم وولّي نعمتهم، فيعبدوه وحده لا شريك له مخلصين له الدين، شكراً له على ما أسبغ عليهم من نعمه وأفاض عليهم من بركاته، وفي القرآن كثير من النظائر لهاتين الآيتين في بيان أسلوب الدعوة ورسم الطريق الناجحة في إقامة الحجة وإلزام الخصم، لقد سلك الأنبياء والمرسلون هذه الطريقة في دعوتهم أممهم إلى الهدى ودين الحق، اهتداءً بهدْي الله واسترشاداً بإرشاده وهو العليم الحكيم، ومن أبرزهم في ذلك أولو العزم من الرسل، ومنهم إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام.

أرسل الله جل شأنه خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى قوم من الفرس عتاة جبارين يعبدون التماثيل، فأنكر عليهم عكوفهم لها وتقربهم إليها، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1]، ولما لم يكن لديهم حجة يعتمدون عليها في عبادتهم الأصنام تعللوا لباطلهم بما وجدوا عليه آباءهم من التقرب إلى التماثيل وعبادتهم إياها، فألغوا عقولهم وقلدوا آباءهم على غير هدى وبصيرة ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[2]، فسفَّه إبراهيم عليه الصلاة والسلام أحلامهم، وحكم عليهم وعلى آبائهم بالحيرة والضلال المبين ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾[3]، وبيّن لهم أن التماثيل لا تسمع النداء، ولا تستجيب الدعاء، ولا تملك نفعاً، ولا توقع ضراً، فلا يليق بعاقل أن يتخذها آلهة مع مَنْ فطر السماوات والأرض،

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (٥١، ٥٢).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٥٣).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٥٤).

وإليه مقاليد الأمور، يؤتي المُلك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير قال: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[1].

فلما ركبوا رؤوسهم، وأبو إلا اللجاج والعناد، والعصبية الممقوتة في تقليد الآباء والأجداد أعلن براءته منهم وشدة عداوته لهم ولما يعبدون من دون الله، ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[2].

وجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه لا بد له من سلوك طريق آخر عملي في إقامة الحجة: ليكون أقوى في الإبانة عن الحق، وأملك في إلزام الخصم، يضطرهم به إلى الاعتراف بما هم فيه من ضلال وظلم وانحراف، فأقسم بالله أن يكيد لأصنامهم وهم عنها غائبون، وانتهز فرصة خروجهم من البلد لبعض شأنهم، وذهب إلى آلهتهم خفية لئلا يراه أحد فيصده عن تنفيذ ما أراد، فجعلهم قطعاً صغاراً إلا كبيراً لهم تركه سالماً، ليكون له ولهم معه شأن عند التحقيق فيما جرى على أصنامهم، فلما عادوا إلى منازلهم وشاهدوا ما أصيبت به آلهتهم ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ

---

(١) سورة الشعراء: الآيات (٧٢ ـ ٧٤).

(٢) سورة الشعراء: الآيات (٧٥ ـ ٨٢).

يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾[1]، فلما حضر مجلسهم أخذوا يقررونه بما صنع بآلهتهم، قالوا: من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ فأجابهم بنسبة ما حدث إلى مَنْ لا يتأتى منه، نسبه إلى كبير التماثيل وهو ـ كما يعلم ويعلمون ـ جماد لا حراك به؛ ذلك ليرشدهم إلى مكان الخطأ في عكوفهم على التماثيل، عبادة لها وتقرباً إليها، ويصرفهم عنها إلى عباد الله وحده لا شريك له، ويوحي إليهم بأنه هو الذي كاد لأصنامهم وأنزل بهم ما يكرهون، وقد أكد ذلك بأمره إياهم أن يسألوا التماثيل عمن أصابهم بالتكسير والتحطيم إن كانوا يملكون جواباً ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[2]، وقد نجحت هذه الطريقة إلى حد ما، وأوجدت فيهم وعياً، فثابوا إلى رشدهم وما كان في أصل قرائحهم واعترفوا بأنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بعبادتهم تماثيل لا تملك لنفسها نفعاً ولا تدفع عنها بأساً، وظلموا إبراهيم عليه السلام بصدهم عن دعوته، وإعراضهم عما جاءهم به من الآيات البينات على التوحيد وإخلاص العبادة لله ربِّ العالمين، لكنهم لم يلبثوا أن ركبوا رؤوسهم ونكصوا على أعقابهم وارتكسوا في حمأة الضلال والحيرة عصبية لما ورثوه عن آبائهم من الشرك والبهتان المبين، قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾[3]، لقد ازداد طريق الحق وضوحاً وبياناً، واستحكمت حلقات الحجة لإبراهيم على أبيه وقومه،

---

(١) سورة الأنبياء: الآيات (٥٩ ـ ٦١).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٦٣).

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان (٦٤، ٦٥).

وحُقَّ له أن يضيق ذرعاً من صدودهم، وأن يتأفف ضجراً من طغيانهم وشركهم، وأن ينكر عليهم ذلك إنكاراً صارخاً، ويرميهم بالخبال وإلغاء العقول، ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

لقد أخذت الحمية الجاهلية للباطل من نفوس قوم إبراهيم عليه السلام مأخذها، وتمكنت منهم العصبية لطاغوت التقليد للآباء والأجداد فيما أصيبوا به من الشرك والانحراف عن الحق حتى ملكت مشاعرهم، ووجهت عقولهم وأفكارهم إلى شر وجهة، وصرفتهم عن الحق المبين والصراط المستقيم، وزينت لهم أن يتخلصوا من إبراهيم عليه السلام، وينزلوا به أشد العقاب انتصاراً لآلهتهم الباطلة، وانتقاماً منه جزاءً له عما صنع لها من تحطيم وتكسير، ويعلم الله أنه ما أراد بذلك إلا الخير لهم، وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾[2]، لكن يأبى الله إلا أن ينصر رسوله وخليله إبراهيم عليه السلام، وأن يخذل أعداءه وأعداء دينه، ويبطل ما كادوا به لأوليائه فيبوؤا بالخسران المبين، امضاءً لسنته العادلة الحكيمة في أوليائه وأعدائه، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[3].

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (٦٦، ٦٧).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٦٨).

(٣) سورة الأنبياء: الآيات (٦٩ ـ ٧٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

ب- الطريقة المُثلى للدعوة إلى الله:

عُني إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بالدعوة إلى الإسلام، ووجّه جُلّ همه وأعظم عنايته إلى إيضاح التوحيد وبيانه وإقامة الحجة عليه، فبدأ به وكرّر الدعوة، مع اختلاف لهجته في ذلك ليناً وشدّة، وذكر أنواعاً من الأدلّة على التوحيد، وسلك طُرقاً شتى في الاستدلال بها عليه، إتماماً لإقامة الحجة، وزيادة في الإعذار إلى الأمة، وأملاً في أن يجد كلٌّ نوع منها، أو وجه من وجوه الاستدلال بها منفذاً إلى القلوب، فإن الناس مختلفون في مداركهم ومتفاوتون في طبائعهم وأفهامهم قوة وضعفاً، ليناً وصلابة، وإنصافاً للحق وعناداً وصدوداً عنه، فما يجدي من الأدلة وطرق الاستدلال بها مع طائفة قد لايؤثر على طائفة أخرى.

وفيما يلي بيان ذلك:

أنكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام على أبيه آزر أن يتخذ أصناماً آلهة، ولم يقرن ذلك فيما ذكر الله عنه في سورة الأنعام بما يخفف من وطأة الإنكار على نحو ما ذكر الله سبحانه عنه في سورة مريم، حيث مهّد فيها قبل الإنكار بندائه بقلب الأبوة، ولما أشرك قومه مع أبيه في

---

(١) سورة غافر: الآيتان (٥١، ٥٢).

(٢) سورة الفتح: الآية (٢٣).

الحكم كان أشد لهجة وإنكاراً، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]. فحكم عليهم بالجهل البيِّن، وعَمَى البصائر، ذلك ليثير عواطفهم، ويدفع بهم إلى التفكير فيمن يستحق أن يعبدوه مخلصين له الدين ولا يشركوا به شيئاً، أهو مَنْ بيده ملكوت كلِّ شيء وهو وليُّ نعمتهم، أم الهياكل الأرضية والسماوية وهي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، ولا تُغني عنهم مِن الله شيئاً، ثم عسى أن تجد هذه الإثارة من أبيه وقومه قلوباً واعية تحفظ عنه ما يقول، وعقولاً رشيدة تفقه ما سمعت من البلاغ وإحساساً مرهفاً فتتأثر بذلك وتستجيب إلى دعوة الحق﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2].

بصَّر الله عز وجل خليله إبراهيم عليه السلام بالدلائل الكونية الدالة على وحدانيته سبحانه في ربوبيته وألوهيته، فأراه آياته في ملكوت السماوات والأرض، ليعلم حقيقة التوحيد، أو ليزداد عِلماً به ويقيناً إلى يقينه، وأرشده إلى وجه الاستدلال بها، وكيف يسلك طريقها في البلاغ أو البيان ومناظرة الخصوم، ليفصل بذلك بين الحق والباطل، ويلزمهم الحجة والبرهان.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٧٤).

(٢) سورة ق: الآية (٣٧).

ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

كان قوم إبراهيم الخليل صابئة يعبدون الكواكب السيارة، ويقيمون لها الهياكل في الأرض من الأحجار ونحوها، وكانوا يعظمونها ويتقربون إليها بالذبائح وغيرها، وكانوا يستغيثون بها ويضرعون إليها، فناظرهم عليه السلام في ذلك، ولم يشأ أن يسلك في هذه المناظرة طريق الاستدلال الإيجابي المباشر على أن الله لا ربّ غيره ولا إله سواه، بل جعل دعوى قومه وعقيدتهم الشركية موضوع بحثه ونقاشه معهم، وفرضها فرض المستدل لما لا يعتقده ثم يَكِرُّ عليه بالنقض والإبطال، ويكشف عن وجه الحق.

فحينما أظلم الليل ورأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام النجم قال: هذا ربي، فرضاً وتقديراً، أو أهذا ربي. فلما غاب عن أعين الناس علم أنه مسخَّر ليس أمره إليه، بل إلى مُدبِّرٍ حكيم يُصرِّفه كيف يشاء أما الرَّبُّ فأمره إلى نفسه، بل أمر غيره إليه، وهو دائم لا يحول ولا يزول، بيده مقاليد الأمور، وهو على كل شيء قدير.

ثم انتقل بهم في البحث إلى كوكب آخر هو في نظرهم أشد ضوءً، وفي مرآى أعينهم أكبر حجماً، وهو القمر. فلما رآه طالعاً قال: هذا ربِّي، فرضاً منه لذلك وتقديراً، أو أهذا ربي؟ فلما ذهب عن أعين الناظرين تبين أنه ليس بالرب الذي يجب أن تألهه القلوب، ويضرع إليه العباد في السرَّاء والضراء، يرجون رحمته ويخافون عذابه. ويستهدونه فيهديهم إلى

---

(١) سورة الأنعام: الآيات (٧٥ ـ ٧٩).

سـواء الـسـبـيـل، ولـذا قـال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[1].

ثم انتقل بهم إلى معبودٍ آخر لهم أكبر جُرماً من النجم ومن القمر، وأعظم ضياءً منهما وهو الشمس، فلما رأى الشمس بازغة قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2]. فاستدل بما يَعْرِض لها من غيرها على أنها مأمورة بأمر ربِّها، وأنها مدبرة مسخرة بتسخير خالقها.

فإذا كانت هذه الكواكب الثلاثة أرفع من الكواكب السيَّارة شأناً، وأعلى قدراً، وأعمّ نفعاً عندهم. وقد قضت لوازمها بانتفاء سمات الربوبية والألوهية عنها، وأحالت أن تستوجب لنفسها حقاً لها في العبادة والتقرب إليها فما عداها من سائر الكواكب أبعد من أن يكون له حظ ما في الربوبية أو الإلهٰية، وأحرى بنفي ذلك عنه، واستحالته عليه. ولذا أعلن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ختام المناظرة براءته مما يزعمون من الشركاء، وأسلم وجهه لله وحده الذي فطر السماوات والأرض، وأبدع خلقهما دون شريك أو ظهير يعينه في ذلك، وضَمَّن إعلان النتيجة الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن ما فيه من البراءة من الشركاء نظير نفي الإلهٰية الحقة عن الشركاء في كلمة التوحيد، وما فيه مِنْ إسلام وجهه لله نظير الاستثناء في كلمة التوحيد، لدلالته على إثبات الإلهٰية الحقة لله، ومثله قوله تعالى:

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٧٧).

(٢) سورة الأنعام: الآيتان (٧٨ ـ ٧٩).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾[1].

وهذا الضرب من الاستدلال قد سلك سبيله في المناظرة كثيرٌ من العلماء قديماً وحديثاً، وقد جاء في الكتاب والسُّنة كثيراً لكن على منهج العرب في حديثهم وطريقتهم في المناظرة والحِجاج، فإن رسالة نبيِّنا محمد ﷺ قد بدأت في العرب، وبلُغَتِهم نزل القرآن لا على طريق الصناعة المنطقية، حيث يقولون في مثل هذا الموضع إجمالاً: لو كانت هذه الكواكب أرباباً أو آلهة ما حالت ولا زالت، لكنها تحول وتزول، فليست أرباباً، فإنَّ الله حيٌ دائم لا يحول ولا يزول.

فللداعية إلى الإسلام أن يسلك هذه الطريقة، طريقة إبراهيم عليه السلام حسبما تقتضيه الحال، فيتنزَّل مع مناظره مِن دُعاة الباطل، ويفرض دعواه واقعة ويرتب عليها لوازمها الباطلة وآثارها الفاسدة، ثم يُكِرُّ عليها بالنقض والإبطال، وقد تُوجب عليه الأحوال والظروف سلوكها والدعوة بها أحياناً، فإنَّ الدعوة إلى الحق كما تكون بتزيينه وذكر محاسنه للترغيب فيه، واستمالة النفوس إليه تكون بتشويه الباطل وذكر مساويه ومخازيه، تنفيراً منه ليهرب المبطلون عنه. وتتفتح قلوبهم للحق، فيلتزموه.

هذا وقد ذهب جماعة من المفسرين وغيرهم إلى ما تقدَّم من أنَّ حديث إبراهيم في شأن الكواكب مع قومه كان على سبيل المناظرة والحوار مع المشركين، ليقيم عليهم الحجة لا ليكسب هُدىً بعد حيرة، ولا ليستفيد عِلماً بعد شك، واختار ذلك ابن كثير في تفسيره، قال: والحق أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مُبَيِّنا لهم بطلان

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٢٦، ٢٧).

ما كانوا عليه من عبادة الهياكل، وهي الكواكب السبعة المتحيزة.. ثم قال: وكيف يكون إبراهيم ناظراً في هذا المقام، وهو الذي قال الله في حقه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٢٢ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

ثم استدل بنصوص خلق الناس على الفطرة السليمة: كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[4]. وحديث «كل مولود يولد على الفطرة» [5].. والحديث القدسي «إني خلقت عبادي حنفاء» ثم قال: فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله أمّة قانتاً لله حنيفاً [6] ولم يك من المشركين ناظراً في هذا المقام، بل هو أولى الناس

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٥١، ٥٢).

(٢) سورة النحل: الآيات (١٢٠ ـ ١٢٣).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٦١).

(٤) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٥) رواه البخاري (الفتح ١٣٥٨/٣) في الجنائز، ومسلم (٢٦٥٨) بلفظ: ما من مولود إلا يولد علي الفطرة.. الحديث.

(٦) الحنيف: وهو من مال عن الشرك وقصد ـ أشار إلى التوحيد وقيل هو المقبل على الله المعرض عمن سواه.

بالفطرة السليمة، والسجيّة المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب، ومما يؤكد أنه كان في هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظراً لقوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾[1].... مع تصرف.

ويؤيده أيضاً ما ذكر في مطلع هذه الآيات من دعوة إبراهيم لأبيه وقومه إلى التوحيد، وإنكاره ما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأصنام التي جعلت تماثيل وهياكل رمزية للكواكب، قال تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[2]. فبدأ الآيات بالتوحيد والبراءة من الشرك وختمها بذلك، فدل على أنه كان مؤمناً بذلك مُوقناً به أولاً وآخراً على السواء ويؤيده أيضاً قوله تعالى في ختام المحاجة: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾[3].

وروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أن مقام إبراهيم في هذه الآيات مقام نظر لا مقام مناظرة، واختاره واستدل عليه بقوله: ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[4]. وذكر محمد بن إسحاق ما يفيد أنَّ ذلك حين خرج إبراهيم من السرب الذي ولدته فيه أمه لما خافت عليه من نمرود بن كنعان. ا.هـ باختصار.

(١) سورة الأنعام: الآية (٨٠).
(٢) سورة الأنعام: الآية (٧٤).
(٣) سورة الأنعام: الآية (٨٣).
(٤) سورة الأنعام: الآية (٧٧).

وبيان ذلك أن إبراهيم كان قبل الرسالة في حَيْرة في تعيين من يعبده، وإن كان يعتقد بفطرته السليمة أن للعباد ربّاً، له قَدْره وعظمته وجلاله، وحكمته في تدبيره وتصريفه لشؤون خلْقه، فنظر في السنن الكونية نظرة اعتبار واستدلال لنفسه، نظر في النجم ثم الشمس ليخرج نفسه من القلق والحيرة إلى العلم والهُدَى والرشاد، فلم يجد فيها سمات الربوبية، ولا الصفات التي تستحق بها أن تُؤلّه وتُعبد، وانتهى به نظره واستدلاله لنفسه إلى ما أعلنه أخيراً مِن البراءة من الشرك والشركاء، والتوجه لله ربِّ العالمين وحده، ثم كان مقام دعوته لأبيه وقومه إلى التوحيد ومناظرته لهم فيما كانوا عليه من الشرك بعد الرسالة.

وعلى هذا يستطيع الداعية إلى الإسلام أن يجد لنفسه أيضاً قدوة حسنة وأسوة رشيدة في سيرة إبراهيم عليه السلام وفي خبر الله عن منهجه في هذه الآيات. فيبدأ بالنظر في الآيات الكونية والدلائل الشرعية، ليعلم الحق في نفسه أولاً، ثم يُتبع ذلك الدعوة إليه، ليكون في دعوته على بيّنة وبصيرة، فعلى كلا المعنيين لهذه الآيات يجد الداعية إلى الحق في خليل الرحمن مثالاً حسناً يحتذيه، وميزاناً عادلاً يزن به عقيدته وعمله ودعوته ويقتفي أثره فيه.

إن دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه وقومه إلى التوحيد مع سلامتها وقوة استدلاله عليها، وحُسن سياسته وحكمته واستقامة منهجه فيها لم تجد لديهم قبولاً، لأن قلوبهم في غلاف من العناد، والصدود واللِّجاج فلم تتفتح لدعوة الحق، ولم تشأ أن تتقبلها، ولأن عواطفهم متبلدة بل ممسوخة، قد انحرف بها الهوى وتقليد الآباء وتحكُّم العادات السيئة عن الجادة والاعتدال، فلم تتأثر بالحق ولم تجد لنفسها فيه لذة ولا راحة، بل ذهبوا يجادلونه في الحق بعدما تبيّن، ويهددونه ويخوّفونه أن

تصيبه آلهتهم بسوء فلا يحمد العاقبة، فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن ثبت على الحق واطمأنت به نفسه وازداد إيماناً به، فأنكر عليهم جدالهم إياه بالباطل، وتخويفه من خطر آلهتهم، مع أنها لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، ولا تدفع عنها بأساً، وهو يركن إلى الركن الرّكين. ويتوكل على ربِّ العالمين، قد أخلص له قلبه وأسلم له وجهه، وقام بما أمره به من الدعوة للحنيفية السمحة، فهو أحقُّ بالأمن والسلام ممن هددوه وخوّفوه، لكن على تقدير أن يصيبه مكروه فهو من الله سبحانه، إبتلاءً وإمتحاناً اقتضته حكمته وعدله. قال الله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

فعليكم معشر الدُّعاة أن تثبتوا على الحق في ميدان الدعوة، وأن تصبروا على الأذى وألا تنخلع قلوبكم لكيد الكائدين، وتهديد المعتدين: وتوكلوا على الله أُسوة بخليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين.

لمَّا فات إبراهيم عليه السلام أن يؤمن به قومه فتستقر حياته بين أظهرهم ويشتد عضده بهم، وتولوه بالأذى وبلغ بهم الكيد له أن ألقُوه في النار ففرَّ إلى ربِّه وهاجر طالباً لدعوته قوماً آخرين، لمَّا أصيب بذلك لم يكِلْه الله إلى نفسه، ولم يحرمه جزاء عمله، فوهب له من تقَرُّ بهم عينه،

---

(١) سورة الأنعام: الآيات (٨٠ ـ ٨٢).

وهب له إسحاق ويعقوب. وجعلهما من أنبيائه وهداهما إلى الصراط المستقيم، وتتابعت النبوة والرسالة من بعده في ذريته إلى أن خُتمت بنبوَّة الرسول الكريم محمد ﷺ.

فيا معشر الدعاة إلى الحق: كونوا واثقين بالله، مطمئنين إلى صادق وعده، مؤملين النصر والخير وحُسن العواقب، ولكن لابد لكم من الابتلاء بالسراء والضراء، فاشكروا ربكم على ما أولاكم من الخير، واصبروا على الشدة واللأواء، وليكن لكم في خليل الرحمن وإخوانه الأنبياء خير أسوة، فقد ابتلوا فصبروا وشكروا، فجزاهم الله خير الجزاء، قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد وآله وأصحابه وسلم[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٢٤).

(٢) سورة آل عمران: الآيات (١٤٦ ـ ١٤٨).

(٣) انظر مجلة التوعية الإسلامية ـ العدد السادس والسابع ـ السنة الأولى ـ الأربعاء الموافق ٢١ من ذي الحجة سنة ١٣٩٥هـ.

التعليق على كتاب «الاعتقاد»
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله

سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

فبناءً على كتاب سماحتكم، الذي تطلب فيه تقريراً عن كتاب الاعتقاد للبيهقي.

قرأتُ الكتاب فوجدته موافقاً للسلف في مواضع كثيرة، ومخالفاً لهم في مواضع أخرى، وسأُجمل فيما يلي ما يؤخذ عليه مما خالف فيه السلف في العقيدة:

١- يصف الله وأسماءه بالقِدَم، ويُسمِّيه القديم، كما يتبين مِن الصفحات (٦، ٢٠، ٢٢، ٣٧، ٦٠، ٦١) من الكتاب[1].

٢- استدل على حدوث الكونيات بأنها محل للحوادث كسائر الأشعرية، فلزمهم بذلك نفي قيام الصفات الفعلية بالله، والتزموا تأويل النصوص المثبتة لصفات الأفعال بما يسمونه قديماً، كما تبين ذلك بالرجوع إلى ص(٧).

٣- تأويل اسم الله -الرحمن- بالمريد لرزق كل حي في الدنيا، واسمه

(١) وهو من مطبوعات دار حديث أكاديمي بباكستان.

-الرحيم- بالمريد لإكرام المؤمنين في الجنة وقال: فيرجع معناهما إلى صفة الإرادة التي هي صفة قائمة بذاته تعالى، ويعني بالإرادة -الإرادة الكونية الأزلية، لا الإرادة الدينية التي بمعنى المحبة يتبين ذلك من ص (١٥-١٩)، أيضاً فسر الإلهية بالقدرة على اختراع الأعيان.

٤- ذهب في صفة الكلام إلى مذهب الكُلاَّبيّة، كسائر الأشعرية، فجعلها صفة نفسية ذاتية قديمة قائمة بذات الله تعالى، ورد صفة الحكم المفهومة من اسم الله الحَكَم، وقال: «وقد يكون بمعنى حكمه لواحد بالنعمة والآخر بالمحنة فيكون من صفات فعله». وقال مثل ذلك في اسم الله «الشكور» وفي اسمه «العدل» يتبين ذلك من ص (١٦).

٥- فسّر اسم الله -العلي- بالعالي القاهر، وبالذي علا وجلّ عن أن يلحقه صفات الخلق وقال: هذه يستحقها بذاته.

وتأويل محبة الله عباده بإرادته رحمتهم وبمدحهم، قال: فيرجع معناه إلى صفة الإرادة والكلام بمعنى الإرادة الكونية، والكلام النفسي، وقال: وقد يكون بمعنى إنعامه عليهم فيكون من صفات الأفعال. كما تقدم بيانه يتبّين ذلك من ص١٩: ١٧.

٦- قال في اسم الله «المتعالي» هو المنزه عن صفات الخلق، وهذه صفة يستحقها بذاته وقد يكون العلي فوق خلقه بالقهر.أ.هـ. وهذا فرار من إثبات علو الله على خلقه بذاته ص١٧-١٩.

٧- بعد أن فسّر أسماء الله الحسنى وذكر ما رآه فيها من احتمال ووجوه قال: وهذه الوجوه التي في معانيها كلّها صحيح، وربنا جل جلاله، وتقدست أسماؤه متصف بجميع ذلك، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى لا شبيه له في خلْقه، ولا شريك له في ملكه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»أ.هـ ص٢١.

٨- قال في ص (٢١) أيضاً: فلِلّه عزَّ اسمه أسماء وصفات، وأسماؤه صفاته، وصفاته أوصافه»أ.هـ.

فجعل أسماءه صفاته، ومعلوم أن الاسم يتضمن الصفة، وأنّها بعض مفهومه لا أنّه الصفة.

٩- في ص(٢١-٢٢) قسّم صفات الله قسمين، صفات ذات، وصفات أفعال، وقسّم صفات الذات قسمين، عقلياً وهو ماكان طريق إثباته أدلة العقل مع ورود السمع به، فإذا دلَّ وصف الواصف به على الذات فالاسم عين المسمّى مثل شيء، ذات، موجود، جليل عزيز، عظيم، متكبر، وإن دلَّ وصف الواصف به على صفات زائدة على ذاته قائمة به مثل حي، عليم، قادر، سميع، بصير متكلم، فالاسم في هذا لا يُقال: أنه هو المُسمَّى ولا أنه غير المُسمى.

وأما السمعي فما كان طريق إثباته السمع فقط، كالوجه واليدين والعين، وهذه أيضاً صفات قائمة بذاته، لا يُقال فيها: إنها هي المُسمَّى ولا غير المُسمَّى، ولا يجوز تكييفها، فالوجه صفة وليست بصورة، واليدان له صفتان، وليستا الجارحتين، والعين له صفة، وليست بحدقة... إلى آخر ما ذكره في ص(٢٢-٤٤).

ولا يخفى ما في هذا من المخالفة للسلف أهل السنة والجماعة، إذ فيه نفي تفصيلي، والسلف على خلافه، وإنما يمنعون الخوض في الكيف ويقولون: إنه مجهول أو غير معلوم، فيفوِّضون علمه إلى الله تعالى، كما يمنعون عموماً الخوض فيما لم يخوضوا فيه نفياً وإثباتاً.

١٠- قال في صفات المعاني السبعة: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام: أنها زائدة على الذات قائمات بها ليرد على

المعتزلة وقال: إنما قال النبي ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامة..» الحديث على طريق التعظيم أ.هـ يعني أن الجمع للتعظيم لا لكون كلامه تعالى متعدداً بل هو شيء واحد هو الكلام النفسي الأزلي، يتبين ذلك في ص (٢٥-٢٩، وفي ص٣٢-٣٧).

١١- ذكر في الاستواء طريقتين: طريقة التفويض في معناه مع نفي الكيفية وطريقة حمله على وجه يصحُّ في اللغة وأتبع ذلك نفياً تفصيلياً للكيفية في الاستواء وفي النزول وفي المجيء والإتيان...إلخ. ويتضح ذلك في ص ٤٤ من الكتاب. وأحال في ذلك على كتابه «الأسماء والصفات».

١٢- أحسن في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة بالأبصار، وفي إقامة الأدلة على ذلك، وفي رده على منكري رؤيته تعالى، لكنه يرى أن الله عز وجل لا يُرى في جهة بل يراه الراؤون في جهاتهم كلها لأنه يتعالى على الجهة، يتضح ذلك في ص٥١ من الكتاب.

١٣- قال في أفعال العباد أنها كسب لهم على معنى تعلق قُدرتهم بمباشرتهم التي هي أكسابهم، ووقوع هذه الأفعال أو بعضها على وجوه تخالف قصد مكتسبها يدل على مُوقعٍ أوقعها كما أراد غير مكتسبها، والله ربنا، خلقنا وخلق أفعالنا...إلخ، ص(٦٠-٦١).

وهذه إلى القول بالجبر أقرب منه إلى القول بإثبات الاختيار للعبد في أفعاله.

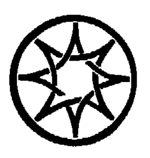
١٤- وفسّر ما جاء في الحديث من أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، وبأن المراد به كون القلب تحت قدرة الرحمن.

١٥- ذكر كثيراً من الأحاديث ولم يُبيِّن درجتها من الصحة والضعف. والمقام مقام الاستدلال في العقيدة.

وبالجملة فالكتاب نافع، وفيه خير كثير، ويمكن التعليق عليه في مواضع الخطأ، أو التنبيه على ذلك في مقدمة له.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه
عبد الرزاق عفيفي



الحكم بغير ما أنزل الله وأثره على الأفراد والشعوب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1].

أمر الله جل شأنه جميع الناس أن يرد كل منهم ما لديه من الأمانة إلى أهلها، أياً كانت تلك الأمانة، فعم سبحانه بأمره كل مكلف،وكل أمانة، سواء كان ما ورد في نزول الآية صحيحاً أم غير صحيح، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

- ثم أوصى سبحانه من وكل إليه الحكم في خصومة أو الفصل بين الناس في أمر ما أن يحكم بينهم بالعدل، سواء كان محكماً أو ولي أمر عام أو خاص، ولا عدل إلا ما جاء في كتاب الله أو سُّنة رسول الله ﷺ، فذلك الهدى والنور والصراط المستقيم، ثم أثنى على ما أسداه إلى عباده من الموعظة إغراءً لهم بالقيام بحقها والوقوف عند حدودها، وختم الآية بالثناء على نفسه بما هو أهله من كمال السمع والبصر ترغيباً في امتثال أمره رجاء ثوابه، وتحذيراً من مخالفة شرعه خوف

---

(١) سورة النساء: الآيتان (٥٨ ـ ٥٩).

عقابه، ثم أمر تعالى المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ﷺ مطلقاً، لأن الوحي كله حق، وأمر بطاعة أولي الأمر فيما وضح أمره من المعروف لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما دلت عليه النصوص الثابتة الصريحة في ذلك، فإن اشتبه الأمر ووقع النزاع وجب الرجوع في بيان الحق والفصل فيما اختلف فيه إلى الكتاب والسُّنة لقوله سبحانه: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾(١).

وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾(٢).

وأمثال ذلك من نصوص الكتاب والسُّنة فإن الرجوع إليهما عند الحيرة أو النزاع خيرٌ عاقبةً وأحسن مآلاً، وهذا إنما يكون فيما فيه مجال للنظر والاجتهاد، فمن بذل جهده ونظر في أدلة الشرع وأخذ بأسباب الوصول إلى الحق، فهو مأجور، أجران إن أصاب حكم الله، ومعذور مأجور أجراً واحداً إن أخطأه، وله أن يعمل بذلك في نفسه وأن يحكم به بين الناس، ويعلمه الناس مع بيان وجهة نظره المستمدة من أدلة الشرع على كلتا الحالتين بناء على قاعدة التيسير ورفع الحرج وعملاً بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(٣).

وبقول النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(٤) ولقوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد» رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو

---

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٢) سورة الشورى: الآية (١٠).

(٣) سورة التغابن: الآية (١٦).

(٤) رواه مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

داود والنسائي والترمذي وابن ماجه. ومن لم يبذل جهده في ذلك ولم يسأل أهل العلم وعَبَد الله على غير بصيرة، أو حكم بين الناس في خصومة فهو آثم ضال مستحق العذاب إن لم يتب ويتغمده الله برحمته قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

وكذا من علم الحق ورضي بحكم الله لكن غلبه هواه أحياناً فعمل في نفسه، أو حكم بين الناس في بعض المسائل أو القضايا على خلاف ما علمه من الشرع لعصبية أو لرشوة مثلاً فهو آثم لكنه غير كافر كفراً يخرج من الإسلام، إذا كان معترفاً بأنه أساء ولم ينتقص شرع الله ولم يُسيىء الظن به بل يجز في نفسه ما صدر منه ويرى أن الخير والصلاح في العمل بحكم الله تعالى، روى الحاكم عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قاضيان في النار وقاض في الجنة، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاض عرف الحق فجار متعمداً، أو قضى بغير علم فهو في النار...».

إن مَن كان منتسباً للإسلام عالماً بأحكامه، ثم وضع للناس أحكاماً وهيَّأ لهم نظماً ليعملوا بها ويتحاكموا إليها، وهو يعلم أنها تخالف أحكام الإسلام، فهو كافر خارج من ملة الإسلام، وكذا الحكم فيمن أمر بتشكيل لجنة أو لجان لذلك.

ومن أمر الناس بالتحاكم إلى تلك النظم والقوانين أو حملهم على التحاكم إليها وهو يعلم أنها مخالفة لشريعة الإسلام، وكذا من يتولى الحكم بها ويطبقها في القضايا، ومن أطاعهم في التحاكم إليها باختياره مع علمه

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

بمخالفتها للإسلام فجميع هؤلاء شركاء في الإعراض عن حكم الله، لكن بعضهم بوضع تشريع يضاهي به تشريع الإسلام ويناقضه على علم منه وبيّنة، وبعضهم بالأمر بتطبيقه أو حمل الأمة على العمل به أو ولّى الحكم به بين الناس أو تنفيذ الحكم بمقتضاه، وبعضهم بطاعة الولاة والرضا بما شرعوا لهم بما لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطانا، فكلهم قد اتبع هواه بغير هدى من الله، وصدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه وكانوا شركاء في الزيغ والإلحاد والكفر والطغيان، ولا ينفعهم علمهم بشرع الله واعتقادهم ما فيه من إعراضهم عنه وتجافيهم لأحكامه وإتيانهم بتشريع من عند أنفسهم وتطبيقه والتحاكم إليه، كما لم ينفع إبليس علمه بالحق واعتقاده إياه مع إعراضه عنه وعدم الاستسلام والانقياد له.

وبهذا قد اتخذوا هواهم إلهاً فصدق فيهم قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2]. الآيات إلى قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ إلى قوله تعالى:

---

(١) سورة الجاثية، الآية (٢٣).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٤).

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[2]. إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3].

إن هؤلاء قد صدوا عن تحكيم شرع الله انتقاصاً له وإساءة للظن بربهم الذي شرعه له، وابتغاء الكمال فيما سوّلته لهم أنفسهم وأوحى به إليهم شياطينهم، وكأن لسان حالهم يقول: «إن شريعة الكتاب والسُّنة نزلت لزمان غير زماننا ليعالج مشاكل قوم تختلف أحوالهم عن أحوالنا وقد يجدي في إصلاحهم ما لا يناسب أهل زماننا، فلكل عصر شأنه، ولكل قوم حكم يتناسب مع ظروفهم ونوع حضارتهم وثقافتهم» فكانوا كمن أمر الله رسوله أن ينكر عليهم ويبكتهم بقوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4].

وكانوا ممن حقت عليهم كلمة العذاب وحكم الله عليهم بأن لا

---

(١) سورة المائدة: الآيات (٤٨ ـ ٥٠).
(٢) سورة النساء الآيتان: (٦٠ ـ ٦١).
(٣) سورة النساء: الآية (٦٥).
(٤) سورة الأنعام: الآيتان (١١٤ ـ ١١٥).

خلاق لهم في الآخرة بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

لقد استهوى الشيطان هؤلاء المغرورين فزين لهم أن يسنوا قوانين من عند أنفسهم ليتحاكموا إليها ويفصلوا بها في خصوماتهم، وسوّل لهم أن يضعوا قواعد بمدى تفكيرهم القاصر وهواهم الجائر لينظموا بها اقتصادهم وسائر معاملاتهم، محادة لكتاب الله واعتقاداً منهم انه لا يصلح للتطبيق والعمل به في عهدهم، ولا يكفل لهم مصالحهم، ولا يُعالج ما جَدَّ من مشاكلهم، حيث اختلفت الظروف والأحوال عما كانت عليه أيام نزول الوحي، واتسع نطاق المعاملات وكثرت المشكلات، فلا بد لتنظيم المعاملات، والفصل في الخصومات من قوانين وقواعد جديدة يضعها المفكرون من أهل العصر، والواقفون على أحوال أهله، المطلعون على المشاكل، العارفون بأسبابها وطرق حلها لتكون مستمدة من واقع الحياة فتتناسب مع أحوال الناس وظروفهم الحاضرة ومع مستوى ثقافتهم وحضارتهم.

فهؤلاء قد طغى عليهم الغرور الفكري، فركبوا رؤوسهم ولم يُقدِّروا عقولهم قدرها ولم ينزلونها منزلتها، ولم يُقدِّروا الله حق قدره، ولم يعرفوا حقيقة شرعه، ولا طريق تطبيق منهاجه وأحكامه، ولم يعلموا أن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فعلم ما كان وما سيكون من اختلاف الأحوال، وكثرة المشاكل، وأنه أنزل شريعة عامة شاملة، وقواعد كلية محكمة وقدّرها بكامل علمه وبالغ حكمته فأحسن تقديرها، وجعلها صالحة لكل زمان ومكان، فمهما اختلفت الطبائع والحضارات، وتباينت الظروف

(١) سورة آل عمران، الآية (٨٥).

والأحوال، فهي صالحة لتنظيم معاملات العباد وتبادل المنافع بينهم والفصل في خصوماتهم وحل مشاكلهم، وصلاح جميع شؤونهم في عباداتهم ومعاملاتهم.

إن العقول التي منحها الله عباده ليعرفوه بها، وليهتدوا بفهمها لتشريعه إلى ما فيه سعادتهم في العاجل والآجل، قد اتخذوا منها خصماً لدوداً لله فأنكروا حكمته وحُسن تدبيره وتقديره، وضاقوا ذرعاً بتشريعه وأساؤوا الظن به فانتقصوه وردّوه، وقد يصابون بذلك وهم لا يدرون لأنهم بغرورهم بفكرهم عميت عليهم معالم الحق والعدل فكانوا من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً. وكانوا ممن بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار.

إن الله سبحانه كثيراً ما يُذكر الناس في القرآن بأحوال المعتدين الهالكين، ويحثهم على أن يسيروا في الأرض لينظروا ما كانوا فيه من قوة ورغد عيش وحضارة وبسطة في العلم، نظر عظة واعتبار، ليتذكروا طريقهم، إتقاءً لسوء مصيرهم، ولفت النظر في بعض الأمور إلى جريمة الغرور الفكري، لشدة خطره، وبيّن أنه الفتنة الكبرى التي دفعوا بها في صدور الرُّسل، وردوا بها دعوتهم، ليعرفنا بقصور عقول البشر، أنها لا تصلح لمقاومة دعوة الرسل، وليحذرنا من خطر الغرور الفكري الذي هلك به من قاوم المرسلين.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا

عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

(١) سورة غافر: الآيات (٨٢ ـ ٨٥).

محبة أصحاب رسول الله ﷺ وموالاتهم

مبحث محبة أصحاب الرسول ﷺ وموالاتهم
والرد على الروافض والنواصب

أهل السُّنة والجماعة يحبون أصحاب رسول الله ﷺ ويثنون عليهم ويترضَّون عنهم كما أثنى الله عليهم وترضَّى عنهم، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[2].

وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ إلى آخر السورة[3].

وقال ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٠٠).

(٢) سورة الفتح: الآية (١٨).

(٣) سورة الفتح: الآية (٢٩).

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. إلى غير هذا من الآيات التي وردت في ثناء الله عليهم وترغيب المؤمنين في حبهم والدعاء لهم ولمن تبعهم بإحسان، وهم متفاوتون فيما بينهم. فبعضهم فوق بعض درجات. فأعلاهم درجة أهل بيعة الرضوان وكل من آمن قبل فتح مكة وأنفق في سبيل الله وقاتل إعلاءً لكلمة الله.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**» رواه البخاري ومسلم واللفظ له. فدلَّ الحديث على أن من أسلم قبل فتح مكة وقبل صلح الحديبية كعبد الرحمن بن عوف أفضل ممن أسلم بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة كخالد بن الوليد، وإذا كان حال خالد بن الوليد ومن أسلم معه أو

---

(١) سورة الحشر: الآية (٨ ـ ١٠).

(٢) سورة الحديد: الآية (١٠).

بعده من الصحابة بالنسبة لعبد الرحمن بن عوف والسابقين معه إلى الإسلام هو ما ذكر في الحديث. فكيف بحال من جاء بعد الصحابة بالنسبة إلى الصحابة رضي الله عنهم.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها»[1].

وفي حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. رواه البخاري ومسلم[2].

يرى أهل السُّنة أن حب الصحابة دين وإيمان وإحسان لكونه امتثالاً للنصوص الواردة في فضلهم و أن بغضهم نفاق وضلال لكونه معارضاً لذلك، ومع ذلك فهم لا يتجاوزون الحد في حبهم أو في حب أحدٍ منهم.

ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[3]. ولا يجهلون أحداً منهم ولا يتبرؤون منه، ولهذا ورد عن جماعة من السلف كأبي سعيد الخدري والحسن البصري وإبراهيم النخعي أنهم قالوا: الشهادة بدعة- والبراءة بدعة، ومعنى ذلك أن الشهادة على مسلم معين أنه كافر أو من أهل النار بدون دليل يرتد الحكم عليه بذلك بدعة. وأن البراءة من بعض الصحابة بدعة.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٦).

(٢) رواه البخاري (الفتح ٣٦٨٠/٧) ومسلم (٢٥٣٥).

(٣) سورة النساء، الآية (١٧١).

الفصل الخامس
أعماله المبرورة ومساعيه المشكورة

المبحث الأول: سعيه الحثيث في قضاء الحوائج وبذل المعروف.

المبحث الثاني: تلطفه بتلاميذه واحتفاؤه بهم وحُسن توجيهه لهم.

المبحث الثالث: عمله الدؤوب في إنشاء المؤسسات الإسلامية والصروح العلمية.



الفصل الخامس

أعماله المبرورة ومساعيه المشكورة

المبحث الأول

سعيه الحثيث في قضاء الحوائج وبذل المعروف

إن الفرد المسلم -في أي مجتمع مسلم- لا يستطيع أن يعيش بمنأى عن إخوانه المسلمين، أو أن يكفي نفسه حوائجه دون أن يساعده في تحقيق ذلك غيرُه ولذا حرص الإسلام ورغّب في قضاء حوائج الناس وبذل المعروف لهم.

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مسلم كُربة، فرَّج الله عنه بها كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم. وفي لفظ عند مسلم «من نفَّس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا، نفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

---

(١) سورة المائدة: الآية (٢).

إن قضاء حوائج الناس وإقالة عثراتهم، وتفريج كرباتهم خُلُق جميل وسلوك نبيل، وقد تجسد هذا الخُلُق في فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- فقد كان رضي النفس كريماً متواضعاً، يبسط يده بالخير ويبذل نفسه لقضاء حوائج الناس، وكان حريصاً أشد الحرص على أن يكون عمله في ديوان السِّر، وكان يفد إلى بيته كل ليلة طلبة العلم والعلماء والدعاة حتى عامة الناس ممن يبغون الشفاعة في أمر من الأمور، فكان بيته ملتقى الضيوف وذوي الحاجات ومنتدى العلماء وطلبة العلم.

يقول أحد كبار طلبته : إن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي كان يتصف بصفات يندر أن تجتمع في شخص، ومن ذلك غزارة العلم ورجاحة العقل والزهد في الدنيا ومظاهرها وحب الخير للآخرين وبذل جاهه وماله في ذلك.

ويقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: وكان الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- متواضعاً زاهداً في متاع الدنيا ومباهجها، لا يغشى منازل الوجهاء والأغنياء إلاّ إن دُعي، وكان يتعفف إن حضر ولا يقول إلا ما يرضي ضميره، ولعل زهده هذا هو السبب في عزوفه عن إلقاء المحاضرات وحضورها.

وكان يبذل جاهه في خدمة الصالحين ومعونتهم، ولا يرد صاحب حاجة يستطيع أن يقضيها له.

وبالجملة فإن الشيخ عبد الرزاق كانت له عناية بالغة بأصحاب الحوائج والمعوزين وكان ينفق جزءاً كبيراً من راتبه أوّل كل شهر على طلبة العلم والمعسرين، وكان يُقرض طلبة العلم المال ويمدهم بالكتب، وغيرها مما تسخو به نفسه.

يذكر أحد معاصريه: أن الشيخ استأجر داراً بالأسكندرية وأسكن معه عدداً من طلبة العلم مدة من الزمن دون أن يتقاضى منهم شيئاً.

المبحث الثاني

وفاؤه لزملائه وتلطفه بتلاميذه واحتفاؤه بهم

كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- يعرف للناس أقدارهم، وينزلهم منازلهم اللائقة بهم، ولاسّيما إن كانوا غرباء، وكان في وفائه لزملائه وتلطفه بتلاميذه محل القدوة، يُجل كبيرهم، ويتودد إلى صغيرهم. وعن وفاء الشيخ لزملائه، وحُسن معاملته له يتحدث فضيلة الشيخ يوسف الضبع، وهو من أقران الشيخ وزملائه قائلاً:

وفي خلال قرابة خمسين عاماً كان لي معه -رحمه الله- أخوة في الله لم تزدها الأيام إلا قوة، ولقد لمست فيه الصلاح والتقى والورع والتواضع وإنكار الذات والنبوغ في العلوم الدينية والعربية واللغوية، كما كان وفيّاً لإخوانه وبنيه وما أكثرهم في مصر وفي السعودية، حيث كان حلقة الاتصال والرائد الموفق في تذليل العقبات لمن تزل قدمه بعد ثبوتها من غير مَنّ ولا أذى، وله أياد بيض على عديد ممن يعملون الآن في حقول التعليم وغيرها في المملكة العربية السعودية، ومنهم من ناله بسعيه المشكور خيرٌ كثير، وكان -رحمه الله- طويل الباع، واسع الاطلاع، راسخ القدم، عميق التفكير، دقيق التصوير، قوي الحجة. ناصع البرهان، أشبه ما يكون بالإمامين الجليلين الشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ عبد المجيد سليم شيخي الأزهر السابقين -رحمهما الله[1].

(١) انظر الفصل السابع «وفاته ومراثيه».

ويؤكد هذا كلّه فضيلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب البنّا قائلاً:

عرفتُ شيخنا عبدالرزاق عفيفي - رحمه الله - في عام ١٩٣٧م، ورافقته وتجوّلتُ معه للدعوة إلى الله، وسافرت معه إلى بعض مُدن وقرى القاهرة، فكان نِعم المربِّ وخيرَ الرفيق، حُسن توجيه مع دماثة خلق، وسعة اطلاع، وغزارة علم، يجادل بالتي هي أحسن، ويحلم على من يجهل عليه.

كنت بالقاهرة وكان هو بالأسكندرية، فإذا شرّف القاهرة لازمته في زياراته إلى فروع الجماعة «أنصار السنة» كما كنت أزوره بصحبة الأستاذ محمد صادق عرفوس -رحمه الله- فيحتفي بنا ويكرمنا أكرمه الله وأحسن مثوبته وكان منزله -رحمه الله- مثابة للأخوة الوافدين مِن كلّ فج.

سعدت بصحبته عام ١٣٧٠هـ في طريقه للحج، ومعنا الشيخ محمد علي عبدالرحيم «رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية»- رحمه الله، مع عوائلنا بالباخرة، وكان خير رفيق، فمع تقدّمه وفضله وكبر سِنّه، كان كثيراً مايخدمنا، ويؤثرنا على نفسه، ففي الباخرة، كان يختار لنا أحسن الغُرف، وكذلك فعل لما نزلنا مكة وجُدة، في الفنادق يُقدّمنا وعوائلنا على نفسه وعائلته، أتممنا مناسك الحج، وسافرنا جميعاً إلى الرياض للتدريس بمعهد الرياض العلمي، حيث التقينا مع خير مجموعةٍ عُرفت من أفاضل العلماء منهم: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -حفظه الله- والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، والشيخ عبدالرحمن الأفريقي، والشيخ عبد الله الخليفي -رحمهم الله- وغيرهم[1].

أما من جهة تلطفه بتلاميذه واحتفاؤه بهم فهو بحر لا يدرك غوره،

---

(١) انظر الفصل السادس (ثناء العلماء عليه).

فقد عُرف عن الشيخ -رحمه الله- لين الجانب وطلاقة الوجه وحُسن الملاطفة، فهو أمام الزوار والتلاميذ والزملاء دائم البشر، يظهر الفرح والسرور والانبساط في الكلام والإجابة على الأسئلة دون غضب أو تبرم أو ردٍ شديد للسائل، فجليسه يلقى منه كل المؤازرة والتبسم بحيث لا يمل، كما أنه يكرم من زاره ويقدم ما عنده بدون تكلف، ويجود بما يقدر عليه دون أن يمن بما أعطاه أو يرد من سأله، وهكذا دأبه مع العلماء وطلبة العلم والأصحاب والزملاء وغيرهم.



المبحث الثالث

عمله الدؤوب في إنشاء المؤسسات الإسلامية والصروح العلمية

سبق وأن ذكرت أن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله- كان له القدح المعلّى في تخلص قريته «شنشور»[1] من البدع والعادات التي نهى عنها الشرع، ويؤكد هذا فضيلة الشيخ عبد الحميد الهلالي من أعيان قرية «شنشور» وعلمائها قائلاً:

لقد كان لدعوة فضيلة الشيخ عبد الرزاق في تلك المجالات لإرساء قواعد الدين الصحيحة الأثر الطيب والحسن على عامة أهالي «شنشور» وخاصتهم وذلك لما له -يرحمه الله- من مكانة بارزة بين أهلها.

لقد ساهم فضيلة الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- في النهضة الدينية والعلمية التي تشهدها قرية «شنشور» بما لا ينكر أثره بالتعاون مع الشيخ عبد الحميد الهلالي رفيق دراسته.

ولقد كان من أثر هذه المساهمات المادية الكبيرة إنشاء كل من المعهد الديني الابتدائي الأزهري بـ «شنشور» عام (١٤٠٤، ١٤٠٦هـ) والمدرسة الثانوية العامة والمدرسة الثانوية التجارية والتي تم افتتاحها على الترتيب عام (١٤١٤هـ) ثم المعهد الديني الإعدادي الثانوي للفتيات المنشأ

---

(١) وهي القرية التي ولد فيها الشيخ عام (١٣٢٣هـ).

حديثاً وهو تابع أيضاً للأزهر الشريف، وكذلك مدرسة «شروة حسن» الإبتدائية المشتركة.

ثم يأتي بعد ذلك مسك الختام وهو المركز الإسلامي الكبير الذي يتصدر القرية في مدخلها من الجهة القبلية ويضم في جنباته مسجداً واسعاً وداراً للمناسبات ومستوصفاً خيرياً ومكتبة كبيرة ومرافق أخرى عديدة بعضها لايزال تحت الإنشاء والإستكمال.

أما المساجد التي ساهم -رحمه الله- في بنائها وإقامتها فهي: مسجد القطان- مسجد أبو عافية- مسجد التقوى- مسجد الصحابة- مسجد العاشر من رمضان- مسجد الرحمة- مسجد شروة حسن- مسجد عمر بن الخطاب- مسجد فجر الإسلام.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المساهمات المادية بعضهاكان من خاصة مال الشيخ والبعض الآخر من المحسنين بواسطته -رحمه الله[1].

قلت: وفي الرسالة التالية برهان واضح ودليل قاطع على صحة ما ذكرته من كثرة اشتغاله -رحمه الله- بالأعمال الجادة التي تعود بالخير والنفع على الإسلام والمسلمين.

---

(١) انظر الفصل الثامن «رسائل ووثائق».

خطاب نائب رئيس مجلس إدارة
المركز الإسلامي بـ «شنشور»
تحريراً في ١٢/٣/١٤٠٤هـ

فضيلة أستاذنا الشيخ الموقر صاحب السماحة والفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي أبدأ رسالتي بسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته مع وافر تحيات جميع الأهل والمعارف بشنشور أما بعد:

فإنه كان لي شرف قراءة رسالة سيادتكم للأخ الفاضل أستاذنا الحاج عبد الحميد الهلالي والتي جاء فيها نصيحة سيادتكم لنا جميعاً بالبدء في الأعمال التنفيذية لإقامة المركز الإسلامي بشنشور، خاصة وأن بعض المتبرعين يرغبون في الإطمئنان على أموالهم وأنها أي هذه الأموال قد استعملت في الأغراض الخيرية المخصصة لها.

هذا ونظراً لأنني أقع في موقع نائب رئيس جمعية المركز الإسلامي بشنشور،أود هنا أن أعرفكم بالأسباب التي أدت إلى التأخير في التنفيذ، ولعل أهم هذه الأسباب هي الرسوم التنفيذية للمشروع، فلقد تقدم لنا حتى الآن ثلاثة مشروعات وجميعها لا تفي بالغرض المطلوب وأحدها فقط يجمع بين كل الأهداف.. لكن بصورة هستيرية لا نظام فيها ولا جمال، ولقد كنت أنا شخصياً أول من منعوا أخذ التراخيص اللازمة لتنفيذ هذا المسح لأننا يا فضيلة الشيخ نريد أن نقيم صرحاً جميلاً يكون

منبعاً للخير والبركات ومنبراً للهداية ومركز إشعاع للدعوة الإسلامية اليوم وفي المستقبل إن شاء الله، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بإذن الله..

لذا كان التريث لمدة سنة أو سنتين في بدء التنفيذ لا يعد تأخيراً، بمعنى الكلمة بالنسبة للعمر الإفتراضي للمشروع.. ومن الكرم الإلهي أننا وُفِّقنا في الفترة الأخيرة لأحد المكاتب الهندسية المتخصصة في المشروعات الإسلامية تحت إشراف اثنين من أكفأ المهندسين في هذا الشأن، وهما المهندس المعماري نبيل صالح شحاته والمهندس الإنشائي يسري رمضان محروس.. ولهما خبرة عريضة في إتمام مثل هذه المشروعات حيث عملا معاً في قطر بالدوحة بالإدارة الهندسية في رئاسة المحاكم الشرعية والتركات وهي الهيئة المهيمنة على بناء جميع المباني الإسلامية والمساجد الجامعة...الخ.

هذا بالإضافة إلى أن أحدهما هو من أبناء شنشور والمتحمس للمشروع وهو أخي المهندس يسري رمضان محروس.. وقد تبنى مكتبهم الهندسي العمل في هذا الشأن أي تصميم المركز الإسلامي والإشراف الهندسي على تنفيذه من مدة أسبوعين اثنين فقط..

لذا فنحن نستبشر خيراً.. وجميعاً هنا نرى أن الله قد قيض لنا أهل الخير للمساهمة في وضع الخطوط الأولى والخطوات الأولى على طريق تنفيذ هذا الصرح الديني العظيم.

والآن استسمح سيادتكم أن أنوه أن الأموال المتوفرة لدينا الآن قد تكون مناسبة للعمليات المبدئية، مثل عمليات المسح والأساسات والحفر والردم...الخ ولسوف نعطيكم دائماً فكرة عن آخر التطورات طرفنا،

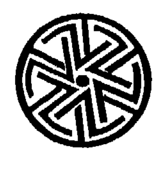
فإنكم مفتاح كل خير وعلى أيديكم فُتحت لنا أبواب تبرعات كثيرة ولنرد الفضل لأهله.

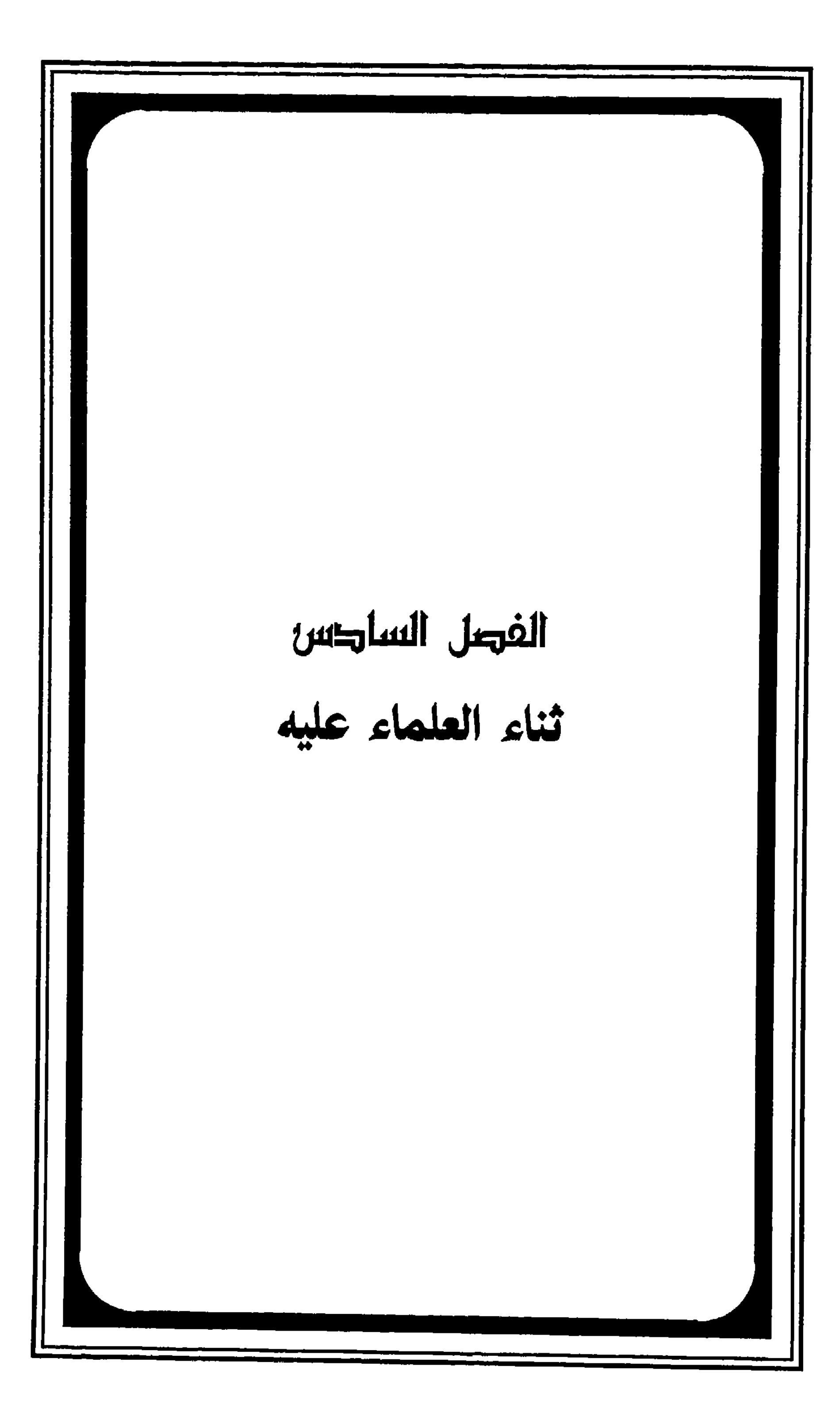
وفقكم الله للخير والهدى.. وجعلكم دائماً وأبداً نوراً نستنير به وعلماً نتعلم منه، ودمتم لنا على طول الطريق.

وفي ختام هذه الرسالة أطمئنكم إلى أن كل تبرع تبرعتم به من أجل إقامة صرح المركز الإسلامي بشنشور سيوضع في موضعه الصحيح، فهذه الأموال التي تتبرعون بها قرشاً وخمسة وعشرة وجنيهاً ومائة وآلاف.. والله إن مسؤوليتنا عن القرش الواحد هي نفس مسؤوليتنا عن الآلاف ولن تبرأ ذمتنا أمام الله ثم أمام الناس إلا إذا استُعملت فيما دُفعت له. والحمد لله.. فجميع المسئولين عن المركز الإسلامي من خيرة الناس.. جميعهم لا يبغون مدحاً ولا مديحاً بل خيراً ورحمة من الله.. وجميعهم خيار من خيار والآن استودعكم الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نائب رئيس مجلس إدارة المركز الإسلامي بشنشور
د. محمود ياسر رمضان





الفصل السادس

ثناء العلماء عليه



الفصل السادس

ثناء العلماء عليه

من الخير للعلم وحملته أن يكتب العلماء عن العالم، والأدباء عن الأديب، ولاشك أنَّ ما كتبه العلماء والأدباء عن هذا العالم الفحل والشيخ الثقة يُمثِّل صُوراً صادقة وتراجم حيَّة لما كان عليه هذا العالم مِن تواضع وتُقى وزهد وصبر وإخلاصٍ وتجرد وصدقٍ وحبٍ لهذه الأمة، وحرصٍ على أن تظل منارة هدىً ومصدر خير وعزٍ للإسلام والمسلمين.

إنه ما من أحدٍ عاصر الشيخ عبد الرزاق وعرفه وجلس إليه واستمع منه، إلا وأثنى عليه، أجمل الثناء بما هو له أهل، بل دون ما هو له أهل..

ولله در من قال:

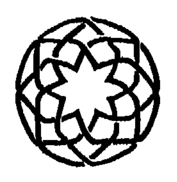
شهادة أهل العلم بالحقّ تُقصد ويُرغب فيها للمعاد وتُحمد
وأحرى إذا أدّى الشهادة عالمٌ خبيرٌ بمن ضلُّوا خبيرٌ بمن هُدوا

إن ما كُتب عن الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- يبين عن وفاء عميق، وشعور شريف نحو هذا العالم الذي عاش لدينه وخشي الله بعلمه، وأطاعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وما يستطيع مثلي أن يُحصي ثناء الناس عليه، ولا حصر فضائله

ومحاسنه، وكان ينبغي أن يكتب بكل فضيلة له كتابٌ مستقل، وجميع ما كُتب عنه دون منزلته.

وإليك أخي القارئ باقة من الآراء والأقوال فيه، هي دليل صدق وشاهد عدل على سعة علمه وكثرة محاسنه، وغزارة محامده، ورجاحة عقله وتقدمه وفضله.



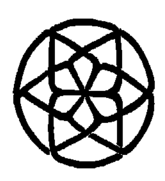
الشيخ عبد الرزاق عفيفي كما عرفته

صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- أعرف عنه التواضع والعلم الجم والسيرة الحميدة، والعقيدة الطيبة، والحرص العظيم في أداء عمله على خير وجه -رحمه الله.

وكان مثالاً في الجد وفي أداء عمله على الوجه المطلوب، ومثالاً جيداً أيضاً في حُسن السيرة والمخاطبة للجمهور مع سعة الصدر لإجابات السائلين.

فنسأل الله له المغفرة والرحمة ورفع الدرجة وأن يصلح عقبه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز



من الراسخين في العلم
«الشيخ عبد الرزاق عفيفي»

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.. وبعد:

فقد طلب مني الأخ محمد بن أحمد سيد أحمد أن أكتب له ما أعرفه عن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله، فأجبته إلى ذلك بأن الشيخ -رحمه الله- كان ذا عقل راجح وبُعد نظر وكثرة صمت إلا إذا كان الكلام خيراً. مع ما حباه الله به من العلم الراسخ وحُسن التعليم وقلة الحشو في كلامه.

قدم عنيزة سنة ١٣٧٠هـ للتدريس في المدرسة الثانوية واجتمع بشيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- فأعجب به.

جلس لتدريس العربية والبلاغة فكنت من تلاميذه وانتفعت به كثيراً في علم الصرف والبلاغة. وشاركته في مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية فكان رأيه محل التوفيق والسداد.

أسأل الله تعالى له المثوبة والرضوان وأن يجمعنا به وإخواننا المؤمنين في أعالي الجنان إنه تعالى هو الوهاب المنان.

كتبه محمد الصالح العثيمين
في ٢٣ ربيع الثاني عام ١٤١٧هـ.

فضيلة شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي كما عرفته

هو شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي العالم الأزهري الجليل، كان سلفي العقيدة متمكناً في العلوم الشرعية والعربية، قدم إلى المملكة العربية السعودية مدرساً في المعارف ثم في المعاهد العلمية وكلية الشريعة بالرياض، ثم مديراً للمعهد العالي للقضاء، ثم عمل في دار الإفتاء نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للإفتاء وعضواً في هيئة كبار العلماء واستمر في ذلك إلى أن توفاه الله.

وكان إلى جانب هذه الأعمال الجليلة يشارك في الإشراف ومناقشة الرسائل الجامعية، وكان مرجعاً لطلاب العلم والمستفتين من مختلف الطبقات، ويقوم بالدعوة إلى الله بإلقاء المحاضرات والمشاركة في الندوات العلمية والوعظ والخطابة. فقد كان إماماً وخطيباً في أحد الجوامع الكبار في مدينة الرياض مدة طويلة من الزمن. كان متخصصاً في كثير من العلوم خصوصاً علم التفسير والحديث والتوحيد. تخرج عليه أجيال من الطلاب استفادوا من علمه واقتبسوا من سيرته.

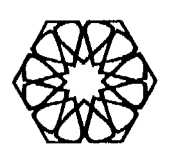
عرفت الشيخ -رحمه الله- معرفة خاصة حيث درست عليه في المعهد العلمي ببريدة وفي كلية الشريعة في الرياض وفي المعهد العالي للقضاء وأخذت عنه في هذه المراحل التفسير والحديث والعقيدة، كما تشرفت بإشرافه على رسالتي في الماجستير والدكتوراة، فكان لي نعم

الموجه الناصح والمعلم المخلص الخبير، استفدت كما استفاد الكثيرون غيري من علمه الغزير وطريقته الفذة في التدريس وإلقاء الدروس والمحاضرات.

كان ذكياً بعيد النظر ذا أناة وروية في الأمور، ولذلك فقد اتخذه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية -رحمه الله- مستشاراً يعتمد عليه حين تأسيس الكلّيات وفي اختيار القضاة و المدرسين والدعاة. وكان لآرائه السديدة أثراً بالغاً وقبولاً طيباً لدى سماحة الشيخ وغيره من المشايخ. كان الشيخ عبد الرزاق - رحم الله - ذا سمة ووقار وعفة وقناعة واستقامة وورع مع تبحر في العلم، وإجادة في أداء العمل، مما يجعله في مصاف الرجال العظماء وكبار العلماء.

رحم الله شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

تلميذه صالح بن فوزان



العالم العامل.. فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي
«رحمه الله»

فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- أحد أعلام هذه الأمة وعلمائها في هذا العقد من الزمان، أحسبه كذلك ولا أُزكي على الله أحداً، فقد كان يعمل بصمت وهدوء وسكينة لخدمة هذا الدين ونشر علومه وإبلاغ دعوة الله عز وجل، والعناية بطلبة العلم وتوجيههم إلى أصول العقيدة الإسلامية الصافية، ويزودهم بالنصائح الثمينة التي تمكنهم من تلقي العلوم الشرعية النافعة من مصادرها الثرة وفق طريقة السلف الصالح في تلقي العلم ونقله للآخرين، وقد ملأ -رحمه الله- فراغاً كبيراً في هذا المجال، وعمل -رحمه الله- باقتدار في جميع المسؤوليات والمهام التي أُنيطت به طوال نصف قرن من الزمان، من خلال عضويته في هيئة كبار العلماء، وفي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء باعتباره نائباً لرئيسها، وفي هذه الميادين العلمية والدعوية كان الشيخ عبد الرزاق يتمتع بمزايا فريدة لا تكاد تتوافر إلا في القليل من الرجال الذين وهبهم الله ذكاءً وفطنةً وجلداً وإخلاصاً.

لقد عرفت الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- عن قرب، فعرفت فيه الورع والزهد والبلاء الحسن في العمل، وإفادة الناس، وإرشادهم إلى ما فيه عزهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

كـان -رحمه الله- مـثـالاً في عـلـمـه وأدبـه وأخـلاقـه، وقـدوة في تصرفاته،كان مجاهداً ربانياً، قضى حياته في العلم والتعليم والتربية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يكره الإثارة، حريصاً على التآلف والتئام الصف واجتماع الكلمة، وتوحيد القصد والهدف، ولاشك أن هذه الأمور من أنبل المقاصد وأعظم الغايات.

لقد أُوتي الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- عقلية جبارة مكّنته من التكييف الفقهي للمسائل والنوازل، واستخراج الأحكام من النصوص، وتطبيقها على مستجدات الواقع. وكانت له إسهامات مشكورة في المجامع الفقهية والمؤسسات الدعوية. وكان على صلة طيبة بالعلماء والدعاة وولاة الأمر، وكان ناصحاً أميناً رفيقاً صادقاً في نصحه، لا يخشى في الله لومة لائم، يعرف للناس قدرهم، ويُنزلهم منازلهم اللائقة بهم.

وكان الشيخ -رحمه الله- على صلة قوية بجدي الشيخ محمد نصيف، وكان جدي -رحمه الله- يعرف له حقه وقدره، وكان بينهما مراسلات ومكاتبات لها صلة وثيقة بالمطبوعات ونشر الكتب وتحقيق التراث، علماً بأن الشيخ عبد الرزاق كان مقلاً في التأليف، ولكنه كان حريصاً على نشر وتحقيق كل ما يعود بالنفع على المسلمين في العاجل والآجل.

ومن أهم المؤلفات والكتب التي اعتنى بها الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- وعلّق عليها كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي، و«العقيدة الواسطية»، و«مذكرة في التوحيد» وهي من إملاءاته.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته..

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

عبد الله عمر نصيف

كلمة عزاء ورثاء بقلم:

فضيلة الدكتور الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الرئيس العام السابق لرئاسة تعليم البنات

بالمملكة العربية السعودية

في فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله

كان -رحمه الله- عَلَماً من علماء الإفتاء، وإماماً من أئمة الدعوة والإرشاد، ورائدًا من رواد العلم وحملة القرآن الكريم، وداعياً من دعاة الشريعة والحق والخير، قضى حياته راضياً مطمئناً من النفع ونشر العلم، مورداً عذباً للظامئين من طلبة العلم، ومعيناً لا ينضب بعلمه الغزير، وسلوكه القويم، ونبراساً للأجيال القادمة.

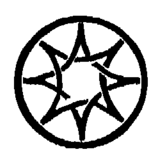
إنه المغفور له إن شاء الله فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، الذي درس العلم من منابعه حتى نال الشهادة العالمية من الأزهر، وتدرج في سلك التدريس بدءاً بدار التوحيد بالطائف، ثم في كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض قبل أن يُعين -رحمه الله- مديراً للمعهد العالي للقضاء.

وقد عرفته -رحمه الله- عن قرب، حيث حضرت كثيرًا من مجالسه العلمية برفقة والدي -رحمه الله- الشيخ عبد الله بن دهيش، فقد كانت بينهما زمالة ومعرفة، وحب للعلم ونشره، كما كان والدي كثير الثناء عليه، مشيداً بعلمه الغزير.

رحم الله الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمة واسعة، وأرجو الله أن يجعله من العلماء المخلصين المقبولين، وأن يحشره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتبه
د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش
الرئيس العام لتعليم البنات
بالمملكة العربية السعودية سابقاً



إنما كان إماماً[1]

بقلم: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

لا أزال أذكر احتجاج الإمام أبي محمد بن حزم في رسالته الميزان التي فاضل بها بين الأندلس والقيروان، وقد أوردها المقّري كاملة في «نفح الطيب» وعَنْوَنَ لها بالوصف لا بالاسم على أنها في فضل أهل الأندلس ثم طبعها الدكتور المنجد عن هذا الأصل بهذا العنوان في رسالةٍ مستقلة، وقد احتج في هذا الفصل على أن من كان من غير أهل الأندلس وقد عاش فيها ومات بها فهم (أي الأندلسيون) أولى به، وهو معدود من مفاخرهم ما دام من الأعلام الثقافية والعلمية.

ومن كان أصلاً من أهل الأندلس ثم استبدلها بدار أخرى فعاش فيها ومات عندهم فهم أولى به.

قال أبو عبد الرحمن: وعلى هذا القانون تفخر سعوديتنا بعلامتها الإمام سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه ولقّاه ربه الروح والريحان والرضوان وأدخله فسيح جناته، فقد اختار الرياض بلده ومثواه في النصف الأخير من عمره المبارك: وهو النصف الناضج المليئ بالعلم والعطاء.

---

(١) جريدة الجزيرة، السبت ١٢ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، الموافق ١٧ سبتمبر ١٩٩٤م.

ولم يأت عبد الرزاق إلى المملكة ليكون سلفياً ولا ليكون موظفاً.. بل كان منهجه العلمي في الرياض هو منهجه العلمي بمصر قبل أن يدور بخلده أنه يأتي للسعودية، بل عندما كانت مصر أكثر خيراً وقبل أن تتدفق عندنا ينابيع الذهب الأسود.

كان نشر «العلّو للعلي الغفار» للحافظ الذهبي -من كتب السلف- من أوائل تحقيقاته المطبوعة القليلة، وذلك عندما كان بمصر بشبين الكوم، وكان زملاؤه من أمثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحيري، ومحمد بن راشد وابن يابس، يقصون أخباره وهو بمصر يُخرِّج التلاميذ أكثر مما يخرج الكتب، فذكروا عنه علماً وعقلاً وعفة وسلفية.

ووصلت أخباره لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم فحرص على استقدامه.

وكانت السعودية مقر السلفية وناشرة علم ابن تيمية، وزينتها الحَرَمان الشريفان فرغب الشيخ عبد الرزاق في السعودية لهذه الأشياء لأنه سلفي بعقله ووجدانه.

وجاء إلى السعودية على علمه وسجيته لم يجتذبه طمع في مال أو جاه أو منصب، وعلم الله نيته فانقادت له كل أسباب العز الدنيوي، وهو لم يطلبها فكان في هذه المملكة أستاذ جيل بحق تتلمذ عليه أبناء ما بين السبعين إلى الثلاثين، ولا يزال تلامذته مربِّين للأجيال أهل منابر وحلقات وتدريس وتأليف.

والبرهان على أنه ليس طالب مجد دنيوي أنه ما التمس سبيلاً لازدياد كسب مادي غير رُويتبه تلقاء عمله الوظيفي الذي كرس له كل وقته.

وما أكثر سُبل الكسب المادي لو أرادها.

وبَعُدَ عن الإعلام والإعلاميين بُعداً لا هوادة فيه، وما عُرِفتْ من عبد الرزاق حياةٌ قط غير حياته بين طلابه في الصف، أو بين مريديه في بيته يقرأون عليه ويسألونه، أو في صميم عمله الوظيفي لدى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم يذاكره في العلم ويستفتيه في واقع الطلبة الذين يرشحون للقضاء والمناصب القيادية وكان رحمه الله عمدة في ترشيح الخريجين وتزكيتهم.

ولما أُحيل للتقاعد مرّت سنين لم يراجع لاستلام استحقاقه لأنه وقلّة من المشايخ خارج المملكة عن التقاعد من دون أن يكتب فتوى في ذلك، وإنما حمل نفسه على الأشد لأن كثيرين من السلف يتورعون عن بعض المباح، وباب الزهد واسع عند الأسلاف.

وأبى الملك فيصل رحمه الله إحالة أمثال عبد الرزاق إلى التقاعد وأوصى بأن يظل منبعاً ثرّاً مدى حياته.

وكان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز أكثر تعلقاً به لما جرَّبه من غزير علمه ورجاحة عقله وعفته وتورعه، فلم يأذن له بالاستراحة وقد أناف على التسعين واحتنكته أمراض عديدة، فالتزم الشيخ عبد الرزاق جانب الحسبة ما دامت قوته العقلية لم تضعف، فكان يذهب إلى مكتبه يُدف على العجل.

ومع أنه اكتفى برويتبه وبقي في فليلة بحارة شعبية لا تليق بأصغر تلامذته، فإنه لم يدخر من هذا الرويتب شيئاً، فقد كان يوزعه على أسر فقيرة في مصر، وكانت له صدقات في رمضان سخية على بعض المستحقين بالمملكة، وعندما كنت بمعهد القضاء العالي كان هناك

مكافآت للطلاب المغتربين تتأخر عليهم فكان يقرضهم وكان يتنازل عن حقه لدى هذا ويأخذ بعض حقه من ذاك.

وكان العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فرسي رهان ويظل لكل واحد منهما ميزته.

وقد جربتُ دروسه في التفسير والأصول والعقيدة وسبرتُ شيئاً من علمه بالعقليات في نقاش شفهي إلاّ أنني عندما جئت إلى معهد القضاء العالي وكان مديرَه وكان مدرساً فيه، وكنت من قدماء من التحق بالمعهد وبالعكس كنت من أواخر المتخرجين منه.

وقد زاملت في هذا المعهد مَنْ هو في دور مشايخي وما دام التغابن في العلم من باب التنافس المحمود فما غبنني إلا جبهات وكتل من العقل البشري جاءت إلى المعهد بعدي وتخرجت قبلي بسنين منهم مَنْ كان أول ممتازاً منذ بدأ إلى أن انتهى مثل أصحاب المعالي الدكاترة: عبد الله التركي وحمود الفايز وعبد العزيز الربيعة.

جئت إلى المعهد وكان الشيخ عبد الرزاق يكن لي ذكريات حب وإعجاب كما يفرح الأب بابنه النجيب إلا أنه وجدني على غير عهده، إذ وجد شيئاً من الأناقة في الملبس والمظهر مع توسع الأدباء والظرفاء فلم يغسل يده مني لأنه يحس عندي عناصر من التأصيل الشرعي، ولم يفرح بي كما يفرح بنجباء تلامذته الذين لا يزالون على سمتهم.

وقد فضحتني الصحافة أو فضحتُ نفسي بها بشيء من الترطيب الفني، حتى أنني لم أبال بمشايخي في مقدمتي لكتيِّبي «نظرات لاهية»، وكان إذا رآني وأحس بأن الساحة خلية من سامع رمى كُليمة من مثل قوله: «يا أبا عبد الرحمن لا تسقط من الزنبيل».

كأنه يريد أننا نريد رفعتك وأنت تأبى إلاَّ أن تتدلى.

وعندما كنت طالباً في المعهد كنت أحمل شيئاً من الصلف الأدبي والصحفي أمام جهابذة العلم، وأحضر فصول الدراسة للاعتداد بنفسي أكثر من الاستفادة من مشايخي.

وقد نُغِّصتُ على مشايخ لي من أمثال البحيري والدسوقي إلاَّ أن الشيخ عبد الرزاق لا يترك مجالاً لفضولي لأنه يأسرني فكراً ووجداناً ولغة إذا تحدث فأصغي للدرس وأستفيد على الرغم مني.

ومن سخافاتي أنني أحُضِّر للآية التي سيفسرها من أكثر من تفسير لأستدرك عليه شيئاً فاته، فإذا شرع بدرسه تبخر كل شيء في جعبتي لأنه يتناول الموضوع تناول خاصة من العلماء جمعوا بين الحفظ والذكر.

فكانت مادته دسمة، وكان قديراً على التوصيل لأنه كان جذاباً ومغرياً.

وما سمعت منه قط كلمة مؤذية ولكنه كان يفرض هيبته واحترام الطلاب له تلقائياً بشكل عجيب.

وانتهيت من المعهد بدرجة مقبول، وكانت هذه الدرجة إنقاذاً منه لي، وقد صرَّح أمام لجنة المناقشة أن انتشالي تقديراً لي وليس لبحثي.

إذن لم أنل من عبد الرزاق شهادة علمية وإنما فزت منه بمنهج تربوي تعليمي كريم، فعندما تأزمت لشيخي البحيري رحمه الله وتولى الإشراف عليّ فترة قليلة ريثما أعادني إلى مشرفي الأول تخلقت منه بخلق علمي فكنت ألخص أقوال بعض العلماء بفهمي وأسلوبي فيطالبني بالتنصيص ثم يستعيد النص مني مراراً حتى يبيِّن لي أن ما فهمته ولخصته كان فهماً خاطئاً.

وأحياناً أنقل نقلاً عن عالم ثم أحيل أقوال آخرين ظننت أن مذهبهم كان واحداً فيطالبني بالتنصيص ثم يظهر لي فروقاً دقيقة يتضح منها أن المذهب ليس واحداً.

وإنني لأعجب من استحضاره ذلك وقد فاجأته بالبحث مفاجأة: فنهجت في حياتي العلمية بعد ذلك أن أقرأ النص جيداً، وأن أنقله تنصيصاً فإن اضطررت إلى تلخيصه وعرضه بغير لغة مؤلفه أدمنت قراءته حتى أتأكد من فهمي له فهماً يطابق مراد كاتبه.

وكان رحمه الله منصفاً في جدله العلمي يفرِّق بين صحة الدعوى في ذاتها أو فسادها وبين صحة أو فساد البرهان المستدل به على الدعوى، ويرى أن فساد حجة ما لا يعني فساد المدعى، ولهذا تراه يناقشك في أدلتك أو اعتراضاتك ثم يهلهلها مع أنه يوافقك في المدعى.

وتكوينه العلمي يعلِّم طلابه الحرية الفكرية، ولهذا فهو يرى النقاش في الدرس والأطروحات وسيلة للاستقلال الفكري بأن يكون الطالب قادراً على الاحتجاج والاعتراض.. أما صحة المذهب في ذاته فأمر مردود لاجتهاد طالب العلم خارج أسوار المعهد وفق ما لديه من حصيلة علمية وفطرية فكرية ونزاهة خلقية.

والشيخ له باع في المنطق والعقليات وعلم الكلام، وعلى عِلْم وخبرة بمواقع الضعف في كتب العقيدة التي تدرس خارج المملكة على أسلوب المتكلمين كالسنوسية.

بل كان الشيخ ذا عناية بالسلفية قبل أن يصل إلى السعودية إلاّ أن سماحته لا يتظاهر بعلمه، ولكنه إذا سُئل، أو ناقش أو طُلِبَ منه الدليل والتأصيل كانت فتواه عن عِلْم مؤصل لا يملكه إلاّ خاصة من

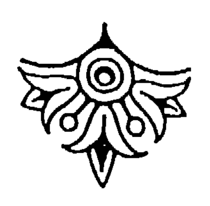
الأسلاف جمعوا بين المعقول والمنقول حديثاً وتفسيراً وأصولاً ولغة ومنطقاً.

وتعليقاته القليلة على بعض الكتب مثل الكتاب الفحل: «إحكام الأحكام» للآمدي في الأصول كانت قليلة، وكانت لمحة عالم.

والشيخ في جبلته يؤمن بتخريج الطلاب وتسهيل العلم الذي ورثناه عن الأسلاف دون حاجة إلى مزيد من التأليف.

ولهذا نفع الله بدروسه وتلاميذه فكانت له في وسطنا العلمي بالسعودية بصمة متميزة تجمع بين المعقول والمنقول.

رحم الله الفقيد وجمعنا به في دار كرامته....



السيرة الذاتية للشيخ عبد الرزاق عفيفي[1]
بقلم فضيلة الشيخ مناع بن خليل قطان

استمع إلى الشيخ مناع بن خليل القطان رفيق الشيخ عفيفي في دربه الطويل أحد تلامذته وابن قريته، وأحد أقرب الناس إليه، وهو يتحدَّث عن سيرة الشيخ قائلاً: في قرية هادئة متواضعة تترابط أُسَرها، وتمتزج في كيان واحد، وتتنسم عبير الإخاء والود في مجتمع ريفي صغير هي قرية (شنشور) إحدى قرى محافظة المنوفية بمصر في هذه القرية كانت ولادة الفقيد سنة ١٣٢٣هـ وكانت النشأة التي تغمرها العاطفة الدينية، فتحرك مشاعر الإيمان وتجعل من الدعوة إلى الله سياجاً حصيناً، وأصبح عبدالرزاق عفيفي بين أقرانه الفتى الموهوب في حفظه للقرآن الكريم وإقباله على العلم.

التحق رحمه الله بالأزهر وأنهى الدراسة العليا في التخصص بالفقه وأصوله والعالمية وهي الشهادة التي تُسمَّى في الإصطلاح العصري (بالدكتوراه) ودرَّس في الأزهر بمعهد شبين الكوم، ثم معهد الإسكندرية.

وفي رحلته العلمية، كانت عنايته الفائقة بتربية تلاميذه على العقيدة السلفية، ونبذ البدع والخرافات والأخذ بيدهم إلى هذي الكتاب والسنة

---

(١) انظر جريدة «المسلمون» الجمعة ٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ.

وسلف هذه الأمة، فاحتضن نخبة متميزة وتعهدها منذ الطفولة بالرعاية، واصطحبها معه حتى نمت وشبَّت عن الطوق ونهجت نهجه، ولعلّني كنت على رأس هذه النخبة وأحبَّ تلاميذه إليه ولا أزكي على الله أحداً وأخذ يجول في البلاد المتعددة لأداء رسالته وحيث كانت معظم المساجد لا تخلو من البدع، ويجهل عامة الناس مسائل العقيدة الصحيحة، فقد ركّز -غفر الله له- على الجوانب العقدية والعودة إلى منابع أصولها الصافية، والتمسك بالسُّنة الصحيحة، وما كان عليه أمر المسلمين في القرون المشهود لها بالخير، وإذا تعذّر عليه التغيير، سعى إلى إقامة مسجدٍ خاص يقوم عليه مَنْ هداهم الله ويتخذون منه منطلقاً للدعوة، وله في هذا مواقف شتى.

ومن القرية التي تعهّدني بها منذ الطفولة انتقلت معه طالباً في معهد شبين الكوم الدِّيني، أتلقّى من فيض علمه على مقعد الدرس وأزوره في بيته فيختار ما يشاء من الكتب لأقرأ عليه بعض الموضوعات التي يريدها، ويقف عند كل فقرة شارحاً ومبيِّناً.

تولى رئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية في فترة إقامته بالإسكندرية، ثم اختير رئيساً عاماً للجماعة في فترة لاحقة ولم يكن يتعصب لجماعة بعينها.

وفي القرية الآنفة الذكر (شنشور) وفي قرى ومُدنٍ أخرى، كانت الجماعات الإسلامية العاملة في مجال الدعوة تعمل متعاونة كأنّها جماعة واحدة بتوفيق الله تعالى وما كان لتوجيه هذا العالم المفضال من أثر.

انتقل الشيخ من مصر سنة (١٣٦٨هـ) للعمل بالمعارف السعودية فدرّس في عنيزة وفي دار التوحيد بالطائف، وهي نواة التعليم الديني في المملكة العربية السعودية.

وحين عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -يرحمه الله- إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بإنشاء الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية سنة (١٣٧١هـ) وقع اختيار سماحته على فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ليسهم في ذلك بما عُرف عنه مِن عِلْمٍ وثاقبِ رأي وقرّبه إليه وجعله موضع مشورته.

وما لبث الأمر طويلاً حتى طُلبتُ بأمر خاص أنا والأستاذ الهراس سنة (١٣٧٣هـ) للتدريس في هذه المؤسسة العلمية التي بارك الله فيها، وآتت أكلها الطيب -ولا تزال بحمد الله- باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وعندما توفَّرت الدواعي لإنشاء دراسات عليا ورفع مستوى القضاء أُنشئ المعهد العالي للقضاء سنة (١٣٨٥هـ) وتولى الفقيد غفر -الله له- إدارة المعهد، ووضع مع لجنةٍ متخصصة مناهجه، وقام بالتدريس فيه، وأشرف على رسائل طُلابه.

وفي سنة ١٣٩١هـ انتقل إلى إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وصار عضواً في هيئة كبار العلماء ونائباً لسماحة والدنا وشيخنا عبدالعزيز بن باز في رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وكان -رحمه الله- عضواً في اللجنة التي وضعت مناهج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة كما كنتُ عضواً فيها وسهرنا سوياً الليالي المتتابعة لإنجاز هذا العمل.

أشرف وشارك في مناقشة عدد كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه، وتخرج على يديه أجيال من طلبة العلم الذين يُكنون له

التقدير والاحترام، ويعترفون بماله من تفوق في الحياة العلمية.

تميَّز الفقيد بتأصيل المسائل العلمية وتحليل فروعها، وتحرير مواطن الخلاف فيها، والترجيح السديد بين الأراء المعتمدة، ولم يكن يميل إلى تأليف الكتب مع غزارة علمه وسعة اطلاعه، ويُفضِّل العلم تدريساً وبحثاً، وقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء كثيراً من الأبحاث التي يرجع إليها طلبة العلم وينهلون من معينها العذب.

له مِن المؤلفات: «مذكرة في التوحيد»، وتحقيق وتعليق على كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي، وتعليق على الجزء المقرر في «التفسير من الجلالين» لطلاب المعاهد العلمية. وقد عاش الفقيد متقشفاً زاهداً بعيداً عن المظاهر العامة بمنأى عن أضواء وسائل الإعلام.

بقي أن نضيف أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي بقي عضواً في هيئة كبار العلماء حتى أُعفي لحالته الصحية التي فرضها كِبَرُ سِنِّه نحو عامين، أما اللجنة الدائمة للإفتاء فلم يزل يشارك فيها ونائباً لرئيسها حتى وفاته يرحمه الله، بل لقد كان يباشر عمله مفتياً ومُجيباً عن مسائل العامة وطلبه العلم في مكتبه بإدارة البحوث العلمية والإفتاء، مدفوعاً بالعَربة لصعوبة المشي عليه.

وكتبه
مناع بن خليل القطّان

ذكريات عن الشيخ العفيفي[1]

فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

الشيخ عبدالرزاق عفيفي عطية من علماء الأزهر الشريف قديماً أدرك الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا ونحوهما، وكانت دراسته في العلوم الشرعية كالحديث واللغة والتفسير والأحكام، حتى تفوّق على زملائه وبعض مشايخه، كان من زملائه الشيخ عبدالله بن يابس الذي أصله من بلاد القويعية، وقد كان بينهما من المحبة والصحبة وقوة الإخوة ما لا يوجد مثله إلا نادراً وكان زواجهما متقارباً في مصر من زوجتين صالحتين كالأختين، وقد استضاف الشيخ عبدالله عند مجيئه إلى مصر لأول مرة واستزاره الشيخ عبدالله إلى بلاده ونال هناك حفاوة وإكراماً من قبيلة الشيخ عبدالله، ولم يزالوا يودون الشيخ عبدالرزاق ويتصلون به حتى تُوفي رحمه الله وأما زملاؤه المصريون كثير.

قدم إلى المملكة قبل عام ١٣٧٠هـ ودرّس في الطائف في دار التوحيد وقدم بعد ذلك إلى الرياض واستقر بها.

أما علِمْه فهو بحر لا ساحل له في أغلب العلوم التي يتناولها بالبحث والشرح، فلقد عرفته لأوّل مرة عام ١٣٧٤هـ وكان يزور بعض

---

(١) انظر مجلة الدعوة العدد ١٤٦١ ـ الخميس غرة جمادى الأولى ١٤١٥هـ.

المشايخ، كالشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري ونقرأ عليه في المجلس حديثاً من أوّل صحيح البخاري فيشرحه شرحاً موسعاً بحيث يستغرق شرح الحديث الواحد أكثر الجلسة، وعرفته في أحد الأعوام يُفسّر سورة سبأ في مسجد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- فكان يبقى في تفسير الآيتين نحو ساعة أو أكثر ويستنبط من الآيات فوائد وأحكاماً وأقوالاً وترجيحات يظهر منها عظمة القرآن وما فيه من الاحتمالات والفوائد، مما يدل على توسع الشيخ وسعة اطلاعه وكثرة معلوماته.

أما أخلاقه فقد عُرف منه لين الجانب، وطلاقة الوجه، وحسن الملاطفة، فهو أمام الزوار والتلاميذ والزملاء دائماً يُظهر الفرح والسرور والانبساط في الكلام والإجابة على الأسئلة بدون غضب أو ملل أو تبرم أو ردٍ شديد للسائل، فجليسه يلقى منه كل المؤانسة والتبسم بحيث لايمل جليسه، ولايزال يتلقى عنه أنواعاً من الفوائد ولطائف المعارف وغرائب المسائل، كما أنّه يُكرم مَنْ زاره ويُقدِّم ماحضر بدون تكلف، ويجود بما يقدر عليه دون أن يمن بما أعطاه أو يرد مَن سأله، وهكذا دأبه مع العلماء وطلبة العلم، والأصحاب والزملاء الأقدمين، فهو جواد كريم بما اعتاده، ومجيب لمن دعاه بدون تكلّف أو تشدد.

أما تدريسه فقد أفنى حياته في وظيفة التدريس في مصر ثم في المملكة في دار التوحيد بالطائف، ثم في معهد الرياض العلمي، ثم في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية بالرياض، ثم في معهد القضاء العالي مديراً ومدرساً حتى أحيل للتقاعد، ثم عمل متعاقداً في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بقية حياته حتى وافاه الأجل وهو على رأس العمل في هذه الرئاسة، وقد تتلمذ عليه أكابر العلماء في هذه المملكة واعترفوا بفضل علمه وافتخروا بالانتماء إلى تعليمه في أغلب المراحل،

كما انتفع الكثير بالفوائد التي تلقّوها عنه في دروسه في المسجد وغيره.

أما التأليف فلم يكن يرغب فيه ولا يُحب الكتابة في أي فن من الفنون بل يرى أن هذه الكتب والمؤلفات الحديثة لا فائدة فيها فيكتفي بما كتبه وجمعه العلماء السابقون حيث أنّهم تطرّقوا إلى كلّ فن، وأوضحوا ما يحتاج إلى توضيح فمن جاء بعدهم لايستطيع أن يضيف إلى علومهم زيادة، ولقد ضرب مثلاً بإحضار مجموعة من التفاسير وقارن بينها فأظهر أن الآخر عيال على الأول، وأنّ المتأخرين إنما توسّعوا في الكلام بما لا فائدة فيه وكان ينهى عن الانشغال بكتب المعاصرين التي كتبوها في الأصول أو التفسير أو الأدب والفقه ونحو ذلك، حيث أنّهم لا يزيدون على مَن سبقهم، ومع ذلك فقد أشرف على رسالتي في أخبار الآحاد التي قدّمتُها لنيل درجة الماجستير، وعلى رسالة الدكتور عبدالله ابن عبدالمحسن التركي، وغيرهما وكان يولي التلميذ توجيهات ودلالة على المواضيع وأماكن البحث ونحو ذلك، مما يدلّ على قدرته على الكتابة لو أراد ذلك فهو من حملة العلوم المتعددة، وأي فن يتطرق إليه يوسعه بحثاً، فرحمه الله وأكرم مثواه وصلّى الله على محمدٍ وآله وصحبه وسلم.



الشيخ عبد الرزاق عفيفي العالم والمربي والمفتي[1]

بقلم: عثمان الصالح

العلماء أنوار للعقول.. والعلماء هم المصلحون الذين بهم يصلح المجتمع بتوجيههم وإرشادهم.. والعلماء بهم يسعد الناس ويهتدي بهم الضال... ولهذا سار علماؤنا المصلحون الذين كانوا للدين ناشرين.. وللجاهلين هادين. وقد عرفت الكثيرين حسب ما مر عليَّ من سنين، منهم العالم المدرس الذي به اعتدلت الأفكار وصلحت المفاهيم. ومنهم العالم الذي له مقوماته العلمية والأدبية والأخلاقية. وممن عرفت فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي.. المربي والمدرس والعالم والمفتي والذي أمضى حياته الغالية في هذه البلاد مدرساً وعالماً ومفتياً، وكان أول ماعرفته حينما تعين سماحة الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع مديراً للمعارف وتأسست كثير من المدارس وأصبح ينتقي للمدارس أساتذة فضلاء من سائر البلاد العربية ليسير بالمدارس إلى المستوى الأسمى والأمثل على يدي مدرسين في المدارس التسع التي تأسست أول ما تأسست في عام ١٣٥٦هـ وكان ممن انتدبه- الشيخ عبدالرزاق عفيفي مدرساً في أول مدرسة في عنيزة، ولما كانت المواصلات في ذلك الحين ليست على

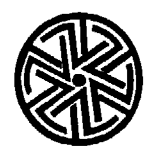
---

(١) تم الحصول على هذه الكلمة الضافية بعد لقائي بفضيلة الشيخ عثمان الصالح في دارة الأستاذ الأديب عبد المقصود خوجة، وقد تفضل الشيخ عثمان الصالح بإرسال هذه الكلمة بطريق الفاكس.

المستوى المطلوب والمدن تخلو من المواصلات الداخلية على الوجه المطلوب لنشأة الدولة في أول أمرها ونهضتها وليس فيها فنادق والأمكنة ينزل فيها المارون من وإلى الرياض وغيرها وكنت يومها عند ولي العهد الملك سعود (فيما بعد) في حدود الـ ١٣٦٢هـ حسب التقدير. وقد أبرق إليّ فضيلة الشيخ المانع مدير المعارف برقية هذا نصها: سيصل إليك الشيخ عبدالرزاق عفيفي المدرس في عنيزة آمل أن تلاحظه في سكنه بالرياض وأن تتولى ترحيله إلى عنيزة فاستقبلته وأسكنته عندي في منزلي وحجزت له مع السيارات التي تسافر إلى عنيزة وأركبته مع أناس أثق فيهم يقدرون طالب العلم، وأبرقت لأخي وأستاذي (صالح الناصر الصالح) رجل التعليم والتربية بذلك ومرت الأيام سراعا.. وزرته في عنيزة في منزله.. والحقيقة أن مثل هذا الرجل جدير بأن يكون في مثل ما هو فيه من فضل وعلم وخبرة وعمق في العلم.. ثم دارت الأيام.. ومر الرياض أيضاً وكنت معه في حله وترحاله.. ثم صار في مدينة الرياض معلماً في أرقى مدارسها ومعاهدها وكلياتها وأصبح إماماً في مسجد الجامع حي -الخزان- إماماً وخطيباً فكان في وعظه بعد الصلاة وأحاديثه قبيل صلاة العشاء الأخير ثم أحاديثه بعد العصر مقتدى لكل الحي يفد إليه الغريب والبعيد من الأحياء من محلات بعيدة للاستفادة من بحر علمه الوافر وإرشاده المحبوب في الفقه والعبادة وجميع أركان الإسلام.. وكنت على صلة به يزورني في بيتي ويجلس مفيداً ومعلماً وكأنه في مدرسة في كل مكان يمر به أو يبقى فيه ثم التحق بالإفتاء ورأى فيه سماحة الوالد الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله مفتي الديار السعودية والشيخ عبدالعزيز بن باز مكانته العلمية فكان أحد علماء مجلس الفتوى في الرياض،وكنا أيضاً على صلة به فكان رحمه الله العالم

المطلع الذي يحدث الناس بما يهمهم ويفيدهم ويصلح أمورهم في دينهم، وكان يتجنب -وهذه من حسناته- كل ما هو فوق مستوى معرفتهم وإدراكهم ويتجنب تعدد الأقوال والآراء البيانية وماهو مختلف فيه، بل يذكر ما هو الأولى والأحسن وهذا ما كان يعمله في جميع أدواره والتي أفنى عمره في هذا البلد، وزرته في المستشفى آخر عمره مرات عديدة والعناية به من الدولة عناية وثيقة، والرعاية له من الدولة متعددة في راحته وخدمته وكان رحمه الله كريماً جواداً لا يبقى من المال باقياً يتبرع بباقي الراتب على الفقراء والمحتاجين حتى أن ما يملكه من عقار تبرع به لطلاب العلم، ولما توفي -رحمه الله- تبعه في جنازته الآلاف من الناس.. الأمراء والعلماء وطلاب العلم.. وكان أحد العظماء من العلماء فلقد ترك أثراً بيناً وذكراً حسناً.. رحمه الله رحمة واسعة وغفر له وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.

وكتبه
عثمان الصالح



كلمة حق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فقد وفقني الله وله الفضل والمنّة، أن تتلمذت في معهد الرياض العلمي، ثم في كلية الشريعة في الرياض، وذلك في الفترة من عام ١٣٧٢هـ إلى عام ١٣٧٩هـ، على علماء أجلّة، ومشايخ فضلاء، استفدت من علمهم وتوجيههم، فجزاهم الله عنّي وعن غيري من الطلبة خير الجزاء، وأجزل لهم المثوبة على نشرهم العلم، وبذلهم النصح، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وإنّ من هؤلاء العلماء والمشايخ الكرام، فضيلة الشيخ: عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- وأسكنه فسيح جناته. فقد درست عليه في النحو والحديث والتوحيد والأصول، وكان عالماً واسع الاطلاع، فصيح العبارة، قوي الشكيمة، عزيز النفس، ذا هيبة ووقار، وموضع التقدير والاحترام من طلابه، وما رأيت في المصريين مثله.

ومن جميل علمه لإفهام الطلبة الكتاب المقرر دراسته، أنه يضع أسئلة شاملة مستوعبة لما جاء في الكتاب، فيلزم الطالب نفسه في معرفة الإجابة عليها.

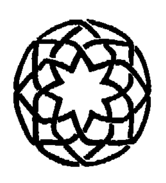
فتكون النتيجة حصر الطالب لفقرات مباحث الكتاب وإحاطته بكل

ما اشتمل عليه، وقد اتبعت هذه الطريقة في تدريس بعض الكتب المقررة، فاستفدت وأفدت.

والحمد لله أولاً وآخراً.

قاله كاتبه

عبد المحسن بن محمد العباد البدر



لمحات من حياة الشيخ عبد الرزاق عفيفي[1]

فضيلة الدكتور صالح بن عبد الرحمن الأطرم
عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية

صفات الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- صفات العلماء الأفذاذ الذين مضوا وسجَّل التاريخ لهم ما يبقى من المحاسن إلى يوم القيامة، والذين شملهم قول الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة» لأنهم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، تعليماً وتدويناً.

والشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- جمع العلم والعقل فيا سعادة من جمع العلم والعقل، إذ لا يستغني أحدهما عن الآخر، فالعقل يزن به ما يقول ويفعل ويتأمل في العواقب، والعلم الشرعي يعرف به أحكام التصرفات في الأقوال والأفعال.

والشيخ عبد الرزاق عفيفي نفع الله به في جميع مستويات الدراسة النظامية منذ أن بدأت النهضة العلمية النظامية في المملكة العربية السعودية، مع أنه شارك في حلق التدريس في مسجد سماحة الشيخ -محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- أول ما قدم إلى الرياض في سنة

(١) انظر مجلة الدعوة، العدد (١٤٦٠) الخميس ٢٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ.

إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف وعند الملك عبد العزيز غفر الله له وأصلح عَقِبه.

وقد اشتهر الشيخ عبد الرزاق بحبِّه للنفع وبذْله للنصح، فهو المستشار الناصح لكل مَنْ استشاره من مسؤول أو من سائر الأفراد، وكان ثاقب النظر عارفاً بطلابه واتجاهاتهم، من يصلح للقضاء أو للتدريس في حقول التعليم أو في الوظائف الإدارية، وكان حريصاً على تأهيل من يتولون المسئوليات من قضاء وتدريسٍ وأعمالٍ إدارية.

وكان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- يعتمد رأيه في المناهج وفي الكتب المقررة. ومما أستحضره من نصحه لمّا اقترح من اقتراح اختبار نصف العام، جاءت مشكلة المكفوفين فحل المشكلة بأن يختبروا شفوياً فكأن المكفوفين لم يرغبوا، فما زاد على كلمة واحدة وهي قوله إنه أرفق بكم، فليس كلّ واحد سيجد كاتباً، وبعد خروج النتيجة حصل الرضا فأدرك المكفوفون نصح الشيخ.

ومن نصحه لي شخصياً لما درست السنة الأولى في المعهد العالي للقضاء لم أدخل الاختبار، فغلّظ عليَّ اللوم، فاعتذرت بعدم المذاكرة فقال لي: ادخل الاختبار وأجب بما عندك، فلم أفعل، ولما بدأت الدراسة في العام الثاني بالمعهد العالي للقضاء أعاد علي النُّصح بمواصلة الدراسة فأبديت الرغبة، فاستشرت الشيخ عبد الرزاق عمن أذاكر معه، وذكرتُ له شخصاً فقال: إعزم على مواصلة الدراسة وأنا أعرف مَنْ يناسبك وتناسبه في المذاكرة، فحقّق ما قال، غفر اللّه له وجزاه اللّه عنِّي والإسلام والمسلمين خيراً، وكان نُصحه مع كل أحد ولكنِّي ذكرت نموذجاً مما يتصل بي.

تدريسه:

درَّسنا الشيخ عبد الرزاق في معهد الرياض العلمي، وفي كلية الشريعة، وفي المعهد العالي للقضاء، في التفسير وفي توحيد العبادة وفي العقيدة وفي الفقه وفي النحو وفي أصول الفقه فما درّس مادة إلا أبدع فيها.

منهجيته:

أما منهجيته فتمتاز بوضوح الكلام وقِلّته، وتكييف المادة، بحيث تصل إلى الأذهان من أوّل وهلة، بديع في تفكيك عبارة المؤلفين باختلاف المواد وإذا استغربنا ما سمعنا من المعاني التي لا نُدركها بمجرد قراءة الكتاب وسألناه من أين هذا؟ قال: هذا من كتابكم لم آت بغريب.

وكانت دراسته في الفقه على مذهب مالك، ويُدرِّسُنا في «المقنع» على مذهب أحمد بكل سهولة، وكان للخلاف في الفقه عندنا روعة واستعظام، حتى سألناه من أين يأتي بهذا الكلام؟ فقال: ما قرأت غير كتابكم وهو «المقنع»، ثم أخذ يشرح لنا فقال: التدريس فهم الكتاب وأهدافه ومنهجيته وأصول مذهبه، وضرب لنا مثلاً في القصاص من السّكْران عند قول المؤلِّف: «وفي القصاص من السكران روايتان إذا تعمد السكر، فعند من قال فيه القصاص لاحظ أنه تعمد إزالة عقله، ومن قال إنه ليس فيه قِصاص: ألحقه بمن زال عقله بعذر ومن هنا نشأ الخلاف»، ثم قال- رحمه الله: هكذا كلُّ خلاف يكون له مأخذان من الأدلة، والتنفيذ يكون حسب ما مشت عليه دراسة الفقه في البلد من المذاهب الفقهية.

منهجه في العقيدة:

كانت عقيدة الشيخ عبد الرزاق في أسماء الله وصفاته وتوحيد العبادة عقيدة السلف الصالح فيفسر «لا إله إلا الله» بلا معبود بحقٍ إلا الله، وهذا التفسير هو الحق، وفي الأسماء والصفات طريقة السلف الصالح، فهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

وكان كثيراً ما ينبهنا على دقائق ولطائف، ومن ذلك أنَّ أحد مدرسي التفسير أثنى على تفسير الفخر الرازي، وكان عند أحد الكُتبيين في الرياض منه نسختان فسارعت بشراء واحدة وقرأت فيه ثم ذهبت إلى الشيخ عبدالرزاق وأثنيت على ذلك التفسير وقلت له: لكنِّي لم أسمع مشايخنا يذكرونه أو يقرأونه على الناس فقال لي بغضب: ألا تدري لماذا؟ ثم قال :ألا تعرف منهج مشايخك؟ وكنت إذ ذاك لم أسمع لفظة منهج، ثم قال: مشايخك مشايخ عقيدة سلفية، وتفسير الفخر الرازي فيه شوك لا يصلح يُقرأ على العامَّة، لا يصلح للمبتدئين في التعليم، فاستفدت من هذه اللفتة من الشيخ اختلاف المنهجيات وبيان المراد بها.

ويعرف عن الشيخ ما هو أكثر من ذلك، غفر الله له، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

د.صالح بن عبد الرحمن الأطرم

---

(١) سورة الشورى: الآية (١١).

من نوادر العلماء[1]

الشيخ عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله

١٣٢٣هـ - ١٤١٥هـ

بقلم د. محمد بن سعد الشويعر

مولده ونشأته:

يعتبر الشيخ عبدالرزاق من نوادر العلماء في كل زمان: سمتاً ووقاراً وإخلاصًا وحباص للبذل من علمه وجاهه وماله.. وقد ولد فضيلة الشيخ -الذي يعتبره أبناؤه ومحبوه، شيخ الشيوخ، ومدرس القضاة والعلماء بالمملكة، لما يقرب من نصف قرن- في قرية شنشور من محافظة المنوفية، شمال القاهرة بمصر، عام ١٣٢٣هـ الموافق ١٩٠٥م، واسمه بالكامل: عبدالرزاق بن عفيفي بن عطية النوبي.

تربى في كنف والده، ثم انتظم في سلك التعليم، بعدما نمى عوده، وتفتحت مواهبه، فآل به طموحه وشدة رغبته إلى الأزهر، لينهل من العلم، وليزيد حصيلته بالسؤال والقراءة، حيث كان يركز في طلابه هذا الأسلوب، باعتباره من أساليب رسوخ العلم، وزيادة المعرفة وكان من

---

(١) تفضل بإرسال هذه الكلمة إليّ بطريق الفاكس، فضيلة الدكتور محمد بن سعد الشويعر فجزاه الله خيراً وجعل ذلك في ميزان حسناته.

زملائه الذين أنس بهم، وتوثقت صلته معهم، ما عدا الأخير منهم هم الشيخ عبدالعزيز بن يابس، والشيخ عبدالعزيز بن راشد، والشيخ عبدالله القصيمي، حيث لم تتوطد صلته بالثالث لاختلافهما في المنهج والأسلوب.

كان هؤلاء الثلاثة هم أول بعثة سعودية تنتظم في الأزهر، لطلب العلم، بعد أن درس بعضهم الحديث في الهند، على أعلام أجلاء هناك، اشتهروا برواية الحديث وإجازته.

تحصل الشيخ عبدالرزاق -رحمه الله- على الشهادة العالمية الأولى -الماجستير- وتسمى «العالمية» عام ١٩٥٠م، وبعدها بخمسة أعوام تحصل على درجة التخصص «الدكتوراه».. وكان ذلك في بداية فتح المجال لهذا التقليد العلمي في المؤهلات، إذ كان الأزهر، قبل ذلك يقتصر على المؤهل الجامعي وهو شهادة «العالمية». أي أن الطالب يعتبر بهذا المستوى قد وصل إلى الدرجة التي تخوله لحمل العلم ونشره.

كما كان الشيخ عبدالرزاق، ممن يزهد في الشهادات الدراسية، والتشدق بذكرها، وإنما يراها وسيلة لحمل العلم، وثقل الأمانة التي يجب أن تؤدى. ولم نسمعه يوماً يتحدث عن المؤهل الذي تحصل عليه.

نشأ الشيخ محباً للعقيدة السلفية، مبغضاً للملل والنحل، التي أفسدت على المسلمين سلامة العقيدة، وصحة العبادة، فكان منهم من يتعصب لشيخه ومريده، ويخالف كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وكان منهم من يتابع أقوالاً استحدثت في الدين، بغير ماأنزل الله، ويترك ما وثّقه العلماء بالدليل، وما تابعه المهتمون بسلامة العقيدة -باعتبار العقيدة هي المحور الذي تدور عليه الأعمال وسلامتها-، وبالجرح والتعديل، والتوثيق والاتفاق.

أدرك الشيخ الخلل الذي يسير عليه جم غفير من الناس في كل مكان، ولاحظ آثاره في بلده، وقصور الأزهر -ذلك الوقت- في تصفية التوحيد من الشوائب، حيث تدرس فيه الفلسفة الإسلامية، ولا تدرس العقيدة، ويدرس المنطق والجدل، ولا يهتم بالرد عليهم وبيان مواطن النقص عندهم. فوقع في يده بخفية كتاب: «الرد على المنطقيين» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فأعجب به، ووجد فيه ضالته ولكن كتب الشيخ - ذلك الوقت- نادرة في مصر، فصار يبحث عنها، ويخفيها عن زملائه ومدرسيه، لأن الناس هناك حكموا على ابن تيمية وفق آراء خصومه ولم يقرأوا كتبه، فكان هذا بداية لإيجاد أنصار السنة المحمدية بمصر، حيث كان الشيخ عبدالرزاق من المؤسسين لها بعد التشاور مع بعض العلماء الذين صاروا معه في التفكير والاعتقاد.. لتكون باباً للدعوة إلى الله باللسان والقلم.

لقد كان مما حفظته عنه -رحمه الله- ويكرره دائماً عندما كنت أواصل الدراسة في الأزهر: كيف ترى حال الناس هناك في أمور الدين؟. فأقول الأمور تبشر بخير، إن شعب مصر متدين بطبعه، ورقيق يستجيب لمن يدعوه، فلعل الله أن يكثر لهم دعاة الخير، وأضرب لهم المثل، بما عمله صلاح الدين الأيوبي بعدما قضى على الفاطميين، حين استقدم مجموعة من علماء السنة، ليبثوها في الناس، فتحول المصريون من التشيع الفاطمي إلى السنة بسرعة..

فقال لي رحمه الله: لقد كنت أخفي ما أحصل عليه من كتب ابن تيميه رحمه الله في كيس من الورق، وأشد عليه كيساً آخر في القماش، وأتأبطه، مخافة أن يعلم أحد أن هذا من كتب ابن تيميه، فأنال عقاب العامة، قبل الخاصة، وماينتج عن غضبهم.. أما الآن فكتب ابن تيمية

وتلاميذه وجميع كتب العقيدة منتشرة في مصر. وفي غالب البيوت، ولعل الله يصحح عقائد الناس، لأن العقيدة هي الأساس. ولذا كان رحمه الله كل اهتمامه في تصحيح العقيدة.

عمله:

اشتغل في بلده بالتدريس والدعوة، وكان حكيماً حليماً في دعوته، بصيراً في علمه وتعليمه، ولما بدأت المملكة العربية السعودية تستجلب المدرسين لما فوق الإبتدائي، مع رغبة المسئولين في تعميم العلم، والتوسع في نشره، كان الشيخ عبدالرزاق، من أوائل وخيرة المصريين الذين وفدوا للتدريس، حيث رشحه فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع معتمد المعارف السعودية آنذاك مع زملائه الذين استقدمهم الملك عبدالعزيز -رحمه الله- للعمل بالمملكة، مثل الشيخ عبدالظاهر أبوالسمح، إمام الحرم المكي، والشيخ عبدالمهيمن أبوالسمح إمام الحرم والمدرس بدار الحديث الخيرية بمكة، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة.. وغيرهم.

فقدم الشيخ للمملكة عام ١٣٦٨هـ، وعمل مدرساً بدار التوحيد بالطائف، وكان الرعيل الأول من علماء المملكة المتخرجين من دار التوحيد، وكلية الشريعة بمكة، هم من تلاميذه ويدينون له بالفضل، بحسن التدريس والتوجيه، ومحض النصح..

وفي عام ١٣٧٠هـ انتقل للرياض، ليشارك في التدريس، مع وضع الأسس التنظيمية للمعاهد العلمية التي كلف الملك عبدالعزيز، الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ -رحمهم الله- بفتحها والاشراف عليها، فكانت آثار الشيخ عبدالرزاق واضحة في المناهج، واختيار الكتب، والمدرسين، ثم

في تنظيم الإمتحانات، والشهادات الدراسية، وإرشاد الطلاب، وحسن توجيههم. إذ كان مرجعاً للجميع في بيته وفي عمله وفي المسجد: المدرس يسترشد والطالب يسأل ويستوضح، والوافد يأخذ منه التوجيه، والعاميّ ونصف طالب العلم، يسأل عما خفي عليه. وكل منهم يصدر منه عن رأي مقنع، وجواب سديد.

وبعد افتتاح معهد بريدة العلمي كُلِّف بالتدريس هناك، ثم عاد للرياض مدرساً بالمعهد العلمي، ثم كلية الشريعة..

ولما رأى العلماء الحاجة إلى دراسة متخصصة للقضاة، في العلوم الشرعية، ليزداد علمهم، وتتمكن المعلومات التي ترفع من عطائهم في مجال القضاء، كان للشيخ عبدالرزاق دور في تكوين أول دراسة عليا تابعة لكلية الشريعة بالرياض، بل في المملكة كلها، فافتتح المعهد العالي للقضاء، الذي قرر بأن يمنح الماجستير في العلوم الشرعية، وأسندت للشيخ عبدالرزاق إدارته والتدريس فيه.. فكان ذلك الوقت المعهد العالي للقضاء، هو الشيخ عبدالرزاق، والشيخ عبدالرزاق هو المعهد العالي.. فمحض الطلاب نصحه، ففتح أمامهم مجال البحث، وطريقة الأخذ وترتيب الكتابة وتبويبها، وكان معهم، وكانوا يسائلونه ليلاً ونهاراً، وكان لهم نعم الشيخ الدؤوب، الصابر المحتسب، والموجه الذي لايكل ولا يملّ، في دقائق الأمور وجليلها.

وبعدما أينعت الثمار، وبلغ الشيخ السن النظامي، تقاعد لأنه صار سعودياً بالتجنس فلا بد أن يطبق عليه النظام وأعلنت مصلحة التقاعد العامه اسمه في الصحف عدة مرات، ضمن الذين لم يراجعوا لإكمال واستلام ما يتعلق برواتبهم التقاعدية.

وأذكر أنني سألته عن ذلك بعدما رأيت تكرار الإعلان له ولغيره، فقال لي: إن في النفس منه شيء لأنني أخشى أخذ ما ليس لي، وخدمتي بعدما نلت الجنسية قليلة، فكان تركه ذلك تورعاً منه رحمه الله.

وفي نفس العام سمعت أنه صدر أمر بتعيينه مفتياً بدار الإفتاء، التي يرأسها ذلك الوقت معالي الشيخ: إبراهيم بن محمد آل الشيخ.. ولما تشكل مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة كان واحداً منهم، لبروزه علمياً، وسعة اطلاعه. وفهمت أنه دار في مجلس العلماء أن الملك فيصل رحمه الله، لما بلغه تورع الشيخ عبدالرزاق عن أخذ معاش التقاعد، قال: مثل الشيخ عبدالرزاق لا يحال على التقاعد، فالناس في حاجة إلى علمه.. فأمر بإعادته للعمل.

استمر في عمله مفتياً، ثم نائباً للمفتي العام في شؤون الفتوى، وقد أعطي المرتبة الممتازة قبل وفاته بثلاث سنوات، وانتقل إلى رحمة الله، وهو على رأس العمل، كما كان طوال عمله في الإفتاء، يجلس للناس في المكتب وفي البيت للفتوى والمشورة مشافهة وبواسطة الهاتف، وفي الحج كل عام إلى أن أقعده المرض.

اخلاقه وصفاته:

جبل الله الشيخ عبد الرزاق على أخلاقٍ كريمة، وحبٌّ للمساعدة، مع تواضع جمّ، ونكرانٍ للذات، ورغبة في لين الجانب والمساعدة.

من يراه يظنه ضعيفاً مستضعفاً لأنه يقرّب الناس إلى نفسه، ويحرص على بذل جاهه ومساعدته لذوي الحاجات لكنه عندما يرى من أحد أمراً يمسّ بكيان الدين، قولاً أو فعلاً أو كتابة، أو يتراءى له

إضرار بالعقيدة، فإن وجهه يتمعّر، وأثر التأثر يبرز على محياه، حمية للدين، ومحافظة على محارم الله من أن تنتهك.

أذكر أن تلميذاً كان عنده في أحد الفصول، نَبتْ منه كلمة حول تمجيد مذهب دخيل على الإسلام، ضمن التيارات المعاصرة والأفكار الوافدة، فقرّعه بلطف، وبعد الدرس استدعاه على انفراد وشرح له ما في ذلك المذهب والقائلين به من عيوب، وما يجب عليه أن يسلكه في قراءته وفكره ومحضه النصح، لكنه لم يرفع أمره للإدارة مخافة الإضرار بالطالب، فصلح ذلك الطالب فيما بعد واستقام أمره، وهذه هي طريقته مع جميع طلابه، بل ما أكثر ما يتجاهل ما لدى الطالب من فكر غير سليم، ورأي غير ناضج، حتى كأنه لم يسمع شيئا، ثم يتحيّن فرصة الإلتقاء به على انفراد، ويحادثه محادثة الزميل مع الزميل، ثم يترقى إلى أسلوب الأب الشفيق بحالة ابنه.

وهكذا في كل حالة من الحلات الظاهرة على الطالب، باعتبار ذلك من علامات التزكية، يحرص عليها بلطف إما بإشارة تغني عن عبارة، أو بمشورة يحملها آخر له، أو بانتهاز اللقاء به في أي مكان لحثه على ما يحسن به أن يتخلق.. وكل ذلك يترك أثراً عميقاً، لأنها مشورة خارجة من القلب، وبدون تشهير، ولا يريد بها إلا الخير والصلاح..

استفدت منه -رحمه الله- الشيء الكثير، وطلابه أكثر مني فائدة، ومما علق بذهني من أقواله عن الشباب الإسلامي، وحماستهم بعد اليقظة، وتعدد الداخلين في دين الله في كل مكان، وما يأتي من أخبار ويسمع من كلام: يابنيّ إنني أخشى على هؤلاء من تعجلهم، فهم كمن يريد أن يبني بيتاً من أعلاه، دون الاهتمام بالأساس.. إن أساس

المسلم عقيدته، فيجب بناء العقيدة والحرص على تطبيقها لترسخ، قبل الفكر والعمل.. ثم ضرب لي مثلاً فقال: إن رسول الله ﷺ جلس في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى كلمة التوحيد وتحقيق معناها، والعمل بمقتضاها، وهي أكثر من النصف لمدة مكثه في الدعوة، ولما هاجر للمدينة، وصار معه قوم مدركون لمقتضى: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. بدأت الشرائع العملية تتتابع ومنها الجهاد.. فأظهر الله دينه. وهذا يدل على حرصه رحمه الله على العقيدة الصحيحة والتشبّع بها عملاً، لأنها إذا صلحت صلحت الأمور، وإذا فسدت فسدت الأمور.. كما كان يؤكد أهمية السمع والطاعة لولاة الأمور، لأن أحوال الرعية لاتستقيم إلا بذلك، ويضرب نماذج لذلك، بكثير من البلاد التي فسدت الأحوال فيها، بالخروج على ولاة الأمور.

آثاره العلمية:

رغم غزارة علم الشيخ عبدالرزاق، وسعة مداركه، حتى أنه ليكاد يوصف بالمكتبة المتنقلة، يشهد لذلك طلابه الذين درسوا عليه في المعهد العالي، وأشرف على رسائلهم العلمية، فإنه زاهد في التآليف، قليل الكتابة، وخاصة في العشرين سنة الأخيرة من عمره، وعلى حدّ علمي، لم يعرف له في التأليف إلا رسالة في التوحيد، ومذكرات للطلاب في المواد المهمة أثناء تدريسه لهم وهي: العقيدة، والتفسير، والأصول... هذا إلى جانب المقالات في العقيدة، وهذه كانت تنشر له في مصر.

ومما وقع عليه نظري من الكتب المطبوعة:

١ - مذكرات في التوحيد.

٢- تحقيق كتاب إحكام الأحكام للآمدي.

٣- جزء واحد من التفسير من الذاريات إلى الناس طبع بعد وفاته..

ولاشك أن مقالاته وردوده على المنحرفين في العقيدة، ومذكراته التي أملاها على طلابه وفتاواه لو جمعت لكانت حصيلة علمية تبرهن للأجيال المقبلة، عن مكانة هذا العالم الزاهد، وعن أسلوبه في الدعوة إلى الله وأذكر أنني طلبت منه، أن يكتب بحثاً في العقيدة لمجلة البحوث الإسلامية، التي شرفتُ برئاسة تحريرها والتي تصدر عن هيئة كبار العلماء بالمملكة، فامتنع وقال: لم يترك لنا العلماء الأوائل مجالاً فقد كفونا وما يكتب الآن فهو نقولات عنهم، وقد تكون ناقصة، فيكتفى بالأكمل. وهذا من تواضعه رحمه الله وإلا فإنه إذا كتب يبرهن ويقنع، وإذا حلّل موضوعاً يستوفيه ويبسّطه.

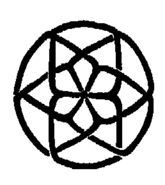
وفاته:

في السنوات الأخيرة من عمره، إنتابته أمراض عديدة، ومع هذا لم يكن من الحريصين على التردد على الأطباء إلا عند الضرورة، لأنه من المتوكلين على الله، ويقول: إن هذا شيء قدّره الله، ولابد أن يحصل..

كما كان من الصابرين، إذ فقد مجموعة من أبنائه فاحتسبهم عند الله، وأذكر أن واحداً منهم قتل في الحرب مع إسرائيل عام ١٩٧٣م، فجئت إليه في الزيارة المعتادة في بيته بعد مغرب كل يوم، فعزّيته، ولم يرتح لذلك، وبدأ الحديث كأنه لم يمت له أحد، وعند الخروج في وداعه قبض على يدي وقال: يابنيّ الشهيد لايعزى فيه، وأرجو أن يكون ابني شهيداً. فأخذت ذلك منه درساً من الدروس العديدة التي استفدتها منه.

وقد أجري له عدة عمليات في المستشفى الجامعي بالرياض، تكللت بالنجاح، ولكن الروماتيزم الذي كان معه طويلاً أقعده عن الحركة، فكان لا يأتي للعمل، ولا يذهب للمسجد إلا في عربة متنقلة، وكأن هاجساً باطنياً نبهه إلى قرب أجله، إذ أصر في حج عام ١٤١٤هـ، أن يكون من ضيوف الرحمن، لعل الله أن يتقبّل منه حجة الوداع هذه، وقد منّ الله عليه بإكمال الحج بيسر وسهولة.. وبعد عودته للرياض انتابته الأمراض المضنية، فدخل المستشفى، حتى وافاه الأجل المحتوم في يوم ١٤١٥/٣/٢٥هـ فدفن في الرياض، وشيعه إلى مثواه الأخير العلماء وطلاب العلم وعارفوا فضله، في جموع غفيرة داعية له بالرحمة والمغفرة.

د. محمد بن سعد الشويعر
المستشار بمكتب سماحة المفتي العام
للمملكة العربية السعودية
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية
الرياض ١٤١٧/٨/٢١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. أما بعد:

فقد طلب مني الأخ الأستاذ محمود بن عبد الرزاق عفيفي أن أكتب بعض ما أعرفه عن شيخنا عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- بحكم مجالستي له في سنواته الأخيرة.

وقد كتب جمع من أهل العلم عنه رحمه الله تعالى ولا زال بعضهم يكتب عنه كتابة مطولة، تتضمن ترجمته وصفاته رحمه الله تعالى بتوسع. وقد رأيت في هذه العجالة أن أكتب بعض ما يتعلق بصفاته وميزاته ، وأما التوسع في ترجمته وحياته العلمية فهذا الأمر قد كتب عنه بعض أهل العلم ولا زال غيرهم يكتب فيه وفقهم الله تعالى في مسعاهم، فأقول وبالله التوفيق:

إن الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله تعالى- يتميّز بالقوة العلمية وبالذكاء البيِّن وبسعة الاطلاع على علوم الشريعة سواء كان ذلك في علم العقائد (عقيدة السلف الصالح) ومعرفة أقوال الفرق الأخرى وشبهاتهم أو الفقه وأصوله أو في علوم التفسير وغير ذلك من علوم الشريعة.

كان رحمه الله من كبار أهل العلم في هذا العصر وقد درس عليه كثير من أهل العلم، وكان رحمه الله تعالى معروفاً بعلمه منذ بداية حياته

العلمية فقد حدثني الشيخ عبد القادر شيبة الحمد عنه -رحمه الله تعالى- فقال: كنا ونحن ندرس بالأزهر كان عبد الرزاق عفيفي له صيت.

وقد تمييز -رحمه الله تعالى- بتوسعه في العلوم الشرعية وبتمسكه بالكتاب والسنة اعتقاداً وقولاً وعملاً نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله.

وقد حدثنا -رحمه الله تعالى- أنه عندما كان بالأزهر وكان مقرراً عليهم «مختصر صحيح البخاري» كان يكتفي بالوقوف عند النصوص الشرعية وبالاستنباط منها ويستعين بتراجم الأبواب الموجودة في المختصر ولا يرجع إلى الشروح الأخرى.

قلت: وهذا معروف عنه رحمه الله تعالى بتمسكه بالوحيين وبالتفقه فيهما، وقد دخلتُ عليه أكثر من مرة في غرفته التي فيها مكتبته فلم أجد إلا أعداداً قليلة من الكتب أغلبها في التفسير والحديث.

وقد كان -رحمه الله تعالى- يتميز بتسهيل المادة التي يدرِّسها لطلابه بحيث إذا شرح الموضوع فهمه أكثر من سمعه.

وقد حدثني بهذا أكثر من واحد من طلابه الذين درسوا عليه وقد سألت شيخنا عبد الرحمن بن ناصر البراك عن أكثر من استفادوا منه في دراستهم في كلية الشريعة فقال: الشيخ عبد الرزاق عفيفي فقلت له: والشيخ محمد الأمين الشنقيطي فقال: الشيخ محمد الأمين يأتي إلينا وينفجر علينا.

قلت: وقصْد الشيخ عبد الرحمن أن الشيخ محمد الأمين بسبب قوّة حافظته وسعة علمه يلقي المعلومات الكثيرة في الفترة القصيرة كأنه ينفجر عليهم من سعة معلوماته، وهذا لا يصلح لكل الطلاب فكثير منهم تفوته هذه المعلومات بخلاف الشيخ عبدالرزاق فإنه كان رحمه الله تعالى معروفاً

بتنظيم المعلومات وبالسبر والتقسيم، فلذلك كانت استفادتهم منه أكثر وهذا ما أتى إلا من قوة فهم وذكاء وتحليل للمعلومات، وإلا لما استطاع أن يُعلِّمها لغيره بهذه الطريقة، وقد كان الشيخ رحمه الله تعالى وهو على مقاعد الدراسة يشرح لبعض زملائه الطلاب بعض الدروس.

قلت: والشيخ كان معروفاً بفصاحته وبيانه وقد كان بعض طلاب الشريعة يتعجبون من ذلك أثناء ما كان يدرسهم التفسير فسألوه عن ذلك فقال: إن هذا من تفسير أبي السعود كما حدثنا بذلك الشيخ عبد الله الفنتوخ وفقه الله تعالى.

وقد حدثنا شيخنا عبد الله بن عقيل عن الشيخ عبد الرزاق أنه كان إذا أراد أن يكتب لا يعرف مسودة ومبيضة يعني إنه كان يكتب الموضوع مرة واحدة، وهذا يدل على قوته العلمية وقوة فصاحته.

قلت: والشيخ رحمه الله تعالى كان متقللاً ومعروفاً بالبساطة والزهد، وعدم الإكثار من الدنيا وبقلة الكلام وكان يكتفي بالكلمة الواحدة عن الكلمات الكثيرة، وكنا أحياناً نخوض في الكلام عنده في بعض القضايا وكان هو ساكتاً لا يتكلم حتى يسأل.

وقد كنت عنده في مرة من المرات وعنده بعض الإخوان من أنصار السنة في مصر -فيما يبدو- فقال لهم: إن نسخته من سنن ابن ماجه أَمَر بوضعها في مركز أنصار السنة أو نحو ذلك.

رحم الله الشيخ عبد الرزاق رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ورفع درجاته.. آمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد آل سعد

من العلماء الأعلام

الشيخ عبد الرزاق عفيفي أحد علماء العصر الأعلام، اشتغل بالتدريس فتذوقه وأحبه تلامذته، وبالدعوة فبرع فيها وأفاد العامة والخاصة وبالفتوى فأجاد وأفاد، كان -رحمه الله- يتفنن في عرض المسائل وطرح الخلاف ويجيد إيصال المعلومة للسامع مع اختلاف طبقات الحاضرين عنده، ويظهر هذا جلياً في دروسه العامة التي كان يلقيها في المسجد الذي يؤم الناس به في حي المنصوريات بالرياض فقد حضرت له الكثير منها واستفدت من علمه وخُلُقه.

كان -رحمه الله- غزير العلم في التفسير والفقه والأصول واللغة، حريصاً على إيضاح ما يحتاجه الناس في حياتهم من مسائل علمية وكانت دروسه العامة محببة لسامعيه، يشد انتباههم ويضرب الأمثلة المناسبة لحال المستمعين فلا يمل الحضور من حديثه، ويجدون من متابعة درسه لذة ومتعة مع فهم جيد لما يطرحه.

كان -رحمه الله- يجيد الإقناع بما يدعو إليه، لما اتصف به من قوة الحجة وغزارة العلم وحُسن العرض للمعلومة.

وكان -رحمه الله- محباً لطلبة العلم، يفتح بيته وصدره لهم ويأنس لطرحهم ما يُشكل عليهم من مسائل عملية ويشركهم معه في البحث والمناقشة.

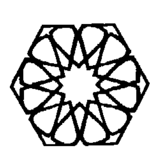
ويساعدهم في أمورهم العلمية والمادية، وكان من حبه للعلم وطلابه أن أوقف داره بمكة على دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة كما أنه يمد بعض طلبة العلم بالكتب القيمة.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

سليمان بن وائل التويجري



العالم الرباني والمصلح المجاهد[1]
فضيلة الشيخ الدكتور
عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

الحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترة من الرُّسل، بقايا من أهل العلم ينفون عن دين الله تحريف الغّالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين، وقيّوم السماوات والأرضين، وأشهد أن نبيّنا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله الذي بلّغ البلاغ المبين وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلىّ الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وصحابته الغُر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلمّ تسليماً كثيرا.. أما بعد:

فإن الحديث عن سِيَر علمائنا الأفاضل وأئمتنا الكرام موضوع في غاية الأهمية، وتأتي أهمية هذا الموضوع من نواحٍ كثيرة وأسبابٍ متعددة، أولها: أن هؤلاء العلماء في الأمة هم أنوار هداها وهم مصابيح دُجاها،

(١) أساس هذه المادة العلمية، محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس، إمام وخطيب المسجد الحرام، في المسجد الكبير «ببحرة»، وقد تم تسجيل المحاضرة في حينها. وقد قمت بتفريغ أشرطة هذه المحاضرة وترتيب فقراتها، مع تصرف يسير في المادة العلمية مراعاة للترتيب وتحقيق الانسجام بين الفقرات.

وهم الشموع التي تنير طريق العلم والعمل والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر، فإذا كانت هذه مكانة العلماء فإن الواجب على الأمة أن تعرف سِير علمائها وأن يرتبط خلف الأمة بسلفها، وأن ترتبط الأجيال المعاصرة والناشئة بعلمائهم الذين صاروا على منهج السلف الصالح رحمهم الله ورضي عنهم.

والسبب الثاني: مكانة العلم، فالعلم له مكانة عظيمة وله منزلة رفيعة في هذا الدين، والجهل ظلام وشؤم وبُعد عن الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

السبب الثالث: يتمثل في أننا نعيش في عصر يُمثِّل عصر غربة الإسلام، وعصر نقص العلماء الذين يسيرون على المنهج الصحيح وما ذاك إلا لأن كثيراً من العلماء الأبرار انتقلوا من هذه الدار، وهذه ثلمة لا تُسد، وفاجعة تُعد ولا تحد ذلك أن قبض العلماء وموت الأفذاذ من المصائب على الأُمَّة، ويدل ذلك على أن الأُمَّة بحاجة إلى أن تأخذ علم علمائها قبل أن يُفقدوا، فإذا انخسفت النجوم وانكسفت وغابت أوشك أن يضل الناس، فالعلماء في الأرض بمثابة النجوم في السماء وفي البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». فهذه الأمور تجسد المسؤولية على الأُمَّة وعلى شبابها وعلى

طلابها، أن ترتبط بكبار علمائها قبل أن يفقدوا، وأن تستفيد الأمة منهم ومن علمهم ومن فضلهم، وأن تقتبس من نور سيرتهم ما يبيِّن لها طريق الحق، هذا هو الواجب على الأُمَّة الإسلامية وعلى شبابها وطلاب العلم فيها وناشئتها بصفة خاصة، ومن الأسباب أيضاً: أننا نعيش في عصر الفتن وعصر الخلافات وعصر كثُر فيه النزاع والشقاق وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه فيجب على الأُمَّة أن تعرف العلم بدليله، وأن تأخذ الحق بناصع حجته وبيانه وذلك لا يؤديه إلا من رسخت أقدامهم في العلم وثنوا ركبهم وحنوا ظهورهم سنين عددا في التحصيل والطلب، ومن ثمَّ البذل والدعوة والتعليم والجهاد والبلاغ، ومن الأسباب أيضاً: أن الأمة اليوم يوجد من أعدائها من يُلمِّع رموز الباطل ومن يُزيِّن للأُمَّة أصنافاً من أهل العفن ضد قيم الأُمَّة وأخلاقها وعقيدتها، فواجب الدعاة إلى الله وواجب العلماء وواجب طلاب العلم أن يبرزوا جهود علمائهم، لأن إبرازهم من أقل الواجب علينا تجاههم ومن الأسباب أيضاً: أن هناك فجوة كبيرة بين الشباب وبين علمائهم، فإذا سألت كثيراً من الشباب عن كبار علمائهم لاسيَّما مَنْ توفوا إلى رحمة الله عز وجل، فتجد أن بعضهم لا يعرف عن هؤلاء شيئا، وهذا والله هو العقوق أن يظلَّ علماءُ راسخون وأئمة مهديون وجهابذة بارزون في طي النسيان إذا ماتوا، فيجب على الأُمَّة وعلى العلماء وعلى طلاب العلم أن يبرزوا هؤلاء العلماء للأُمَّة، ويؤسفني أن أقول إن عَلَمنا اليوم قد مرّ على وفاته أكثر من عام وثلاثة أشهر أو العام والنصف تقريباً ولم نر من طلاب العلم ولا من المهتمين مَنْ أبرز سِيَر هؤلاء العلماء أو حرص على إبراز وذكر نشاطهم ونتاجهم العلمي ومنهجهم الدعوي وذلك من الخطورة بمكان، فإن موت العالم ثُلمة في الأُمَّة، ويجب على هؤلاء

العلماء وطلاب العلم أن يكونوا على صلة بعلمائهم يبينون لهم الطريق لا سيما في عصر غلبت فيه الخلافات وكثُر فيه النزاع والشقاقات، فيجب علينا أن نحرص على سير علمائنا وأن نستفيد منهم، ولهذا قال بعض أهل العلم: سِيَر العلماء أحب إلينا من كثيرٍ من الفقه، لأن كثيراً من الفقه إغراق في مسائل فرضية أو مسائل فرعية وجانبية وقد يكون ليس لها أهمية في مجال العلم والتطبيق، أما سِيَر العلماء لا سيما إذا عُرفوا بحُسنِ المعتقد وسلامة المنهج، فإبرازهم للأمة هو ترجمان صريح وتطبيق عملي للإسلام والسُّنة، وإن كنا لا نزكي على الله أحداً والنقص من طبع البشر ولا نغلوا في الأئمة والعلماء ولا ندعي العصمة لأحد من الناس فالكمال لله وحده والعصمة للأنبياء فيما يبلغون عن الله، وكل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويرد عليه وخير الهدي هدْي محمد ﷺ.

إن في سير العلماء خبر أيّ خبر، وإنّ في تراجم العظماء عِبَر أي عبر، وإنّ في أحوال النبلاء مدّكر أي مدكر، هم صفحة ناصعة ينبغي أن يتمثلها الجيل اليوم وأن يسيروا على ضوئها وأن يقتبسوا من نورها في عصر طغت فيه الماديات وكثر فيه تلميع أهل الباطل والإقلال من أهل الخير والحق عند كثير من الناس، فينبغي أن يبرز أولئك وأن يُبيّنوا للأُمَّة شبابها وشيبها علماءها وعامتها وأن يعرف فضلهم على الأمة.

إن في تاريخ الإسلام العظيم كوكبةً من علماء الشريعة بذلوا جهودهم للتحصيل العلمي، بذلوا أنفسهم وأوقاتهم في طلب العلم ونشره وبذله للناس، ومن هؤلاء العلماء -علماء السلف الصالح- رحمهم الله الإمام أحمد -رحمه الله- وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والأئمة الكرام الذين برزوا في فنون شتّى، في فنون العقيدة والفرق والحديث درايةً وروايةً والفقه والأحكام وأصول الفقه واللغة العربية وعلم

التفسير وعلوم القرآن وعلم الأدب وغير ذلك من العلوم النافعة، فأُمّة الإسلام أُمّة معطاءة، خرَّجت العلماء والزعماء والقادة والعظماء والأدباء والنبلاء، وتاريخ الإسلام زاخر بهؤلاء الأئمة، فيجب علينا أن نعرف قدرهم وفضلهم وأن نستفيد منهم وأن نرتبط بمنهجهم، وأن نسير على ما ساروا عليه لأنهم راسخون في العلم وأكثر خبرة وتجربة وعمقاً في الأمور والنظر إلى العواقب والحكمة في طريق العلم والدعوة والموقف من المخالف وما إلى ذلك من الأمور المهمة التي ينبغي علينا جميعاً أن نحرص على تجليتها حينما نتحدث عن سير هؤلاء العلماء، وإن في علمائنا المعاصرين من مشايخنا وكبار علمائنا لمنهجاً وأسوةً وقدوةً ينبغي أن يستفيد شبابنا منهم، وحينما نقول ذلك لا نقول إننا نغلو بهم، ولا نقول إننا ندعي لهم العصمة، لكننا نعرف لهم فضلهم وسبقهم، ولا خير في أُمّة لا يعرف شبابها قدْر علمائها، ولا خير في أُمّة لا يعرف ناشئتها مكانة كبار علمائها.

ويؤسفنا أن نسمع عن هؤلاء العلماء من يقول إن فيهم وفيهم وإنهم رجال ونحن رجال، وأنهم لا يعرفون شيئاً من أمور العصر أو أمور الواقع، أو غير ذلك من الأمور وما أُوتي أولئك إلا من قبل جهلهم، وإلا من قِبَل سوء أدبهم مع علمائهم وتقديرهم لأهل الفضل منهم، ولا تسأل عمّا يعيشه هؤلاء من فرقة وخلاف وتخبط في الجديد من المشارب والحديث من المذاهب، إن الذي أتحدث عنه في هذه الأمسية لا كالأعلام، وأقولها بصراحة لأنها عن خبرة وتجربة. إنني أتحدث عن جيل قدّم لأمته وقدّم لمجتمعه وقدّم للعالم نتاجاً علمياً وجهوداً جبارة، أصبحت عند كثير من الناس في طي النسيان والكتمان مع شديد الأسف!!

لعمرك ما الرزيةُ فقدُ مالٍ ولا شاةٌ تموتُ ولا بعيرُ

ولكنّ الرزيةَ فقدُ شهمٍ يموت بموته بشرٌ كثير

وما هلكهُ هلك واحدٍ ولكنه بنيان قوم تصدّعا

الشيخ العلامة والحبر الفهّامة شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- من الجيل الذي يعد من بقية السلف الصالح -رحمهم الله- الذي عرفهم هذا العصر علماء عارفين، وأئمة ربانيين ومجاهدين في سبيل العقيدة الصحيحة وفي سبيل نشرها وبذلها وتعليمها للأُمَّة، الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- أئمة في إمام، إمام في الحديث لا يُشق له غبار، وإمام في الفقه لا يُجارى، وإمام في الأصول لا يُبارى، وإمام في اللغة، وإمام في علم التفسير وعلوم القرآن، وأئمة في شخص إمام، رحمه الله رحمة الأبرار.

إن العناصر التي نتحدث عنها عند سيرة أي عَلَم من الأعلام ينبغي أن تكون عناصر متكاملة ولكن ماذا عساي أن أقول عن اثنتين وتسعين سنة من الجهاد والدعوة والعلم والتعليم والخير بجميع جوانبه.

إنني عندما أتكلم عن سيرة شيخنا لا يهمنا في حياته الجانب الأُسري ولا يهمنا في حياته الجانب النظري، ولا يهمنا في حياته جانب أكله وغذائه ولكن المهم أن نذكر ونعوِّل على منهج الشيخ -رحمه الله- في عقيدته، منهجه في العلم، منهجه في التعليم، منهجه في نشر العلم والبذل والعطاء، منهجه في الدعوة إلى الله عزَّ وجل، منهجه ومواقفه من ولاة الأمر، وموقفه من العلماء، وموقفه من الجماعات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية، ومواقفه من أمور شتى، تُبيِّن عِلْم الشيخ وتُبيِّن غزارة مادته وسمو منهجه رحمه الله.

أمّا اسم شيخنا -رحمه الله- فاسمه عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية النوبي، هذا اسمه كاملاً، والشيخ -رحمه الله- ولد في مصر قبل أن تكون الجمهورية العربية، في قرية تُسمّى شنشور في محافظة المنوفية، وهذه القرية معروفة بتمسكها وعاطفتها الدينية، ولهذا نشأ الشيخ -رحمه الله- نشأة دينية وتأصل في الإيمان والتربية الصحيحة على خير ما يتربى عليه ناشئٌ يافع.

أما تاريخ ولادة الشيخ رحمه الله- فقد ولد في العام الثالث والعشرين بعد الثلاثمائة وألف من هجرة النبي ﷺ. أقول: فمنذ صباه -رحمه الله- كان توجهه توجهاً دينياً علمياً فحفظ القرآن الكريم منذ صغره، وهكذا نشأ مرتبطاً بدستور هذه الأمة ألا وهو كتاب الله جلّ وعلا، وهذا يؤخذ منه أن علينا أن نُربِّي أبناءنا على كتاب الله سبحانه.

وينشأ ناشئ الفتيان منّا على ما كان عوده أبوه
وما كان الفتى نجماً ولكن يعوده التدين أقربوه

لقد تدرج الشيخ -رحمه الله- في سلك التعليم فدرس في المعاهد الأزهرية التي تمثل عندنا اليوم المدارس المتوسطة والثانوية، ثم التحق بجامعة الأزهر قبل أن تكون جامعة، يوم أن كانت جامعاً أزهرا، وتخرّج منها مع كوكبةٍ من علماء الأزهر.

فالشيخ -رحمه الله- كان معروفاً أثناء تحصيله وطلبه العلم بالحرص على التحصيل والمناقشة والرغبة في الفائدة والأخذ عن العلماء والاستفادة منهم عليه رحمة الله، وتخرج من الجامع الأزهر ونال الشهادة العالية التي هي بمثابة ما يُسمّى بـ«الليسانس»، ثم أخذ شهادة التخصص التي هي «الماجستير» ثم نال الشهادة العالية -العالِمية-، وهي

التي تُسمَّى اليوم «شهادة الدكتوراه». لقد بلغ -رحمه الله- من مراحل التعليم أجلَّها وأعظمها وأكبرها في عالم شهادات اليوم، لكنه ليس طالب شهادات -رحمه الله-، ولم يكن يعترف بهذه الأمور، بل كان حريصاً على العلم، وحريصاً على التحصيل، وحريصاً على المواصلة في طلب العلم حتى في آخر حياته.

ولم يكن -رحمه الله- مقتصراً على العلم فقط، وإنما كان يحرص على العلم والعمل وعلى التعليم أيضاً وعلى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وهو في قريته وبعد التحاقه بالأزهر، كان -رحمه الله- حريصاً على الدعوة إلى الله مُركِّزاً على ما يحتاج إليه مجتمعه آنذاك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فقهه لواقعه الذي يعيشه، فالشيخ -رحمه الله- وُجِد في عالم يموج في كثير منه بالبعد عن الله عز وجل والوقوع في معتقدات تخالف العقيدة الصحيحة والوقوع في الشركيات والبدع وعبادة القبور والخرافات، فكان -رحمه الله- داعية إلى التوحيد وهو في مقاعد التحصيل والعلم والدراسة وكان له في ذلك أسلوب حسن، ومن أساليبه في ذلك -رحمه الله- أنه كان حريصاً على أن يبني المساجد وعلى أن يُسهم فيها وأن يوجد في كل مكان من قريته مسجد يجتمع فيه الناس ويؤدون فيه شعائر الإسلام، ولم يك ينظر إلى أنه يؤدى فيه شعائر الإسلام فقط، وإنما كان يرى أن رسالة المسجد رسالة علم وتعليم ودعوة إلى الله وما المسجد إلا بمثابة قلعة إيمان، وحصن فضيلة ومحلاً للدعوة إلى الله وإشعاع النور في بيئة تموج فيها الخرافة والعقيدة المخالفة لعقيدة أهل السنة رحمهم الله.

والشيخ -رحمه الله- درَّس بعد تخرجه في المعاهد الأزهرية في بعض القرى وفي الأسكندرية.

وكان حريصاً على نشر السُّنة ومؤيداً ومعيناً لجماعة أنصار السُّنة بمصر وهذه الجماعة أقولها بحق ليست جماعة حزبية، وإنما هم أناس نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله ولنصرة السُّنة والتركيز على العقيدة الصحيحة وإلى دعوة الناس إلى الوحيين، وإلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد رُشح الشيخ -رحمه الله- في سنٍ مبكرة نائباً لرئيس جماعة أنصار السنة في الأسكندرية، ثم عُيِّن رئيساً لجماعة أنصار السنة في مصر كلها خلفاً للشيخ محمد حامد الفقي رحمهم الله جميعاً. فالشيخ -رحمه الله- اتسمت حياته بالعلم وبالعمل والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإحياء السُّنة والتركيز على العقيدة ونبذ البدع والخرافات كل ذلك بأسلوب حسن، وهذا مما يبيِّن الأولويات في الدعوة إلى الله. فينبغي على الدعاة إلى الله أن يبنوا دعوتهم على الأولويات التي دلّ عليها الدليل من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وقضية العقيدة هي أم القضايا على الإطلاق، وهي أصل القضايا بالاتفاق وهي دعوة الرُّسل الذين دعوا أقوامهم إلى التوحيد والعقيدة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾.

ويكفي الشيخ في ذلك شرفاً أنه يسير على منهاج النبوة وعلى مشكاة الرسالة وعلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، لقد منّ الله على الشيخ وشُرِّف في بلاد الحرمين الشريفين بقدومه إليها عالماً ومربيّاً وداعياً إلى الله على بصيرة.

فمن نِعَم الله عز وجل على هذه الأُمَّة وعلى هذه البلاد وعلى الجزيرة أن هيّأ الله لها الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود فجمع الله به البلاد والعباد على منهج واحد، فبعد أن ضربت

الجزيرة في الفرقة والخلاف والقبلية وغير ذلك من الأمور الكثيرة، جمعهم الله على الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن -رحمه الله-، فالإمام الملك عبد العزيز -رحمه الله- رأى مع علماء هذه البلاد وفي مقدمتهم سماحة المفتي السابق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمهم الله- أن البلاد بحاجة إلى مجموعة من العلماء الذين عُرفوا بعمقهم العلمي وبُحسن منهجهم العقدي، ليثروا البلاد وأهلها بالعلم والتحصيل والتوجيه فكان أن استقدم مجموعة من علماء الأزهر من أهمهم وأولاهم وأفضلهم شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله-، ومنهم أيضاً الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، إمام الحرم المكي الشريف -رحمه الله-، والشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة، ومنهم الشيخ محمد خليل هراس، ومجموعة مباركة من كبار علماء الأزهر المعروفين بُحسن عقيدتهم وحُسن منهجهم وأتوا إلى هذه البلاد المباركة عندما افتتحت المدارس عن طريق مديرية المعارف آنذاك، وافتتحت دار التوحيد بالطائف[1]، وافتتحت أيضاً المعاهد العلمية التي هي نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ففي عام ألف وثلاث مائة وثمانية وستين قدم الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- إلى بلاد الحرمين الشريفين، لم يأتها طالباً الدنيا، ولم يأتها يريد المنصب، ولم يأتها يريد المال كما يأتيها كثير من الناس اليوم، لكنه أتى إليها حباً في الحرمين وأهلها وحباً في الإسلام وعلماء الدعوة السلفية الذين صاوروا على منهج الدعوة الإصلاحية منهج الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ولا شك أن هذه البلاد المباركة التي هي مأرز الإيمان وموئل العقيدة، عُنيت بالمنهج الاعتقادي الصحيح.

---

(١) وصادف ذلك وصول العلامة الشيخ محمد كامل القصاب، والشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ سعدي ياسين وغيرهم من بلاد الشام -زهير-.

وكان الشيخ حريصاً -رحمه الله- وهو من كبار علماء السُّنة في العصر الحاضر- كان حريصاً على أن يكون في ظل هذه البلاد يستفيد منها ويفيد أجيالها وناشئتها، فكان أن شرفت هذه البلاد به وشُرِّف بها، وأتى مع كوكبة من علماء الأزهر وكان لهم بعد الله الفضل والشرف في أن خرَّجوا جيلاً من العلماء وأقول ذلك وبصراحة: إن كبار علمائنا اليوم هم من زملاء الشيخ أو من تلاميذه وأقرانه، ومن أبرز أقرانه الإمام الشيخ العلامة والد الجميع الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فهو كان زميلاً للشيخ وكان ممن أُعجب بالشيخ غاية الإعجاب حتى إنَّه رشحه جزاه الله خيراً نائباً للإفتاء وعضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وما ذاك إلا لثقة الشيخ في علمه جزاه الله خيراً وأثابه على أعماله الطيبة، وأيضاً من سوى الشيخ عبد العزيز من علمائنا اليوم ومن كبار علمائنا هم من تلامذة الشيخ جزاه الله خيراً ورحمه، واسألوا عن الطبقة التي هم اليوم كبار العلماء والذين هم اليوم قضاة المحاكم وقضاة التمييز وكبار الدكاترة وأوائل المدرسين والدعاة هم من تلاميذ الشيخ -رحمه الله-، ومنهم على سبيل المثال: معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف، فهو من أبرز تلاميذ الشيخ رحمه الله وكان الشيخ هو الذي أشرف على رسالته في الماجستير ومن تلامذة الشيخ أيضاً فضيلة الشيخ صالح بن محمد لحيدان، والشيخ عبدالله بن غديان، والشيخ صالح بن فوزان، والشيخ عبدالله البسام، والشيخ عبدالله بن منيع، والشيخ عبدالله بن جبرين، والشيخ عبدالله بن قعود، وغيرهم كثير من كبار علمائنا اليوم، هم من تلاميذ الشيخ رحمه الله، وجزاهم الله خيراً وبارك فيهم، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلهم خير خلف لخير سلف.

لقد كانت للشيخ -رحمه الله- جهود مباركة في الدعوة إلى الله وجهوده في أنصار السُّنة المحمدية واضحة معلومة ومع أن الشيخ رحمه الله ممن أعجب بهذه الجماعة، فكان متعاوناً ومعيناً لسائر الجماعات في الساحة فلم يكن يتعصب لجماعة معينة، وكان ينظر إلى الجميع بمنظار العدل والإنصاف وكان يناصح ويبيّن الخطأ لمن عنده خطأ من الأفراد والجماعات بالأسلوب الحسن، وكان رحمه الله يدعو إلى التآلف والاجتماع ويحذر أشد التحذير من التفرق والاختلاف.

قدم إلى المملكة ودرَّس في دار التوحيد، ثم درَّس في معهد عنيزة العلمي واستفاد منه شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله- كما استفاد الشيخ أيضاً من دروس الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في القصيم وبعدها بقليل أُفتتح معهد الرياض العلمي في العام السبعين بعد الثلاثمائة والألف فطُلب الشيخ ليُدرِّس في هذا المعهد الذي هو نواة للمعاهد العلمية وهي نواة مباركة والتي أصبحت اليوم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقبلها الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية وكان يدير الكليات والمعاهد العلمية الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم وهو شقيق المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله والذي كان معجباً بالشيخ عبدالرزاق رحمه الله فكان أن أسند إليه مهمة اختيار المدرسين، وأيضاً مهمة وضع المناهج في المعاهد العلمية وفي جامعة الإمام وفي كلية الشريعة وفي المعهد العالي للقضاء وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفي عام ثلاثة وسبعين وثلاثمائة وألف، أُفتتحت كلية الشريعة بالرياض فطُلِب الشيخ مدرساً فيها لمادة العقيدة وأصول الفقه والفقه والتفسير فكان من خيرة المدرسين -رحمه الله-، وفي عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف أُفتتح المعهد العالي للقضاء الذي كما تعلمون

مؤهل القضاة فاختير الشيخ -رحمه الله- أوَّل مدير لهذا المعهد وقام بوضع مناهجه، فكانت مناهج رائدة معروفة تنافس مناهج التعليم العالي في العالم الإسلامي، وفي عام ألف وثلاثمائة وواحد وتسعين وبعد أن أحيل الشيخ إلى التقاعد من المعهد العالي للقضاء.

عُيِّن الشيخ نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وأيضا عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها وعُرف رحمه الله بجدِّه واجتهاده وقيامه بالعمل خير قيام، فقد ضرب مثالاً في الجد والحرص والاحتساب، فلم يكن يعمل موظفاً عادياً يتقاضى أجراً فقط، وإنما كان رحمه الله إلى أن اعتلت صحته وهو يقاد بالعربة إلى مكتبه في إدارة البحوث العلمية والإفتاء، حتى توفاه الله، وكان يذهب إلى العمل أحياناً بعد صلاة الفجر، يصلي الفجر ثم ينتظر حتى تشرق الشمس ثم يذهب إلى العمل ويجلس في العمل في الإفتاء وفي الدعوة وفي تحرير الفتاوى والكتابة فيها وفي استقبال المستفتين، وفي الأعمال الإدارية والعلمية الكثيرة، حتى الساعة الثانية والنصف أو الثالثة، ثم يأتي إلى البيت ويتناول طعام الغذاء ويستريح بعد صلاة العصر قليلاً ومن بعد ذلك بعد صلاة المغرب يفتح أبوابه للراغبين من طلاب العلم والمستفيدين والعامة والخاصة، والشباب والشيب والصغار والكبار، كل يفد إلى بيته بعد صلاة المغرب من كل يوم، وكان أن تشرفت بلقاء الشيخ رحمه الله في آخر أيامه، وكنت بعد صلاة المغرب أزوره واختلف إليه لأستفيد من علمه وفضله رحمه الله، وبعد صلاة العشاء يتناول طعام العشاء ثم يرجع إلى أعماله العلمية وإلى فتاواه والاستعداد العلمي ليوم غده، ثم ينام مبكراً. وفي آخر الليل يستيقظ ليُصلِّي ماكتب الله له، وهكذا بابه مفتوح، علم وفضل ودعوة

وإصلاح وحسبه، وأمر بمعروف ونهي عن المنكر، وفتح باب للمستفيدين والراغبين من طلاب العلم ومن غيرهم، أشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه حتى إنه أشرف على مئات الرسائل العلمية وكان أن شرفت بإشرافه رحمه الله في أول رسالة الماجستير في علم أصول الفقه، ويعلم الله أن السنوات التي قضيتها وهي بمثابة ثلاث أو أربع إلى خمس سنوات، من أعز أيام وليالي العمر، ولا أعرف أنني رأيت مثله رحمه الله ومثل شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله فيما جبلهم الله عليه من صفات متعددة في العلم والتعليم وبذل النفس والتحصيل مع العقل والحصافة وبعد النظر وإنزال الناس منازلهم والتوجيه بالتي هي أحسن، أما أخلاق الشيخ وصفاته فكان رحمه الله مثالاً في الخلق الحسن مثالاً في الورع والزهد لايعرف الأضواء البتة حتى إن كثيراً من الناس لايعرفون الشيخ، لأن الشيخ ليس صاحب شهرة ولا صاحب أضواء وكم يأته الإعلاميون من أرباب الصحافة والإذاعة والتلفزة وغيرهم ليخرجوه للأُمَّة، لكنه رحمه الله يؤثر التواضع ويؤثر البُعد عن الأضواء والشهرة احتساباً، وحتى يكون بعيداً عن الرياء وحتى يزداد تواضعاً إلى تواضعه- رحمه الله.

أما احترام الشيخ لغيره فكان يحترم المخالف بشكل كبير، يحترمه أمام الناس وإن خالفه، هذا في مسائل الفروع طبعاً لأن مسائل الفروع لا يُحجر فيها على أحد، حتى إن طلابه ليتمردون عليه أحياناً في الرسائل العلمية ويقولون له: يا شيخ نحن نخالفك في هذه المسألة فيقول: أنتم أحرار، وأنتم وما ترون، هذه رسالتكم واكتبوا ما ترون لكن رأيي كذا ودليلي كذا والذي أراه كذا فيقنع بالحجة والبرهان والدليل دون إزعاج ودون جلبة ودون ضوضاء ودون انتصار لرأيه، وبدون ردود

عقيمة لا تجدي شيئاً وبدون إسفاف في القول أو تنزّل إلى الكلام في أعراض الناس.

كان -رحمه الله- عف اللسان عن أعراض الناس، لايتكلم إلا بالخير ولا تراه إلا ذاكراً لله أو معلماً أو باذلاً للعلم أو داعياً إلى الله ولا يسمح لأحد أن يتحدث في مجلسه في أعراض الناس، بل يرى للناس فضلهم وسبقهم، ولا يسمح لأحد أن يتحدث أمامه بسوء ومجال النصح مفتوح، ومع ذلك كان من أنصح الناس للناس، فإذا رأى على أحد خطأً أو ملحوظة ينبهه على ذلك بحسن أدب وبحسن منطق، وبحجة وبرهان لا ينتصر لنفسه ولا لرأيه، ولا يسفه في التعامل مع المخالف أو يرميه بالكلام البذيء أو الفاحش من القول، بل يدعو بالتي هي أحسن -عليه رحمة الله- حتى إن بعض تلاميذه في رسائل الماجستير والدكتوراه يثبتون أنهم يخالفونه في مسائل ومع ذلك يجلهم ويقدرهم ويحترمهم ويجعل ذلك منهم مزية على غيرهم، لأنهم متمكنون وحريصون على إثبات شخصياتهم العلمية، أما الموقف من المخالف إذا كان في أمور الاعتقاد فإن الشيخ يبيِّن ويوضح المسائل ولا يجامل أحداً ولا يعرف المداهنة لكنه يداري، المداراة محمودة والمداهنة مذمومة، لا يداهن وجيهاً لجاهه ولا غنياً لغناه، ولا شريفاً لشرفه ولا كبيراً لكبره ومنزلته، لكنه يُبيِّن بالحسنى ويتلطف مع الناس بالأسلوب الحسن ويصل إلى ما يريد بالأسلوب المناسب حتى مع الجماعات المخالفة، يبين ما لها وما عليها، هناك مواقف ولطائف في حياة الشيخ وفي تحصيله وفي بذله ونشره للعلم، وفي معرفته بالناس وفراسته رحمه الله، الشيخ ذا بال واسع ورجل موسوعي، ورجل مهيب، أخلاقه وخَلْقه وخُلُقه جبله الله على أحسن ما جبل عليه عباده الصالحين.

كان ذا هيبة وذا وقار يهابه كل من يراه، أو يجلس إليه، وكان رحمه الله متمسكاً بالسُّنة في مظهره ومخبره، له لحية طويلة كثة ولا يأخذ منها شيئاً، ولباسه على حسب السُّنة، فكان رحمه الله يطبق السُّنة تطبيقاً علمياً وعملياً عليه -رحمة الله-، ومن الصفات التي اتصف بها الشيخ رحمه الله زهده في الدنيا فبيته المتواضع في بعض الأحياء الشعبية في الرياض من يراه لا يليق بيته بأقل تلاميذه، ومجلسه متواضع وهندامه وشكله متواضع جداً لا يتعالى على أحد أو يزهو على أحد وما دخلتْ عليه الدنيا أو غمرته بشهواتها ودرهمها ودينارها، بل إنه -رحمه الله- كان لجوده وكرمه لا يدخر شيئاً من أمواله إلا ما يدخر لأبنائه، حتى أن بعض طلابه في كلية الشريعة والمعهد العالي للقضاء ممن حالهم من الحال المتوسطة، كان يسلفهم وكان يعطيهم من أمواله حتى إنه يؤثرهم على نفسه.

كانت له فراسة في السائلين وله فراسة بالناس، ولا يسمح لأحد أحياناً أن يقل أدبه أمامه، يذكر أن رجلاً من البادية أتى الشيخ في موسم الحج فقال له: ياشيخ إن ابني هذا صغير وقد أحرمت عنه ولكن ابني مشاغب، فيفتيه الشيخ ويُعلِّمه بأنك إن أردت الإحرام لابنك لابأس وتمنعه من المحظورات فيذهب الرجل ثم يرجع إلى الشيخ ويقول: ابني فعل كذا، ثم في الثالثة قال له الشيخ: وماذا أقول لك إذا كان ابنك بهيمة..!! فالشيخ -رحمه الله- بهذا الأسلوب أعطى للسائل درساً تربوياً ليُقدِّر هذا السائل مشاغل الشيخ وظروفه وكثرة السائلين، وهذه من المواقف واللطائف التي تذكر في أسلوبه التربوي والتعليمي والدعوي، ومن مواقفه أنه أحياناً يتفقد أبناءه في المعهد العالي للقضاء وفي كلية الشريعة، فإذا رأى من أحدٍ منهم انحرافاً في بعض التصور أو

بعض السلوك، قال له: يافلان احذر أن تسقط من الزمبيل، والطالب يعرف مراد الشيخ وكذا الطلاب يعرفون مراد الشيخ، وهذا أسلوب مناسب تربوي، يوقف الطالب على حقيقة نفسه حتى يصلح من حاله.
ويأتيه بعض الطلاب من الذين يوجد عندهم شغب وفوضى في الطلب، فيكثرون عليه وأحياناً يرى منهم انعكاساً فكان رحمه الله يقول: إن بعض هؤلاء كنبت البصل رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى، ومن هذا يتبيّن أن الشيخ رحمه الله كان متفرساً في الناس ،وكان أيضاً يتخذ الأسلوب التعليمي التربوي، وكان يهابه كل من يسأله لكنه مع ذلك كان منشرح الصدر يفتح صدره وبابه لكل سائل وطالب علم ،حتى أنه يُسأل وهو على فراش المرض فيجب.

لقد ابتلي الشيخ -رحمه الله- في هذه الدنيا، أُبتلي في هذه الحياة ببلاء المرض فكان يصاب بالصداع وعمره سبع سنوات وكان قد أصيب بالشلل مرتين وأصيب أخيراً بالسكر وضغط الدم وضعفٍ في أجهزة الكبد والكلي حتى توفي -رحمه الله- ومع هذا كان الشيخ صابراً محتسباً متجلداً لايعرف من يواجهه أو يلاقيه أن به مصيبة وهذا من تجلد المؤمن «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير»، وابتلي أيضاً بفقد ثلاثة من أولاده وهم أحمد أكبر الأولاد وعبدالله وعبدالرحمن رحمهم الله جميعاً، لكن انظر إلى موقف الوالد انظر إلى موقف الصابر المحتسب تأتيه رسالة وهو يدرِّس في المعهد العالي للقضاء فلا يزيد إلا أن يقول: لاحول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، ويغلق الرسالة ويذهب لإلقاء درسه على الطلاب بعد أن علم بوفاة والده رحمه الله من خلال هذه الرسالة، وتوفي أكبر أولاد الشيخ توفي وهو في المعهد العالي للقضاء جاءه خبر وفاته وذهب الشيخ كعادته يدرِّس في المعهد العالي للقضاء في يوم خبر

وفاة ابنه، ودخل إلى القاعة ودرَّس الطلاب في مادة أصول الفقه أو مادة التفسير، ودرسهم كعادته، وكأن الشيخ ليس به شيء البتة ولم ير عليه تلعثم ولا تلكأ، بل أعطاءهم المادة العلمية على خير وجه، فما أن خرج الشيخ من القاعة حتى توافد عليه إدارة المعهد والمدرسون يعزونه في وفاة ابنه الذي جاء خبر وفاته هذا اليوم فيقول الطلاب ليست دهشتنا من موت ابن الشيخ وليست دهشتنا أن الشيخ جاء يدرِّس لكن دهشتنا الحقيقية من صبر الشيخ وتجلده وكأن شيئاً لم يكن، لقد رضي الشيخ بقضاء الله وقدره ولم يقعده ذلك المصاب عن العمل، لم يجلس ثلاثة أيام ولم يأخذ إجازة لأنه جاءته مصيبة، ويتوفى ابنه عبدالله أيضا بسكتة قلبية ويموت أحب أبنائه أو من أحب أبنائه إليه عبدالرحمن وكان زميلاً لنا في الكلية، يموت في حادثٍ والشيخ متجلد وصابر ولم يظهر منه جزع البتة وكان لا يزيد على أن يسترجع يسأل الله تبارك وتعالى، أن يجعل ذلك في ميزان حسناته وكرمه.

ثناء الناس عليه:

الشيخ -رحمه الله- ممن كتب الله له القبول والمحبة في الأرض فأحبه الناس على اختلاف درجاتهم فمن الملك إلى أصغر الناس كان يحظى بتقديرهم وثناء الناس عليه، الملك عبدالعزيز رحمه الله كان له درس في قصره في يوم الأربعاء ليلة الخميس وكان العلماء يجتمعون عنده، وكان يطلب من الشيخ عبدالرزاق -رحمه الله- أن يلقي درساً وموعظة فيستريح لها الملك ويدعو له كثيراً.

لقد نال الشيخ بهذا العلم وتلك المواعظ تقدير الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله وما ذلك إلا لإخلاصه وحرصه ورغبته ونشاطه وإفادته

البلاد، وما عرفت أحداً إلا ويثني على الشيخ سواء من المدرسين أو غيرهم يثنون عليه كثيراً، لقد كان عند الشيخ من الورع ما لا يوجد عند كثيرين من علمائنا اليوم لا في منزله ولا في بيته ولا في سيارته ولم يعرف ماعرفه الناس من خدم وحشم ومن سائقين ومن سيارات ومن قصور إلى غير ذلك من الأمور، بل آثر ماعند الله تبارك وتعالى، ومن أهم جوانب حياة الشيخ بُعده عن الأضواء والشهرة والظهور.

ومن أهم ما يتميز به الشيخ أيضاً أنه رجل موسوعي عميق العلم وبخاصة في مسائل الاعتقاد، فإذا تحدث تشعر وكأنه نسخة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وأقول ذلك بلا مبالغة حتى إنه -رحمه الله- يقول: أنا ما رأيت من العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ما قرأت لعالم من علماء السلف إلا وأرى أن لغيره سلف أو أن له سلف لكن شيخ الإسلام -رحمه الله- كان يأتي بمنهج سليم مؤصل على ضوء الكتاب والسنة وصحيح المنقول وصريح المعقول كان الشيخ -رحمه الله- قليل الكلام لايتكلم إلا قليلاً، لكنه يتكلم بجوامع الكلم يتحدث فيما يفيد لا يعرف الثرثرة ولا كثرة الكلام، ولا الكلام الإنشائي الذي لا طائل تحته.

لقد كان الشيخ يتكلم كلاماً قليلاً لكنه قليل المبنى كثير المعنى، كان الشيخ يؤصل تأصيلاً علمياً، يعتمد الدليل يؤصِّل المسائل، كان الشيخ يعتني بتحرير الخلاف وتحرير محل النزاع، وتحقيق المناط في المسائل ويرى أن ذلك يغني عن كلام كثير في هذه المسائل حتى لربما أتاه الطلاب فكان يقول انظر المسألة في كتاب كذا وكذا.

كان الشيخ -رحمه الله- لايعتني بكثرة الكتب، ولم تكن عنده مكتبة

كبيرة بل عنده أمهات الكتب فقط، وكان يحرص على أن يقرأ القرآن ويقرأ كتب السُّنة والأمهات ولا يعتني بالكتب المعاصرة البته، ويرى أنها لا تفيد، على كلٍّ حال هذا رأي الشيخ -رحمه الله- لأنه يرى أن الأوَّل لم يترك للآخر شيئاً، لكن لا يمنع أن يستفيد الإنسان من مؤلفات غيره، مراد الشيخ أن هذه الكتب التي يعتني بها الناس اليوم، الكتب الفكرية، وغيرها من الكتب المعاصرة يرى أن الأوائل كفونا في هذا المجال، وكان -رحمه الله- يحفظ كثيراً حتى إنه في السنين الأخيرة لا يطالع كتباً وكان يقرأ من حفظه وكان يُدرِّس من حفظه، وما ذاك إلا لذكائه وموهبته وسعة حافظته رحمه الله، أيضاً مما ينبغي أن يذكر في منهج الشيخ، منهجه في العقيدة كان لا يعرف الذبذبة ولا اللف والدوران صاحب منهج عقدي، وسلفية صحيحة، لم يتميّع في هذه الأمور ولم يتذبذب في المسائل وإنما كان على علم ودراية وكان يعتني بالتوحيد غاية العناية، تعليماً ونشراً ودعوة إلى الله تبارك وتعالى، حتى نفع الله به نفعاً عظيماً، وأيضاً من منهج الشيخ، منهجه الدعوي، وله مقالات في هذا تحت عنوان الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله، تكلم فيها عن الدعوة بوجهها المشرق وبيان مكانة الداعية وأسلوب الداعية الصحيح، مؤصلاً وناظراً إلى دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وعنايتهم بالتوحيد.

لقد كان الشيخ -رحمه الله- لا يحب الظهور ولا يسعى إلى ذلك، وهذا مما يؤكد على تواضعه -رحمه الله- وإخلاصه وبعده عن الرياء والظهور والشهرة، وأيضاً كان الشيخ -رحمه الله- له مواقف في الإصلاح والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتمشى مع مقاصد الشريعة وقواعد الدين ومقاصد الإسلام لم يكن الشيخ عَجِلاً ولم يكن الشيخ مندفعاً بل كان الشيخ عاقلاً حصيفاً بعيد النظر في الأمور حتى انه ليأتيه

الجماعة الذين هم من نبت كنبت البصل الذين رؤوسهم إلى أسفل وأرجلهم إلى أعلى، فيحثهم علي التلطف والرفق بالناس وحسن التوجيه لأن منهج الداعية يريد الخير للأمّة لا يريد أن يحدث من دعوته ما هو أشد ضرراً وأكثر فتنة، فقد يكون أحياناً إنكار المنكر إذا كان بأسلوبٍ غير صحيح قد يأتي منه ضرر وعواقب وخيمة فكان الشيخ رحمه الله -مع أنه لا يخاف في الله لومة لائم- كان يقول الحق ويغار على حرمات الأُمَّة وعلى عقيدتها وقيمها، لكنه مع ذلك لا يحب الإثارة بل يغار الغيرة المتعقلة والمنضبطة، وكان بعيد النظر رحمه الله وكان مع ذلك ينصح الخاصة والعامة ويكاتب الولاة والمسؤولين ويبين لهم ويعظهم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يقر منكراً ولا باطلاً لكنه كان يسلك الأسلوب الحسن.

لقد كان في الحقيقة مجاهداً قوياً في الحق لايخاف في الله لومة لائم لكنه كان إذا أراد أن ينصح المسؤول نَصَحَه على انفراد، وإذا رأى في المسؤول أو في أحد من الناس خطأً كاتبه وناصحه ونبهه إلى أخطائه وكان ذلك عن طريق الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز وغير ذلك من الأساليب الناجحة التي تفيد في إزالة الضرر وتحصيل النفع ولاتحدث شكاً ولا ريبة ولا إثارة ولا فتنة ولا بلبلة، والشيخ -رحمه الله- يحقق بذلك مقصداً من مقاصد الشريعة وهو جمع كلمة المسلمين وعدم الإثارة والفتن وعدم إيغار الصدور، فكان -رحمه الله- يحرص على المنهج السليم في دعوته وإصلاحه وحسبته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، كان الشيخ رحمه الله مجاهداً صابراً عالماً مُعلِّماً تخرج على يده التلاميذ الكبار ممن عدَّدتُ آنفاً، وكان -رحمه الله- لايرى التأليف مع غزارة علمه وسعة إدراكه وأنه بحر في كثير من العلوم موسوعي المعارف والعلوم، ولم يخلف

لنا من الكتب والتراث العلمي إلا أشياء قليلة لكنها تُكتب بماء الذهب وهي الآن لو تولاها العلماء وطلاب العلم شرحاً وتعليقاً لبلغت عدة مجلدات، منها «مذكرة في التوحيد» دُرِّست في المعاهد العلمية وفي الكليات مذكرة في بيان توحيد العبادة، التوحيد الصحيح الذي هو حق الله على العبيد في عالم يموج اليوم بسائر المعبودات من دون الله تبارك وتعالى، أيضاً منهج الشيخ في توحيد الأسماء والصفات واضح وله ردود في هذا الصدد على المعتزلة والأشاعرة بالأسلوب العلمي، الشيخ لايعرف الرد على الأشخاص لذواتهم لكنه يردُّ لبيان الحق، يرد لبيان المنهج الصحيح، يرد على الطوائف والفرق وإن لم يُسمِّ لكنه يؤصل منهج السلف الصالح تأصيلاً صحيحاً حقيقياً وكافياً وشافياً لايحتاج إلى نظر من قرأه إلى غيره، عندما تقرأ في كتبه فكأنك تقرأ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي كان الشيخ محباً له مغرماً بقراءة كتبه، حتى إني أكاد أقول أنه استظهر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب ابن القيم رحمهما الله، وللشيخ أيضاً حاشية على «تفسير الجلالين» بيَّن فيها خطأ الجلالين في مسائل الاعتقاد لاسيما في الأسماء والصفات بأسلوب علمي رحمه الله، وكان مما يذكر عنه أيضاً في مواقفه أنه في مصر كان هناك كلام كثير حول قضايا الصفات وقضية الاستواء وكان كثير من علماء الأزهر ينحون منحى آخر خلاف منهج السلف فكان الشيخ رحمه الله يبين مذهب السلف ويقرره في كل درس ومحاضرة مع التزام الهدوء في الحوار والمناقشة، حتى يرجع كثير من الناس إلى عقيدة السلف، وهذا منهج يحتاجه الدعاة إلى الله ويحتاجه العلماء ويحتاجه طلاب العلم اليوم، لأننا نعاني من عدم منهجية صحيحة في الردود، وعدم ضوابط مناسبة يتخذها كثير من الناس مما قد يضر ويفرق الكلمة

أكثر مما ينفع، المهم أن الشيخ -رحمه الله- ظل داعية مجاهداً صَابراً محتسباً باذلاً نفسه للأمة ماشياً في حوائج الناس وشفاعاتهم والكرم والبذل لهم، وفتح بابه للدعاة والطلاب والمستفتين وشارك في مواسم الحج في التوعية بالحج سنين عددا، وكان مخيمه مفتوح في منى للمستفتين والمستفيدين من طلاب العلم ومن العلماء ومن عامة الناس، ومن سائر ضيوف وحجاج بيت الله الحرام وغيرهم، فكان الشيخ على ذلك إلى أن مرض -رحمه الله- مرضاً في آخر حياته، وكان الشيخ -رحمه الله- في مرضه ذلك مثالاً للتجلد والصبر والاحتساب حتى أن العلماء والمحبين مشفقون عليه يقولون له: ياشيخ عبدالرزاق جسمك وصحتك وراحتك أولى لنا، ولكنه مع ذلك من بعد صلاة الفجر يُدف على العربة حتى يوصل إلى المكتب أمام سيل من المعاملات يفتي فيها ويحرر ويكتب ويبين للأُمَّة، حتى نفع الله به نفعاً عظيماً.

أقول أيضاً: من نتاجه العلمي وإن كان مقلاً تعليق من أحسن ما رأث عيناي في علم الأصول، تعليق على كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي علق الشيخ عبدالرزاق زُبَداً تكتب بماء الذهب ترك علم الكلام وترك علم المنطق، ترك الإغراق في العقليات، وأصَّل علم الأصول زبدا، على منهج الكتاب والسُّنة والسلف الصالح. قاعدة ومثال، دليل وتطبيق أصل وفرع.

للشيخ -رحمه الله- تحقيقات خفيفة وكتابات قليلة، حقق كتاب «العلو للعلي الغفَّار» للذهبي، ووضع تعليقات يسيرة على «العقيدة الطحاوية» وأرجع كل ما فيها إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله- وعلق على «العقيدة الواسطية» و«الفتوى الحموية»، وعلق على كتاب «الاعتقاد» للبيهقي، وكل ذلك، يكتب بماء الذهب،

والحقيقة أنه يقترح أن يكون هناك دورات وجلسات وحلق علمية يستفاد منها من منهج الشيخ -رحمه الله- وإفادته في هذه المجالات كلها وإني لأقترح على رئاسة الإفتاء وعلى جامعة الإمام وعلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف وعلى زملائه وتلاميذه، أقترح عليهم فعلاً أن يحرصوا على جمع فتاوى الشيخ -رحمه الله- وكتاباته وتخرج في كتاب موسوعي كبير يستفيد منه طلاب العلم وإني لأنصح الجامعات في جميع أقسامها أن تعنى بالاستفادة من منهج الشيخ وجهوده في العقيدة ومنهجه في العلم والدعوة ومنهجه أيضاً في الأصول وردوده على الفرق المخالفة وطريقته في الدعوة والإصلاح وموقفه من مسائل معاصرة له فيها إسهامات كثيرة، أقترح أن يكتب عنه رسالة ماجستير أو دكتوراه، «الشيخ عبدالرزاق عفيفي وجهوده في الدعوة» لماذا يُلمَّع غير الشيخ من أناس ما وصلوا إلى الركب في علم الشيخ ومع هذا تجدهم الآن لهم صولة وجولة ولمعان عند كثير من شبابنا وأبنائنا، وتجد أن الشيخ لا يُعرف له قدره وحقه في هذا، الشيخ جدير أن يكتب فيه عشرات الرسائل العلمية في كل منهج ومجال من المجالات العلمية وليس هذا والله بكثير عليه.

أرجو أن أكون قد وفقت إلى القاء إطلالة عن حياة الشيخ رحمه الله. وأما ما يتعلق بجانب بيته وأسرته فكان الشيخ أيضاً حريصاً على بيته وأسرته، لم يشغله العلم والدعوة عن بيته وأسرته كان حريصاً على حسن العشرة، كان حريصاً على الأدب ورعاية شؤون زوجه، وبهذا يتبيَّن موقفه من المرأة، كان حريصاً على إكرامها وتقديرها والسعي للعناية بها.

خلف الشيخ من الأولاد خمسة ذكور وثلاثاً من البنات، ثلاثاً من الأبناء توفوا في حياته وإثنان موجودان أحدهما في جده والآخر في الرياض

وهم سائرون وحريصون على منهج الشيخ -رحمه الله- وجزاهم الله خيراً، وهذه نقولها لهم ونشكرهم وهم حريصون على نشر تراث الشيخ - رحمه الله- ومستعدون لتقديم أي مساعدة في هذا المجال عن تراث والدهم والد الجميع شيخنا العلامة عبدالرزاق عفيفي- رحمه الله.

توفي الشيخ -رحمه الله- في يوم الخميس الخامس والعشرين من الشهر الثالث عام خمسة عشر وأربعمائة وألف للهجرة، أدخل المستشفى العسكري بالرياض إثر تردي حالته الصحية -رحمه الله- وبقي في المستشفى لمدة تقرب من أسبوع أو أكثر بقليل إلى أن فاضت روحه إلى بارئها عليه رحمة الله وجمعنا به في دار كرامته بيمنه وكرمه وقد شهدت جنازة الشيخ مشهداً عظيماً يذكرنا بما قاله الإمام أحمد رحمه الله لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز، فَصُلِّي عليه في الجامع الكبير بمدينة الرياض جامع الإمام تركي بن عبدالله، وقد أمَّ المصلِّين عليه فضيلة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وقد ارتج المسجد بالبكاء وذهب الناس إلى مقبرة العود في الرياض زرفات ووحدانا راجلين وركبانا أمام الجنازة وخلفها ومن حولها وشهدت جنازته مشهداً عظيماً لم يُشهد إلا في مشاهد كبار العلماء- رحمهم الله جميعاً.

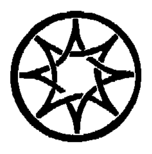
والحقيقة أنني وإن كنت أقل من يتحدث عنه فقد عاشرت الشيخ وجاورته واستفدت من علمه وعمله، وأشهد أني لم أستفد من غيره ما استفدت منه هو وسماحة شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يرفع درجة الشيخ في عليين وأن يرحمه رحمة الأبرار وأن يجعلني وإخواننا المسلمين ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجمعنا بعلمائنا في دار كرامته، وأن يجعلنا خير خلف لخير

سلف وأن يجعل أجيالنا المتأخرة مرتبطة بعلمائنا وسِيَرهم. وفق الله الجميع لما فيه الخير والسداد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
إمام وخطيب المسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم

الألمعي الذي يَظُن بك الظَّن كأنْ قد رَأى وقد سَمِعا[1]

منذ هَمَمتُ أن أَخُطَّ خط عرفان ووفاء عن إمام جليل، ودوحة فارعة، فَلَق الله نواتها في مصر، وتعهدها ووالاها، حتى استغلظتْ وأخرجتْ شطوءها وامتدتْ، وأظلَّت بلاداً وعباداً، وراح رائحتها دانون وقاصون.

منذ ذلك وأنا أتردد متهيباً مُشفِقاً، أقدم وأحجم، وإلا، فكيف يسبر وليد أغوار والد، وكيف تحيط بصمةٌ في كفٍّ عملاق بخصِّيصة من خصائص ذلك العملاق الذي كان يتجنب الأضواء، ويتوارى عن عيون الراسمات والكاميرات، ويؤثر دائماً الظل متعففاً متمثِّلاً الحديث النبوي الشريف الذي رواه البخاري عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِس عبدُ الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، إن أُعطِيَ منها رضي، وإن لم يُعط سَخِط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتُقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرَّة قدماه. إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة كان في السَّاقة...» الحديث.

---

(١) هذه الكلمة الضافية للأستاذ الأديب بخاري أحمد وكيل أنصار السنة المحمدية بمصر، وقد زودني بها الأستاذ محمود عبد الرزاق عفيفي جزاه الله خيراً.

ولقد راعني إيثاره للظل وتجنبه كل الحفلات والمناسبات التي يتصدر فيها أمثاله ويتبارون، فقال حين سألته: (أخشى أن يكون لنفسي من عملي نصيب). نوازع، وخواطر تملكتني حين هممت أن أخُطَّ خط وفاء وعرفان في شيخي فضيلة الإمام الشيخ عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله.

وحملت النفس على الإقدام، ومضيت أسترجع الأيام، وأستندي الذكريات، وأفتق الأكمام لعلها تبث ما استُودع فيها من الأرواح الشذية الذكية التي تحمل من روائح الشيخ وروائعه ماتحمل، وبينا أنا في ذلك برق في الخاطر حديث متفق عليه رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون[1]. فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر».

ورسول الله ﷺ إذ يسوق هذا الخبر في قالب يشي بالشَّك، يذكِّرنا بأن مردَّنا في الغيبيات هو الله. وأن العبد تقف معلوماته المجردة عند حد الظن. ولكن هذا لا يقطع الرجاء وحُسن الظن بالله، والله عند ظن عبده به. فالمولى الذي مَّنَّ على الأولين، كريم حَريّ بألا يحرم أُمَّة محمدٍ من الملهمين العدول الذين يحملون أعباء هذا الدين، مصداقه ما جاء في الخبر الذي رواه البيهقي عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرفوعاً: يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[2]. وظني

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٥٠) المحدَّث بالفتح هو الرجل الصادق الظن، وقيل هو من يجري الصواب على لسانه من غير قصد.

(٢) ذكره الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص١٢)، وقال الإمام أحمد عندما سئل عن هذا الحديث: (هو حديث صحيح).

أن هذا هو التجديد الذي أُشير إليه في الحديث: «إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنةٍ مَنْ يُجدِّد لها دينها»[1].

وعلى ضوء هذه الآثار ترجح كفة الرجاء. رجاء أن يكون فقيدنا الجليل قبساً من أضواء أولئك الملهمين المجددين.

وعلى جادة الرجاء مضيت وأنا أُتمتم:

أيتها العين أجملي جزعاً	إن الذي تحذرين قد وقعا
أُورى الذي جمع السماحة والـ	ـنجدة والعزم والتقى جمعا
الألمعي الذي يظن بك الظن	كأن قد رأى وقد سمعا

ونحسب أنَّ فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كان ترجمة صادقة للأَلْمعِيّة التي صوَّرها صاحب هذه الأبيات، وكان شُعاعاً ملاكه الأناة والفطنة والعمق وبُعد النظر ووضوح الرؤية، والسداد وجريان الحق على لسانه وقلبه.

ونحن إذ نُعدِّد من مناقبه ما نُعدِّد لا نَبْغي ثناءً عليه ولا رثاءً، وإنما ذكرناه لأنها -فيما نعلمه- مفتاح شخصيته، وسرّ جاذبيته، وتأثيره الآسر لتلاميذه، ولرفاقه على الدرب الوعر الطويل. وكانت معاونه في مسيرته الشاقة المضنية. كانت عماد علاقاته بالناس كلّ الناس، وكانت قوام منهجه العلمي التربوي. كانت شخصيته المحور والمركز والرافد الذي يمد عناصر المنهج الأخرى بالفاعلية والحيوية.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٢٩١)، والحاكم في مستدركه وصححه الألباني. وانظر صحيح الجامع (١٨٧٤).

وهذه الشخصية الآسرة التي تأرز إليها الأفئدة بكل قسماتها ولبناتها، هبةً وتوفيقاً ربانيًا مُجسَّماً.

فالشيخ -رحمه الله- لم ينحت شخصيته ولم يبنها على أسس وأصول خارجية أصَّلها المربون، أو ابتدعها الفلاسفة، أو قننها علماء النفس، إنه كان بحق مفطوراً على قُوىً آسِيةٍ، هادئة مبصرة، كان موهوباً.

إذا تقرر هذا يمكننا أن نقول: إن حجر الزاوية في منهجه العلمي التعليمي إنشاء علاقة حب متبادل بينه وبين كل الواردين وِرْدَه من طلبة نظاميين، ومن قاصدين يتتبعون خُطاه ويتحرون دروسه،ومن باحثين يُحضِّرون الدراسات العليا، ومن علماء أجِّلاء كانوا يستهدونه ويلتمسون رأيه في مشكلة علمية، أو في قضية تعدَّدت فيها الرؤى أو تحيَّرت فيها الألباب.

وكان لا يحب أن يكون تلميذه فاقد الوزن، ريشةً في مهب الرياح، لذلك كان همُّه الأول أن يُولد في نفس الطالب ثقة تقيم صلبه، وتجلو مداركه، وتذلل له وعثاء الطريق.

كان يحاور الطالب وعلى شفتيه ابتسامة توحي للطالب أنه حاز الإعجاب، ووافق الصواب، وكان يستقبل الإجابات باهتمام بالغ، فإذا ظفر بجزئية صحيحة هلَّل لها وأثنى عليها، ووقف عندها ليشرح صدر الطالب، ويرفع من روحه، ويخفف من أثر ما قد يكون من نقد.

وكان يرى أن ارتباط الطالب بعالم الكتب هوالمستحج الذي يجلو، ويلفظ الزبد. فكان يحدو الطالب- في رفق، ولطف ويوجهه إلى القراءة.

كان في كلِّ جلسة يتحدث عن كتاب أو أكثر حديثاً كأنه عارض، وهو في الحقيقة مرتب مقصود، وكان إذا وجد بين إجابة طالب وكتاب

ما أدنى ملابسة، بادر الطالب بقوله: جميل أنك قرأت كتاب كذا. إنَّ أرواحه تهبُّ من إجابتك.

فإذا ابتدأ -بعد كلِّ هذا- يُغذِّي ويرفد، حرص على أن يحوم حول العقيدة، وإن كان الدرس درس نحو، أو أدَب، أو بلاغة، أو تعبير. حام حول العقيدة يقيمها أو يجلوها ويصقلها، أو ينقيها مما غشيها.

ذلك لأنه كان يرى أن العقيدة الملتاثة طريق الهاوية، ونذير الخيبة والندامة هكذا. حتى إذا هَيَّأ الطالب وأمنَّه، وبرح به الهُوينى يُربيه، ويُعليه ويزكيه.

وكان -رحمه الله- يؤمن أن للمواقف بصماتها في تكوين الشخصية، وأن اقتحامها يورث الشجاعة، ويصنع الأبطال، فكان كثيراً ما ينتخب نُخْبةً من تلاميذه، ويكلفهم بموضوع في المنهج يعدونه مستعينين بالمتن والحاشية، ثم يصطفي واحداً أو أكثر ليحاضر ويناقش، أوليخطب الناس في محفل، ولست أنسى أنه فاجأ تلميذاً من تلاميذه ليخطب العيد في حضرة عددٍ من عَلية العلماء.

ولقد صنع -رحمه الله- بمثل هذه المؤثرات جيلاً من الدعاة لا يزالون يعكسون مما تلَقّوا، ويصنعون -بدورهم- دعاةً آخرين.

ولقد سعدت بالتتلمذ عليه -رحمه الله- في معاهد العلم. ومعاهد العلم تحكمها مقررات ومناهج، ولكن فضيلته لم يكن نمطياً في تعامله مع المقررات والمناهج، بل كان ينتهج طريقة ثرّة العطاء، مترامية الأبعاد، جمّة الشآبيب، محورة المدار. فيها يتخذ الموضوع المقرر محوراً يفتح على فنونٍ من العلوم ندلف منها إلى الموضوع أو ندلف إليها من الموضوع.

وهي طريقة شديدة الشَّبه بما كان يُسمَّى في الأزهر -بالتعيين- يُعيَّن للطالب في السنة النهائية جزء محدد -في كتاب أُمٍّ- للنحو فيه مجال، وللصرف مجال، وللبلاغة مجال..إلخ وشديدة الشَّبه بما درسناه في معاهد التربية العليا تحت اسم الطريقة المحورية، وهكذا كان يغذِّي تلاميذه بوجبة دسمة غنية بالعناصر.

سعدت -كذلك- بالتتلمذ عليه خارج معاهد التعليم في المساجد، والجمعيات، وفي المحافل ومراكز الثقافة، وفي قاعات البحوث. وكان رائده -وهو يغاير من أساليبه «لكلٍّ مقام مقال ولكل حالة لبوسها». ومعنى ذك أنَّه لم يكن نمطياً، راكداً كالماء الآسن، بل كان سيالاً، يتكيف مع شتى الأجواء.

قال في مقدمة محاضرته عن شُبهات حول السُّنة: المسلم الداعية، أو المناظر الذي يثبت حُجيَّة السُّنة، ويدفع الشبه عنها يختلف موقفه باختلاف خصمه أو مَنْ يناظره، فتارة يكون الخَصم مُنكراً للسُّنة من أصلها جملة! وموقف الداعية من هؤلاء. يختلف من موقفه من أولئك الرافضين لأحاديثَ معينة لا توافق فكرهم- لأولئك أسلوب ولهؤلاء أسلوب.

وكان من دأبه -رحمه الله- حين يناظر، يحيط بخصمه من كلِّ جانب، ويسد عليه كلّ طريق، ولذلك نراه يقرر -في المحاضرة ذاتها- أنه لا بد من التأسيس بالتركيز على: أنه لا بد من البناء على ضرورة الإيمان بواجب الوجود الذي يوحي إلى رسله بما يُوحي ومن وجوب الإيمان بِرُسل يُرسلون إلى العباد، ومن جهة وجوب ما جاءت به الرسل -عقيدة وعملاً- على الأمَّة التي أُرسلت إليها الرُّسل. وعلى

هذه الأسس الوطيدة، والأصول الثابتة يبني مناظرته ويحاج خصومه.

والعقيدة باعتبارها قاعدة الإطلاق مركز الانطلاق، والسُّنة باعتبارها الوحي الثاني، والواجهة التي تتعرض للأهباء والأقذاء والأنواء، كانتا مناط اهتمام الشيخ -رحمه الله- يركِّز عليهما، أو يلمح إليهما، أو يذكر بهما، ويمسهما مساساً رفيقاً في شتى أحاديثه، ويتعرض لهما لأدنى ملابسة بينها وبين الموضوع الذي يعالجه.

وكان في جُلِّ مناظراته، ومساجلاته ينفض عنهما ما عراهما من غبرة، وينفي عنهما تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وإبطال المبطلين.

وإن مما حفظناه عنه -رحمه الله-: (إذا ناظرت فليكن همك تحرير عقيدة خصمك. وزلزلة أركان باطله بقذائف الحق، ثم انزح ردوم الباطل ووال فؤاده حتى يتطهر، فإذا تطهر غَذِّه بحلاوة الحق). وظنِّي أنه كان في مقالته تلك يستهدي قول الله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1]. أي: يذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، بل ظنِّي أنه كان في منهجه كُلِّه يترسَّم خطا القرآن الكريم، ويستهدي مواقفه فإنَّك إذا تأملت القرآن المدني وجدته يواجه ضمن ما يواجهه تسلط أهل الكتاب على أفكار العرب، وحشوهم إيَّاها بخزعبلات، ومفاهيم غثة ما أنزل الله بها من سلطان، مُدَّعين أنهم أحباء الله وخاصته من خلْقه، وأنهم أوعية عِلْم الله في الأرض، وأنهم.. وأنهم. وآمن عرب الجاهلية بهذا فانصاعوا لهم -تحت ضغوط عقدة الأُميَّة- وانفتحوا أمام غزوهم الفكري، واتخذوهم مراجع ومستشارين.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٨).

وجاء القرآن والعرب يرسفون في هذه الأغلال فابتدأ بتحطيمها. عرّى اليهود، وشرّحهم حتى بدت فقارهم، وعدّد مخازيهم، وكشف عن فراهم، وفضح جرائمهم وبيّن غدرهم، وأظهر خبث نيتهم وسوء طويتهم، حتى حطّم التمثال الكاذب الذي أقاموه لأنفسهم في نفوس العرب، وكان -وهو يفعل ذلك- يُزكي الوجدان ويُطهّر الفكر، ويُحل البدائل القيّمة محل الأباطيل، والحق الأبلج مكان الضلال الأثيم- هدم لكلٍّ ما أقاموا وتقويضٌ لكلٍّ ما أحدثوا، ثم نزْح للحدث وإزالةٌ للأنقاض، ثم إرساءٌ، ورفع للقواعد، وتشييد لصروح الحق.

والقرآن إذ يُعْمل معاوله في مؤسسات الشياطين، يحرص على أن يُقدِّم البديل تلمس هذا بجلاءٍ وأنت تتمعن في قوله الله تعالى من سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[1].

حسن المآب هو البديل المجمل الذي فُصِّل بعد ذلك تفصيلاً يثير الشوق، ويحدد الطريق ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[2].

كما تلمسه وأنت تتابع استقراء إبراهيم عليه الصلاة والسلام

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٤).

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١٥ ـ ١٧.

لأجرام في السماء وهو في مقام التنبيه، والإيقاظ، وتسفيه الأحلام التي تُتخذ من دون الله آلهة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وآيات الأنعام هذه يتمثّل بها الشيخ -رحمه الله- وهو يُدرّسُ المنطق الحديث القائم على الاستقراء والغربلة، وفرض الفروض، وتحقيق الحقيقة.

ولقد عاش -رحمه الله- في مصر أياماً اتسع فيها مدّ الصوفية، وراجت أفكارهم التي تزعم في الأنبياء زعماً أقرب إلى زعم النصارى في نبيّهم. وغالى بعضهم فزعم أن محمداً وربه حقيقةٌ واحدة، وفيهم مَنْ زعم أنهم خُلقوا من نور، وإن أجسادهم شفافة شفافية البلور النقي، وأن.. وأن.. إلى آخر تلك الأباطيل التي باركتها السياسة، ومكن الاستعمار لأقطابها في الأرض.

ولقد تصدّى الشيخ -رحمه الله- لمثل هذه النزعات الضالة، وكان أخشى ما يخشاه أن يفيض المستنقع الصوفي، ويلوث ما حوله، ويتسلل إلى خَلد بعض تلاميذه الموحِّدين رأى بأن الخطر داهم، وأنَّه يتفجر من

(١) سورة الأنعام: الآيات ٧٤ ـ ٧٩.

مراكز قوة. وأن صنائع الغرب المستعمر يفسحون لهذه الأفكار ويهشون لها باسم حرية الفكر وباسم الفلسفة الإسلامية.

والمظنون أن يعمد الشيخ -رحمه الله- وهو يتصدّى- إلى حشود الآيات والأحاديث التي حسمت مثل هذه القضايا حسماً لا تعتريه شُبهةً والواقع أنه -رحمه الله- ركب مركب السهل الممتنع الذي يُؤثِّر منطبعاً في النفوس.

لقد أدرك فضيلته -رحمه الله- أنَّ الطغمة التي ترتفع بأقدار الأنبياء إلى ما يقرب من التأليه، متأثرون بقالة القرون الأولى التي استنكرت بشرية الرُّسل، ولهجت ألسنتها بمثل: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1]. ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[2]. ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[3]. ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾[4].

عمد فضيلته -رحمه الله- إلى سورة الأنبياء يستهدي بآياتها مع تأمله -رحمه الله- لمثل قول الله في الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[5]. ومثل قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ﴾[6]. ومثل قوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾[7].

وكذلك تمعَّن في سِيَر الأنبياء ونفذ إلى ما تحمل من معالم البشرية ومظاهر القصور والافتقار والحاجة إلى قوة عليا تجبر القصور، وتُشبع الرغبة

(١) سورة الأنبياء: الآية (٣).
(٢) سورة المؤمنون: الآية (٢٤).
(٣) سورة المؤمنون: الآية (٣٣).
(٤) سورة المؤمنون: الآية (٤٧).
(٥) سورة الأنبياء: الآية (٧).
(٦) سورة البقرة: الآية (١١٦).
(٧) سورة الأنبياء: الآية (٣٤).

البشرية التي تعتمل في نفوس الأنبياء كما تعتمل في نفوس سائر البشر.

قال رحمه الله: «قدَّم القرآن بين يدي حديثه عن الرُّسل المطبُوعِين في غُدُّوهم ورواحهم وانفعالاتهم بطابع البشرية، قدم بلمحة خاطفة تفيد - ضمناً- أن الرسل الذين يعيشون بين أمم تهلك، وقرى تتداعى وتقصم، يعيشون مشفقين- إشفاق موسى وهو يصيح «أتهلكنا بما فعل السفهاء منا». وإشفاق محمد ﷺ وهو يروح ويغدو قلقاً كلما أحس بالريح العاصف متمثلاً أمام عينيه أولئك الذين أهلكوا بالريح الذي ظنوه عارضاً ممطراً- راجياً أن ينجز الله وعده، وينزل سكينته، وينجي حزبه، ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1].

ويقف -رحمه الله- بعد هذا على قول الله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[2].

وتتراءى أمام عينيه كلّ الآيات التي تناولت موسى خائفاً يترقب فاراً من الملأ المؤتمرين به وتناولته يضطرب فَرَقاً[3] ويُولِّي مُدْبراً ساعة تحولت العصا حيةً تسعى، ويوم أُرسل إلى فرعون، ويوم... إلخ. وهذا الخوف المضطرم في فؤاد موسى إنْ هو إلا صوت الطين وصدى البشرية.

ويذكر إبراهيم عليه السلام. ويذكر تمكن القوم منه، وإحداقهم به، وتقييدهم له، وقذفهم به إلى النار مُقيَّداً. ثم حاجته إلى الإنجاء بعيداً

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٩).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٤٨).

(٣) خوفاً.

عن سلطان الآخرين، وإقرار الله عينه بما وهب له من ولد، وهكذا يتناول قصة لوط ونوح وداود وسليمان وأيوب وذي النون وزكريا. وكلها قصص تفي بالحاجة، وتصور الانفعالات وتنطق بالبشرية التي تتوق إلى الولد، وتجأر مستغيثة مِن مس الضر ومن ضغوط الظلمات.

إن الذي يترجم عن منهج عملاق طوى تسعين حجة يذرع الأبعاد، ويسبر الأغوار، ويدعو إلى صراط الله بالحكمة بمدلولها الواسع، الذي يُحتِّم إحاطة وتمكّناً من المادة العلمية، ومعرفته بالناس، وعِلْماً بالظروف والتزاماً بالحدود مع عدم تجاوز الداعية لقدره.

لا تسعه الأيام، ولا تسعفه الكلمات، ولا تكفيه الوريقات، فمعذرة لأني لم أوفِّ فضيلته حقه- رحمه الله.

بخاري أحمد عبده
العالية من كلية اللغة العربية
ماجستير في التربية وعلم النفس
نائب رئيس عام جماعة أنصار السنة المحمدية
بجمهورية مصر العربية



«ذكريات لاتُنسى» [1]

فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا

عرفتُ شيخنا عبدالرزاق عفيفي -رحمه الله- في عام (١٣٥٧هـ-١٩٣٧م)، ورافقته وتجوّلتُ معه للدعوة إلى الله، وسافرت معه إلى بعض مُدن وقرى القاهرة، فكان نِعم المربِّ وخيرَ الرفيق، حُسن توجيه مع دماثة خلق، وسعة اطلاع وغزارة علم، يجادل بالتي هي أحسن، ويحلم على من يجهل عليه.

كنت بالقاهرة وكان هو بالأسكندرية، فإذا شرّف القاهرة لازمته في زياراته إلى فروع الجماعة «أنصار السُّنة» كما كنت أزوره بصحبة الأستاذ محمد صادق عرفوس -رحمه الله- فيحتفي بنا ويكرمنا «أكرمه الله وأحسن مثوبته» وكان منزله -رحمه الله- مثابة للأخوة الوافدين مِن كلِّ فج.

سعدت بصحبته عام ١٣٧٠هـ في طريقه للحج، ومعنا الشيخ محمد علي عبدالرحيم «رئيس جماعة أنصار السُّنة المحمدية» رحمه الله، مع عوائلنا بالباخرة، وكان خير رفيق، فمع تقدُّمه وفضله وكبر سِنِّه، كان كثيراً ما يخدمنا، ويؤثرنا على نفسه، ففي الباخرة، كان يختار لنا أحسن الغُرف، وكذلك فعل لما نزلنا مكة وجُدة، في الفنادق يُقدِّمنا وعوائلنا

(١) تم إرسال هذه الكلمة إليَّ بطريق الفاكس، فجزى الله خيراً فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا الذي تفضل بإرسالها.

على نفسه وعائلته، أتممنا مناسك الحج، وسافرنا جميعاً إلى الرياض للتدريس بمعهد الرياض العلمي، حيث التقينا مع خير مجموعةٍ عُرفت من أفاضل العلماء منهم: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -حفظه الله- والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، والشيخ عبدالرحمن الأفريقي، والشيخ عبدالله الخليفي -رحمهم الله- وغيرهم.

وكنا نزور الملك عبدالعزيز -رحمه الله- ليلة الخميس «على ما أذكر» ويُلقي الشيخ عبدالرزاق كلمة موعظة موجزة، وكان يبدو على الملك عبدالعزيز -رحمه الله- السرور والانشراح، كما كنا نجتمع عند سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ «مفتي المملكة رحمه الله» الذي كان يصطفي الشيخ عبدالرزاق عفيفي «وحُقّ له ذلك» فقد كان الشيخ عبدالرزاق يُشبه الشيخ محمد بن إبراهيم في حُسن السمت ورجاحة العقل.

وفي عام (١٣٧٢هـ) اتسع المعهد العلمي، وحضرت مجموعة من كبار أساتذة الأزهر، وكان مِن بين مَن حضر الشيخ محمد خليل هرّاس، والشيخ عبدالرحمن الوكيل «عليهما رحمة الله»، وكان كثيراً ما يحدث نقاش بينهما وبين مشايخ الأزهر، وإذا احتدم النقاش، وضّح الشيخ عبدالرزاق وجهات النظر، وبيّن الحق، فسلّم الجميع لوجهة نظره.

ومن حُسن سياسة الشيخ محمد بن إبراهيم «رحمه الله رحمة واسعة» أن عرض علينا الاجتماع لدراسة منهاج السُّنة لشيخ الإسلام ابن تيميّة، فكان الشيخ محمد خليل هرّاس -رحمه الله- يقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم ويقوم الأخير بالتعليق على قراءته، وكثيراً ماكان يُحيل على الشيخ عبدالرزاق عفيفي فيُفصّل ويبيّن العبارات بدقة وحكمة،

ويذكر وجهات نظر الفِرَق المخالفة، ولقد كان لهذه الجلسات الأثر الطيب على الكثير ممن نشأوا على غير عقيدة السلف الصالح من أساتذة الأزهر، وشاء الله أن أُنقل إلى الأحساء للتدريس بمعهدها، وكان الشيخ عبدالرزاق والشيخ عبدالرحمن الأفريقي، والشيخ محمد علي عبدالرحيم رحمهم الله جميعاً يزوروننا بين الفينة والأخرى، كما كنا نجتمع للحج كل عام بمكة المكرمة، وكذلك لما عملتُ بالجامعة الإسلامية بالمدينة وكذا بجدة، لم يأتِ الشيخ -رحمه الله- إلى مكة إلا وزارني.

كان -رحمه الله- صبوراً، فمثلاً ونحن بالمعهد العلمي بالرياض، جاءته رسالة ولما قرأ ما فيها، رفع رأسه إلى السماء وحرّك شفتيه ورأيت على وجهه التأثر، فقلتُ له: خيراً، فقال: مات والدي رحمه الله، ومن أمثلة صبره أيضاً: أنَّ ولده أحمد قُتل عام ١٣٩٣هـ في حرب أكتوبر بمصر، ولما جاءه الخبر، ما زاد على أن ترحَّم عليه واستمر في عمله، وكأن شيئاً لم يكن.

وقد علمت وأنا بجدة بأن ولده عبدالرحمن -رحمه الله- قد مات على إثر انفجار خزان مياه فسافرت لتعزيته، وكان هذا الشاب عضده وساعده الأيمن ومن أحسن أبنائه ومع ذلك، كان الشيخ عبدالرزاق -رحمه الله- صابراً محتسباً، ولم أر مثل شيخنا في صبره واحتسابه إلا الشيخ محمد نصيف -رحمه الله- فقد علمت بوفاة ابنه عمر -رحمه الله- وكان أحسن أبنائه، وكنت بالمدينة، فقدمت إلى جدة مع زميل لي هو الأستاذ رمضان أبو العز، لتعزيته، وكنت والأستاذ رمضان في غاية الحزن والأسى، ويبدو علينا التأثر، فأخذ الشيخ محمد نصيف يُسرِّي عنّا ويُضاحكنا، فذكر قصةً غاية في الغرابة خفَّفت من أحزاننا.

فرحم الله شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمة واسعة، وجزاه عنَّا وعن الإسلام خير الجزاء، وجمعنا به مع نبيِّنا محمدٍ ﷺ.

كتبه

محمد عبد الوهاب مرزوق البنا

جدة- المملكة العربية السعودية



لقاءاتي بفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله

بقلم: حسن محمد الجنيدي
الوكيل السابق لأنصار السُّنة المحمدية بمصر

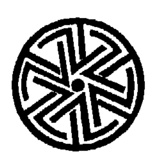
إن سردي للمقابلات التي حدثت بيني وبين أستاذنا الراحل فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ليس من ورائها قصد سوى بيان قبس من خُلق هذا الحّبر وتواضعه الجم، وخُلُقه الكريم، ولسانه العفيف.

فقد بدأت هذه اللقاءات منذ أربعين عاماً في الرياض، عندما انتدبت ضمن بعثة مصرية إلى الرياض، لتأسيس كلية الملك عبدالعزيز الحربية بالرياض، حيث كان بها فضيلة الشيخ عبدالرزاق بمعهد إمام الدعوة، فكنت كلما زرت فضيلته في بيته للاقتباس من علمه، وسؤاله فيما نحب أن نعرف من أمور ديننا الحنيف، إلا ردّ زيارتي -رغم مشاغله الكثيرة- وزارني في بيتي بالرياض، وبرفقته فضيلة الشيخ محمد علي عبدالرحيم- مما جعلني أنسى وحشتي وغربتي، وأشعر أنني بين أهلي وعشيرتي، خاصة وأن زيارة فضيلته كانت تتضمن كثيراً من النصائح الغالية الثمينة التي يبقى أثرها طول العمر، ومن بينها تطهير المنزل من تعليق الصور ولو كانت لبعض الحيوانات والطيور، لأنها عبدت قديماً وما زالت تعبد حتى اليوم، كعجل بني إسرائيل وعبادة البقر للهندوكيين، فضلاً عن آلهة قدماء المصريين -ومن بينها أيضاً- الحرص على العلاقات

الطيبة الحميمة مع سائر الجماعات الإسلامية التي تدعو إلى الإسلام، ومحاولة جذبهم لدعوة التوحيد لتكون نقطة البداية والانطلاق في الدعوة الإسلامية، وذلك عن طريق الإعراض عن ذكر مثالب الجماعات الأخرى، والإمساك عن الطعن فيها، بل نذكر محاسنها ونتألفها.

وبعد عودتي من السعودية بعام تُوفي الشيخ حامد الفقي - رحمه الله- وحضر إلينا فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي في إجازة صيفية، لازمته خلالها مع الأخوة -قدماء أنصار السُّنة المحمدية- في زيارة لمختلف فروع الجماعة، حيث كان الترحيب به حاراً، وكان الإجماع على انتخابه رئيساً للجماعة خلفاً لفضيلة الشيخ حامد، ولكن حالت بعض الأحوال السائدة في مصر وقتئذ دون استمراره في البقاء معنا، فعاد إلى السعودية متخلياً عن الرئاسة لفضيلة الشيخ عبدالرحمن الوكيل- رحمه الله.

وكنت بعدئذ كلما ذهبت للحج حريصاً كلَّ الحرص على زيارته في إدارة التوعية بمكة المكرمة، مع أخوتي الحجاج من أنصار السُّنة المحمدية، وأُشهد الله أن لقاءاته جميعاً كانت مجالس علم ونصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

أيام من حياة شِيخِنا «رحمه الله»

لأحد تلامذته حسن بن محمد إسماعيل

الإسكندرية- مصر

توكَّلت على الله وأمسكت بالقلم لأُسطِّر به سطوراً من نور، عن حياة شيخنا صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ عبد الرزاق عفيفي، غفر الله له وأسكنه فسيح جناته، عاشها معنا بالإسكندرية، فبدأت بالمقدِّمة ولم أستطع أن أُسيطر على أعصابي ونزلت الدموع بشكل لم أعهده من قبل، فتركتُ القلم ليجف دمعي، ولكنّي وجدتُ أنَّ خير مُسكِّن لدموعي، هو أنَّ أعيش بعض الوقت مع كتابٍ عندي تصدره هيئة كبار العلماء لعلّني أجد فيه السلوى، وأخذت أقرأ سؤالاً وجواباً في الفتاوى التي تشترك هيئة كبار العلماء في الرد عليها وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله- ثم فضيلة شيخنا الجليل، وبعد القراءة التي دامت أكثر من ساعتين وأنا أُقلِّب الصفحات عاد إليَّ هدوئي، وعدت للكتابة وأنا أدعو لشيخنا الفاضل بما فتح الله به عليَّ من الدعاء الذي أدعو الله مرةً أخرى أن يتقبله إنه سميع مجيب.

وأمسكتُ بالقلم للكتابة وفكرتُ مِن أين أبدأ، ورأيت أن من الواجب أنَّ أكتب من أوّل يوم تقابلتُ فيه مع الشيخ، عندما ذهبتُ إلى

المعهد الديني لتقديم أوراقي، وإذ بفضيلة الشيخ يُقدِّم لنا أسئلة شفوية لاستخبار قدرتنا، فأثنى على بعضنا، وقال للمسؤول خُذْ منهم فوراً ولا داعي لأن يعودوا غداً لأن الوقت كان قد انتهى، فشكرنا له حُسن صنيعه وكيف أنَّه عاملنا هذه المعاملة الطيبة التي لم نلقاها في المعهد الابتدائي، كُنَّا في الابتدائي نشعر بالغلظة من بعض المشايخ غفر الله لهم وسامحهم، ثم خرجنا جميعاً ونحن نُثني على هذه الروح الطيبة والمعاملة الحسنة التي وجدنا فيها عزاءً وتعويضاً عمَّا لقيناه من مشايخنا السابقين، ثم جاء ميعاد ابتداء الدراسة، وإذ بشيخنا يُرحِّبُ بنا ثم عرَّفنا أنه وكيل المعهد، وهذا يعني بلغة الأزهريين (المدير) فزدنا حُبّاً له ونحن شباب في أوَّل دراستنا الثانوية، فحمدنا الله تبارك وتعالى على هذا الوالد المثالي الذي يحنو علينا، ويعاملنا وكأننا أبناؤه، مما جعلنا جميعاً نحسب له ألف حساب بخلاف جميع المشايخ الذي كان اهتمامنا بهم من أجل الدرس والتحصيل فقط.

ثم فجأة انتقلت أُسرتي إلى حي غربال، وهذا حي يسكنه عدد كبير من الأقباط، وكان هذا الحي تابع لقسم كرموز وهو من الأقسام التي تمتلئ بالأحياء الشعبية بمدينة الإسكندرية، فإذا بفضيلة الشيخ يجاورنا في السكن وفي التدريس بمساجد الحي، وقد استطاع أن يُخضع هذه المساجد تحت رئاسة جماعة أنصار السُّنة المحمدية بالمملكة المصرية وقتذاك، فصرت أحضر له دروساً في المعهد ودروساً في المساجد، وكانت الدراسة في المسجد مهمة جداً مما جعلتنا جميعاً نتفوق في الدراسة في المعهد، وذلك أنَّ شيخنا يعطينا الدرس كالمادة التي تكون علينا في ذلك فصرنا نحن الطلبة نحضر له دروس المسجد لزيادة وارتفاع الدرجات، فإذا لم أذهب مُبكراً إلى المسجد كان معنى هذا أن أجلس بعيداً عن

فضيلة الشيخ، وهكذا كان الشيخ لا يألو جهداً في سبيل المداومة على هذا العمل الذي كان يُكلِّفه كثيراً من الوقت، وسرنا جميعاً وراءه لا أقول عشرات بل مئات، لأن مساجد أنصار السُّنة كثيرة جداً وذلك بفضل الله ثم بجهود شيخنا العالم المغوار، الذي كان يمشي في الطرقات فيجد البناء يرتفع على الأرض فيذهب إلى صاحب البيت ويطلب أن يشركه في المصاريف مقابل أن يجعل الدور الأرضي في البناء مسجداً، وبهذا كان يبني في المعهد دُعاة ويبني في الشارع مسجداً هذا مما جعلنا نحبه جميعاً طلبة وآباءً ونحترمه كل الاحترام، حتى أنَّه إذا طلب من أحدنا شيئاً أسرعنا جميعاً إليه نُلبِّي طلبه وسارت الأيام تتوالى، وفضيلة الشيخ لا يدخر جهداً في توصيل العلم والمعرفة، رغم أنَّ عمله كوكيل للمعهد لا يعطيه الحق في التدريس بالمعهد، ولكنه كان له وجهة نظر وهو أنه يريد أن يخرِّج صنفاً من الدعاة إلى جانب الوظيفة التي يسعون من أجل الحصول عليها، ولهذا كرَّس حياته لتوصيل العلم بإخلاص إلى جميع الطلبة وفي جميع المراحل حتى كان له ما أراد من تجميع الشباب المثقف حول الدعوة، وكانت جماعة أنصار السُّنة المحمدية بالمملكة المصرية قد عيَّنت فضيلته رئيساً للجماعة بمدينة الإسكندرية ففرحنا جميعاً وعمَّنا السرور، وعرفنا أن الله لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملا، وجاءت الوفود من الأقاليم للتهنئة، وفي يوم من أيام صيف عام (١٣٦٢هـ-١٩٤٢م) مرَّ فضيلة الشيخ برجل يبني بيتاً كبيراً وفي أوَّل دور، فقال له شيخنا بعد أن بدأه محيِّياً بالسلام: هل لك شريك في هذا العمل -يقصد بناء البيت- فقال الرَّجُل: هو لي وحدي ورثتُ الأرض عن أبي وأقوم الآن بالبناء، فردَّ عليه الشيخ: هل تسمح لنا بتأجير الدور الأرضي لنتخذه مسجداً على أن نُعطيك ما تشاء، فقال الرَّجُل وكان كبير السن وقوراً:

أنا لا أُمانع في ذلك أبداً وبدون أجر البتة بل وسأرعى هذا بنفسي، وكان الرجل يُدعى الحاج عبده ،وكان رجلاً فاضلاً، ولقد صدق الحاج عبده فأكمل البناء وأدخل الماء والكهرباء وبنى المسجد وهيَّأه بكل ما يلزم للمصلين وجعل دورة المياه مناسبة، وفي يوم من الأيام والشيخ يمر كعادته مستفسراً ماذا تمَّ، إذ بالحاج عبده يُخرج المفتاح ويقول: ألف مبروك ادعو الله أن يتقبل منِّي هذا العمل، فدعا له الشيخ ولمَّا حضرنا كرَّر فضيلة الشيخ الدعاء مرة ثانية وقال لنا: قولوا آمين، فأمنَّا على دعاء فضيلة الشيخ الذي كان ينظر إلى الحاج عبده وهو يبتسم فرحاً بهذا الجهد الذي بذله، وفي اليوم الثاني افتتح الشيخ المسجد بصلاة العصر وكان هذا المسجد أقرب المساجد من ورشة أبي، فسهَّل لي الذهاب والإياب، وبعد انتهاء صلاة العصر الأولى بالمسجد، أخذ فضيلة الشيخ يقصّ علينا القصص ومما قصَّه علينا إسلام سلمان الفارسي وجعلها نبراساً لنا يضيء الطريق، وفي هذا اليوم ختم الدرس قائلاً استمعتم إلى قصة سلمان الفارسي الذي كان صغيراً ولم يقتنع بما يعبد أبواه، إذ كانوا من المجوس يعبدون النار، فقال الشيخ: أنتم أسعد حظاً من هذا وهو غلام، وقال لنا: ولدتم على الإسلام وتربيتم على الإسلام والآن تدرسون الإسلام، فما مدى هذه السعادة التي أعطاكم الله إيَّاها، ألا تُحِسُّون مِن قولي هذا أنكم محظوظون في جميع أطوار حياتكم، إذاً فلا بد أن تكرِّسوها للدعوة إلى عبادة مَنْ وهبكم كلَّ هذه النِّعم، وفي هذا الأسبوع الذي افتُتح فيه المسجد، جاء من القاهرة خبر أثلج صدورنا جميعاً وزاد من فرحتنا، وذلك أن اللجنة المركزية لجماعة أنصار السُّنة المحمَّدية اجتمعت بالقاهرة واختارت بالإجماع فضيلة الشيخ الفاضل عبد الرزاق رئيساً لجماعة أنصار السُّنة المحمدية بالقُطر المصري، وتوافدت

الوفود على مدينة الإسكندرية تُهنِّئ شيخنا الجليل بهذا المنصب المحبب إلى نفوسنا جميعاً، وسرّنا جميعاً أن هذا الاختيار قد جاء بإجماع الأصوات، وكانت الوفود القادمة من أنحاء القطر المصري تحمل الهدايا لفضيلة الشيخ الذي كان بدوره يقوم بتوزيعها على مستحقيها.

وفي يوم من الأيام وبعد أن أُذِّن لصلاة العصر أتى إلى المسجد أحد الرّجال الذين نعرفهم، ونعرف تاريخهم الأسود، وقال: إذا لم تُؤذِّنوا كما نؤذِّن أغلقت عليكم المسجد وأنتم تُصلُّون، فردَّ عليه الحاج عبده قائلاً: انتظر حتى يأتي الشيخ وقُلْ له هذا الكلام، فقال: لن أنتظر ولكنِّي سأحضر في صلاة العشاء، وكان المعروف عن هذا الرجل أنه صاحب مقهى وصاحب عصابة تجلس على المقهى وهم من الرجال الذين اعتادوا الإجرام، وما قاله له الحاج عبده يعتبر شجاعة نادرة وبعد قليل حضر فضيلة الشيخ وصلَّى بنا العصر، وبعد التسليم مباشرة أخبره الحاج عبده بما حدث، وانصرفتُ إلى ورشة أبي وأخذت أعمل كعادتي وإذ بالشيخ ومعه أربعة من الجماعة يذهبون إلى المقهى، فيجدون ذلك الرجل ويُسلِّمون عليه ويجلسون معه ويتحدث إليه فضيلة الشيخ وأنا أُراقبه مِن بُعد، وصمَّم الشيخ أن يدفع ثمن المشروب الذي قُدِّم إليه واستمر الشيخ في حديثه وأنا أُراقبه من بعيد وأطلب مِن الله تبارك وتعالى السلامة لفضيلة الشيخ والأخوة الأربعة، ومرَّت عشرون دقيقة وكأنها ساعات طوال وقاموا جميعاً وانصرفوا، وفرحنا بأنها مرَّت والحمد لله بسلام وعُدتُ إلى العمل لأجد أبي في انتظاري فقال لي: أين كنت، فأخبرته بما حدث فدعا للشيخ ما شاء الله له أن يدعو، وجاء وقت المغرب وسمعت الأذان، ولكن في هذه المرة لم أستطع التعرُّف على المؤذِّن، فقلتُ في نفسي: من أين جاءوا بهذا المؤذِّن

الجديد، فأسرعت الخُطى حتى لحقته بالمسجد وهو يؤذن وكانت دهشتي عظيمة إذ أنَّ الذي يؤذن الآن هو ذلك الرَّجُل الذي كان يريد أن يُغلِق المسجد في صلاة العصر فسبحان مُغيِّر الأحوال، ودخلنا جميعاً إلى المسجد وصلّى بنا فضيلة الشيخ الفريضة، وكان من عادته أن يُلْقِي درساً من المغرب إلى العشاء، فجعل هذا الدرس عن صاحبنا الذي جلس ليستمع، وعندما بدأ فضيلته الكلام قال: إن الهداية من الله تبارك وتعالى، وأنَّ الله إذا أراد أن يهدي رجلاً أرسل إليه من يكون سبباً في هدايته، ولذلك كان علينا جميعاً أن نعيش دروس الهداية ولا نُقصِّر في الحضور حتى نخرج جميعاً إلى الناس ونحن على مستوى الدعوة، ولهذا أجلِسُ إليكم لنتعرف على الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله وهي أمرٌ واجب على كلّ داعية، فإذا كانت أنصار السُّنة لا يتمسكون بهذا الأمر فأين هي السُّنة، ومِن هنا نَرى أنَّ أسلوب شيخنا في الدعوة كان أسلوباً رائعاً يجعل المستمع في شوق إلى الاستماع، وكفى تدليلاً على ذلك أنّه ما ذهب إلى أمرٍ مهما كان هذا الأمر إلا وكتب الله له النجاح، حتى أنه عندما كان يرسل أحدنا إلى أمر ما ويبذل له النصح ينتظر بماذا يرجع، فإذا نجح زوّده بمزيد من التجارب ليُمحِّصه، أما إذا فشل فإنه يصحبه معه شخصياً عِدة مرَّات حتى يطمئن على نجاحه، ثم يتركه يخوض الدعوة بنفسه بعد أن درَّبه واطمأن عليه، وبعد أن أخذتْ أواصر المحبة بيننا وبين هذا الرجل - الذي كان يريد إغلاق المسجد علينا- تتوثّق سألناه، ماذا كان موقفك وشعورك والشيخ يتحدَّثُ ولأوّلِ مرة معك؟ قال: لقد أحسست وأنا أستمع إلى كلماته كأنني كنت في حاجة شديدة إلى هذا النوع من النصح والإرشاد، وكانت الكلمات ترن في أذني فتدخل إلى قلبي الذي

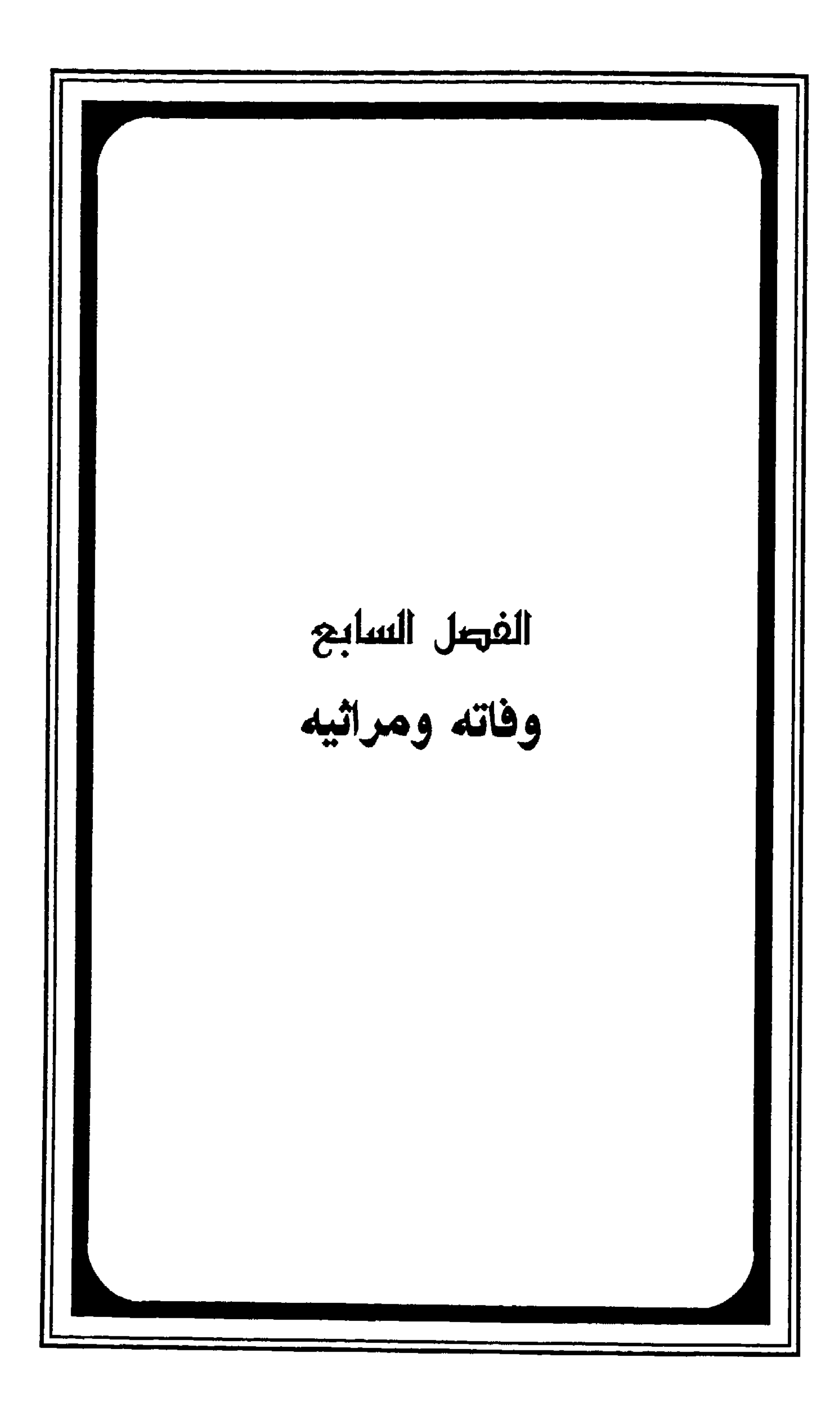
فُتح مُستجيباً لها ويريد المزيد ،حتى إذا انتهى الشيخ ووقف مستأذناً في العودة، وأنا في حاجة شديدة إلى المزيد، قال لي: إنَّ المسجد مفتوح وتستطيع أن تعتبر نفسك أحدنا، فلما قال الشيخ هذا القول أسرعت بالأذان في المسجد حتى يزداد إحساسي ويطمئن قلبي، وقد كان لي ما أردتُ فلما أذَّنت المغرب ورأيتُ جميع الأخُوة ينظرون إليَّ ويبتسمون أعطتني هذه الابتسامة كلَّ الثقة في أنَّ هذه هي الأخُوة الحقيقية، أخوة أنصار السُّنة المحمدية ،وكُنَّا نغيب فترة من الزمن ونسأله عن حاله فكان صادقاً في كلِّ مرة يتحدث ثم كان يجلس إلى الشيخ يستمع إلى نصائحه وتوجيهاته حتى صار إماماً لذلك المسجد الذي كان يريد أن يغلقه على المصلِّين، وكُلمَّا تقدمت الأيام رأيتُه متمسكاً بالسُّنة حتى أنه أطلق لحيته وربىَّ أولاده تربية إسلامية، ونهل معه جميع أفراد أسرته الكبيرة مِن نبع السُّنة المبارك، وبعد ذلك انتقلنا من حي «غربال» الذي ذكرناه إلى حي «أسبورتينج» بعيداً جداً وعندما كنا نزوره نجده في خيرٍ وسلام، وعندما حضرتُ إلى المملكة العربية السعودية، وتقابلت مع فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي سألني عنه فأجبته بخير، وأنَّه الآن يفعل ما كنتَ تفعل، فسُرَّ سروراً كبيراً وهكذا نجح شيخنا الفاضل في أنَّه ربّى دُعاةً مِن جميع الطبقات وفي جميع الأحياء، وكلهم على عِلْم. إنَّ الشيخ عبد الرزاق عفيفي يرحمه الله نوعٌ نادرٌ من الدعاة قَلَّ أنْ يوجد، والدليل أمامنا واضحٌ جداً، فأين الداعي الذي يذهب إلى الناس في عُقر دارهم ليقول لهم إن الله يقول: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

ثم يخرج منتصراً فقد استجابوا لما سمعوه كصاحبنا الذي أشرنا إليه، ولقد علّمنا شيخنا في وقتنا أصول الدعوة وأراد بهذا العمل وجهَ الله، ولذلك كان ناجحاً في جميع الأحياء لم نسمع أنَّ أحداً سخر منه أو أنَّ أحداً رَدَّ عليه ولم يستجب له، كان -رحمه الله- ناجحاً وكان يأخذ طلابه بالجد ليدربهم على كيفية الدعوة إلى الله، وفي يوم كنت أزوره هنا في الرياض في بيته بحي عسير فإذا بفضيلة الشيخ يقول: لي إحكِ لنا حكاية ياشيخ حسن، وذلك في حضور أبنائه وأصهاره، فقصصتُ له قصة صاحبنا فلان والذي رمزنا إليه بذلك الإسم، لأنه أصبح بعد ذلك إماماً للمسجد وتطور به الحال في مساجد أهل السُّنة حتى صار خطيباً، غفر الله لشيخنا وكتب له كل هذا الجهاد في سجل حسناته إنه سميع مجيب الدعاء.

ومعذرة للقرّاء الكرام فهذا ما علق بالذّهن وحيث إنني لم أستطع أن أكتب مزيداً من الأحداث، ذلك لأنَّ الذاكرة لم تسعفني وإنما كتبت ما تذكرته جيداً وبكلِّ دِقة وأمانة والحمد لله. لقد شاء الله تعالى أن أجمع بين التلمذة عند الشيخ في المعهد وفي المسجد، وهذا من فضل الله عليّ، وأن أذكر هذه القصص التي مرَّ عليها نصف قرن من الزمان، وأختم كلمتي هذه داعياً الله تبارك وتعالى أن يجعل شيخنا من سكان الفردوس الأعلى إنَّه سميع مجيب الدعاء وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه حسن محمد إسماعيل
الإسكندرية - مصر



الفصل السابع

وفاته ومراثيه



الفصل السابع

وفاته ومراثيه

مرضه ووفاته:

كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي -يرحمه الله تعالى- قد أُدخل المستشفى العسكري بالرياض الساعة الواحدة بعد الظهر من يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٥/٣/١٦هـ في قسم العناية المركزة، ثم أُخرج من ذلك القسم في يوم الأحد ١٤١٥/٣/٢١هـ وهو يعاني من ألم شديد في الكبد وضعف في الكلي ووجود سوائل في الرئتين وهبوط في ضربات القلب.

وكان -يرحمه الله- قبل وفاته -كما يروي ابنه محمد- في كامل وعيه وفي حالة ذكرٍ لله عزَّ وجل، حتى ازداد ضيق نفسه وهبط الضغط لتخرج روحه إلى بارئها في صبيحة يوم الخميس الموافق ١٤١٥/٣/٢٥هـ عن عمر يناهز التسعين عاماً، قضاها في العلم والتعليم وبناء الرجال وتربية النفوس وإثراء الأُمّة بالفتاوى العلمية والبحوث الشرعية التي تتسم بالعمق والأصالة ودقة التحقيق.

لقد وقع خبر وفاته على نفوس أبنائه ومحبيه وعارفي فضله -وما أكثرهم- موقعاً عظيماً شعروا فيه بعظم الخسارة وفداحة الخطب، وشدة المصاب.

ولكن الكل -وهم مؤمنون بالله- يعلمون أن الموت حق وأنه مصير كلِّ حي وأنَّ لكل أجل كتاب، لم يسعهم إلا التسليم والإذعان

لقضاء الله وقدره، فصبروا على ما أصابهم، واحتسبوا فقيدهم عند الله، وأكثروا من الاسترجاع ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وقد توافد أبناء هذه المملكة الحبيبة إلى عاصمتهم الرياض قاصدين الجامع الكبير -جامع الإمام تركي بن عبدالله للصلاة على جنازته، فتوافدوا على المسجد المذكور وأتوا إليه من كل حدب وصوب فاكتظت بهم شوارع العاصمة، وضاق المسجد بكثرة المصلين على سعته وكثرة ساحاته، وأمّهم في الصلاة على الجنازة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ وذلك عقب صلاة الجمعة الموافق ١٤١٥/٣/٢٦هـ، وقد ضج المسجد بالبكاء، ودعوا له بصادق الدعاء وخالص الرجاء، أن يغفر الله له وأن يتغمده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته.

ومشى أبناء مدينة الرياض ومن جاؤوا من المدن الأخرى في تشييع جنازته يتقدمهم معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعدد كبير من أصحاب الفضيلة العلماء والدعاة ورجال الحِسبة وطلبة العلم.

إن هذا المشهد العظيم الذي عاشته المملكة في توديعها لهذا العالم يدل دلالة واضحة على وعي هذه الأُمّة وتقديرها للعلماء العاملين من رجالها والأئمة المصلحين من أبنائها، كما يدل وبشكل قاطع إن شاء الله على محبة هذه الجموع الغفيرة للمُتَرجم له- رحمه الله.

حقاً لقد فقد العالم الإسلامي شيخاً فاضلاً وعالماً جليلاً، وعَلَماً من أعلام هذه الأمة.

وبوفاته انطفأت شمعة مضيئة من شموع العلم والمعرفة، بعد أن ظلت تؤدي رسالتها على نحو شريف وغاية سامية ونبيلة.

ولئن كانت روحه قد انتقلت إلى بارئها، فإن موروثاته الخالدة وأعماله المبرورة ستبقى علامة بارزة على طريق ذكراه، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة.

وقد رُثي الشيخ -رحمه الله- بمراثي كثيرة منها ما هو شعر، ومنها ما هو نثر، وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على كثرة فضائله وكرمه ونبله ونصحه وزهده وعلومه المتنوعة الكثيرة.

عزَّ العزاء وعمَّ الحادث الجلل	وطاش بالموت في تعميرك الأمل
واستوحشت بعدما كنت الأنيس لها	وساءها فقدها الأسحار والأُصُل
وكنت تتلو كتاب الله معتبراً	لا يعتريك على تكراره ملل
وكنت في سُنَّة المختار مجتهداً	وأنت باليُمن والتوفيق مشتمل
وكنت زيناً لأهل العلم مفتخراً	على جديد كساهم ثوبك السَّمَل

وفي الصفحات التالية نماذج من النثر والشعر التي رُثي بها الشيخ -رحمه الله- وهي غيض من فيض مما جادت به قرائح الشعراء وأقلام العلماء والأدباء.

فرحم الله تلك الروح الطيبة وأسكنها فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته، إنه أعظم مسؤول وخير مأمول.

خادم الحرمين الشريفين
وسمو ولي العهد وسمو النائب الثاني
يعزون سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في وفـاة
الشيخ عبد الرزاق عفيفي

تلقى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود برقية عزاء من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء هذا نصها:

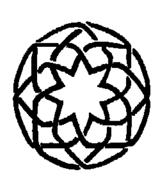
حضرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.. وفقه الله لما فيه رضاه ونصر به دينه آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد..

ففي صباح يوم الخميس الموافق ١٤١٥/٣/٢٥هـ توفي صاحب الفضيلة العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي عضو مجلس هيئة كبار العلماء، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، عن عمر جاوز التسعين -رحمه الله رحمة واسعة-.

فأقول: أحسن الله عزاءكم فيه، وجبر مصيبتكم وأصلح ذريته، كان -رحمه الله- من خيرة العلماء عقيدة وعلماً ودعوة وتعليماً، مضى عليه

في ذلك ما يقارب خمسين عاماً ضاعف الله حسناته وخلفه على المسلمين بأحسن الخلف، وفسح في أجلكم على خير عمل، وبارك في أوقاتكم وأعمالكم إنه جواد كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء



وقد وجّه خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله البرقية الجوابية التالية لسماحته:

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء.. حفظه الله..

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد..

فقد كدَّرنا نبأ وفاة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، عضو هيئة كبار العلماء، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإننا إذ نعرب لسماحتكم عن تعازينا ومواساتنا نأمل إبلاغ ذلك لأسرته وذويه، ونسأل الله جلَّ وعلا أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته، وأن يُعوِّض المسلمين عنه خيراً والحمد لله على قضائه وقدره... إنا لله وإنا إليه راجعون...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهد بن عبد العزيز

كما وجّه صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، ،رئيس الحرس الوطني، برقية عزاء ومواساة إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، في وفاة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي. وفيما يلي نص البرقية:

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء.. حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد..

فقد آلمنا نبأ وفاة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، عضو هيئة كبار العلماء، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإننا إذ نبعث لسماحتكم بتعازينا ومواساتنا لنأمل إبلاغ ذلك لأسرته وذويه، مبتهلين إلى الله العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته وغفرانه ويسكنه فسيح جناته، وأن يخلفه على المسلمين بأحسن الخلف، والحمد لله على قضائه وقدره، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الله بن عبد العزيز

كما وجّه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران، والمفتش العام، برقية عزاء ومواساة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز، في وفاة فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي. وفيما يلي نص البرقية[1]:

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء.. حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد..

فقد كدَّرنا نبأ وفاة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، عضو هيئة كبار العلماء، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإننا إذ نبعث لسماحتكم عن خالص تعازينا وصادق مواساتنا، ونرجو إبلاغ ذلك لأسرته وذويه، لنرجو من المولى سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته، وأن يعوض على المسلمين عنه خيرًا والحمد لله على قضائه وقدره.. إنا لله وإنا إليه راجعون..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سلطان بن عبد العزيز

---

(١) انظر جريدة الرياض الثلاثاء غرة ربيع الآخر ١٤١٥هـ، الموافق ٦ سبتمبر ١٩٩٤م. وجريدة المدينة عدد الجمعة ٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، الموافق ٩ سبتمبر ١٩٩٤م.

كلمات عزاء ورثاء لجماعة من العلماء[1]

فقدت الأُمّة الإسلامية عَلَماً من أعلامها وعالماً من خيرة علمائها هو فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي نائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء.

وقد رثاه عدد من أصحاب المعالي الوزراء وأصحاب الفضيلة العلماء، مؤكدين على المكانة الرفيعة للفقيد الراحل، وعلو منزلته وغزارة علمه، ودوره المؤثر في المسيرة التعليمية بالمملكة العربية السعودية، مشيرين إلى أنه أحد عشر عالماً أسسوا هيئة كبار العلماء في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز تغمده الله بواسع رحمته...آمين.

معالي الدكتور عبد الملك بن دهيش: الرئيس العام لتعليم البنات سابقاً يؤكد أن الأُمّة الإسلامية فقدت برحيل فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي واحداً من علمائها الأجلاء الذين أثروا بغزير علمهم المكتبة الإسلامية، مشيراً إلى أن فضيلته درس العلم من منابعه حتى نال الشهادة العالية من الأزهر وتدرَّج في سلك التدريس بدءاً بدار التوحيد بالطائف ثم في كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض قبل أن يُعين مديراً للمعهد العالي للقضاء.

---

(١) انظر جريدة المسلمون، الجمعة ٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، وجريدة عكاظ العدد (١٠٢٥٣) السبت ٢٧ ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ٣ سبتمبر ١٩٩٤م.

وأضاف: أن فضيلته كان زميلاً لوالدي الذي كان كثير الثناء عليه مشيداً بعلمه الغزير.

سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل عضو هيئة كبار العلماء والرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وإمام وخطيب المسجد الحرام.

قال سماحته: إن الفقيد الراحل ليس خسارة على المملكة فحسب وإنما لكل الأُمّة الإسلامية.

ويضيف سماحته: نعم فقدت الأُمّة عالماً جليلاً وشيخاً فاضلاً خدم الدين والمليك والوطن بكل صدق وإخلاص، وها هو يرحل عنا بعد سنوات طويلة قضاها في نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تعلم على يديه العديد من طلبة العلم، وكان حليماً وقوراً لا يخلو مجلسه من طلبة العلم.

وقال فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: عضو هيئة كبار العلماء:

الشيخ أحد الأعلام الفضلاء الذين هيّأ الله لهم فرصة تربية الأجيال، وهو أحد العلماء الذين عُرفوا بالجد والاجتهاد والإخلاص في أداء الواجب، وهو ذو علم واسع وله اطلاع في الحديث والتفسير والفقه وأصوله واللغة العربية، وقد تخرّج على يديه أفواج كثيرة، ويذكر له طلابه إخلاصه ومحافظته على أداء الواجب وجده واجتهاده. ولقد كان يلقي دروساً بعد العشاء في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في التفسير وكانت دروسه نافعة وتوجيهاته قيّمة.

عمل الشيخ عبد الرزاق عفيفي بعد قدومه للملكة معلماً في دار

التوحيد، ثم انتقل للمعاهد العلمية، ثم عضواً في اللجنة الدائمة للبحوث ثم عضواً في هيئة كبار العلماء،وعُرف بسعة علمه وحُسن تربيته وتوجيهه وإخلاصه، وهو رحمه الله مثال العالم العامل، فالشيخ غفر الله له عُرف بتوجيهه وتأثيره وعظته وبخاصة في التعليم فما زال طلابه الذين تلقوا على يديه يعرفون له جده واجتهاده وقدرته على إيصال المعلومة لأذهان الطلاب مما يدل على تمكنه وحرصه، غفر الله لنا وله ولجميع موتانا المسلمين.

ويرى الدكتور عبد الله العجلان -وكيل الرئيس العام لتعليم البنات لشؤون الكليات الجامعية- في وفاة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي خسارة كبيرة للأمة الإسلامية التي هي أحوج ما تكون لجهد أبنائها العلماء والفقهاء.

وقال: إن الفقيد الراحل يحتل الصدارة بين أساتذة الكليات والمعاهد العلمية بالمملكة، وذلك بعلمه وأدبه وأخلاقه وسداد رأيه وحُسن تعامله وكونه قدوة حسنة قولاً وعملاً، وقد عرفته صديقاً حميماً .ومستشاراً مخلصاً لمفتي المملكة السابق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. كما عرفته أستاذاً ماهراً وبحراً زاخراً بمختلف علوم التفسير والعقيدة والفقه والأصول وغيرها من جوانب العلوم الشرعية واللغة العربية..

وعرفته كذلك مُحدثاً واعظاً ومرشداً جم المعرفة، غزير العلم متواضعاً كثير الزهد والتقشف، مقبلاً على الله في جميع أقواله وأعماله.

وإن كان يرحمه الله لم يترك لنا آثاراً علمية تتفق مع مقامه الرفيع وعلمه الغزير فإنه يعتبر أستاذ جيل كامل من علماء المملكة.

كما تحدث فضيلة الدكتور صالح بن غانم السدلان أستاذ الفقه

بجامعة الإمام محمد بن سعود والذي كان أحد طلاب الفقيد قائلاً:

إن كان لي من كلمة في أن أخص مشايخي الشيخ عبد الرزاق عفيفي فهي أنه قد درَّسني كثيراً في عدد من مراحل التعليم في البكالوريوس درَّسني الحديث وأصول الدين وقام بتدريسي في المعهد العالي للقضاء لمادة أصول التفسير ودرسني الفقه في السنة النهائية بمعهد القضاء وأعتبره كما يقول المثل قلبه فوق لسانه فهو لا يتكلم إلا بعد معرفته أبعاد ما يقول، ويُعتبر من العلماء الأوائل..

ولا تكاد تجلس معه قليلاً من الوقت إلا وتخرج بفائدة علمية أو أدبية أو خُلُقية وأعرفه لا يحب الكلام في أحد، كما تميَّز -رحمه الله- بوضوح العبارة ولم أر مدرساً مثله في إيصال المعلومات وقلة الحشو.

ولم يكن يدرس مادة إلا وأكملها، وكان رحمه الله من المفيدين في التدريس وغير المخوفين في الامتحانات، وكان يتميز بالثقة وقوة الإرادة، وكان محبوه كثيرين ولم نكن نتصور أن يكون هذا الحضور بهذا الحجم الكبير ومن كافة الفئات في جنازته.

أسأل الله له الرحمة وأن يسكنه فسيح جناته وأن يلهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان.

الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ: وزير العدل سابقاً:

كان الشيخ -يرحمه الله- ممن عُرف بعلمه وفضله وورعه، وهو أول من عمل في المعاهد العلمية، وكان وجوده فيها كسباً لها لما له من سعة علم واطلاع وخبرة وفهم، وهي الآن خسرت خيرة الرجال والعلماء في الداخل والخارج، وقد لازمت الشيخ طويلاً واستفدت منه كثيراً.

الشيخ علي الرومي: رئيس محكمة التمييز: كان الشيخ أول من

باشر في المعهد العلمي بالرياض منذ أول يوم لافتتاحه في عام ١٣٧١هـ وله اطلاع واسع -يرحمه الله- في الفقه والحديث والتفسير وله علم في التاريخ والجغرافيا، وبرغم كبر سنّه فقد بقي في كامل وعيه وذكائه وعلمه.

الشيخ إبراهيم بن محمد بن عثمان: كان الشيخ عبد الرزاق عميق التفكير مطّلع يُقلّب الأفكار بعضها مع بعض كما كان مفسراً من الطراز الأول حتى لأنك تشعر أن الشيخ يستلهم التفسير استلهاماً.

الشيخ الدكتور سعود الفنيسان: كان لي الشرف بأن قام الشيخ بالإشراف على رسالة الدكتوراه حيث استفدت منه في أثناء جلسات عدة معه من خلال ما لديه من معلومات وملاحظات ما لم أستفده طيلة دراستي الجامعية وبالأخص في تخصصي التفسير وأصول الفقه، وكان من المقربين والمحبوبين جداً من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز إلى آخر لحظة في حياته.

الشيخ صالح بن سعود آل علي عضو مجلس الشورى: كان الشيخ صابراً محتسباً، فبالإضافة إلى الأمراض التي عرضت له في العقد الأخير من عمره أصيب في اثنين من أبنائه وهم في ريعان الشباب: عبد الرحمن الذي كان يلازمه في شيخوخته كظله يخدمه ويساعده إذ به يفاجأ بوفاته بسبب انفجار اسطوانة غاز.

ومن قبله أحمد أكبر أبنائه الذي جاء نعيه قتيلاً في حرب الدبابات مع إسرائيل في سيناء عام (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).

ومما يلفت النظر في جلد الشيخ وصبره أنه لما جاءه خبر وفاة ابنه أحمد وهو مدير ومحاضر في المعهد العالي للقضاء لم يتوقف عن برنامجه

اليومي، فقد جاء إلى طلابه في مرحلة الماجستير -وكنت واحداً منهم- وألقى المحاضرة كالعهد به دون أثر أو تلعثم وكانت بعد العصر إلى المغرب، وكان الطلاب كعادتهم بعد أن تنتهي المحاضرة يوجهون الأسئلة واحداً تلو الآخر، وإذا به يجيب عنها دون أن يظهر عليه ما يلفت النظر ومع انتهاء المحاضرة خرج من القاعة ونحن وراءه وإذ بنا نحن الطلاب نفاجأ بطابور من الأساتذة وطلاب آخرين يقابلونه ويُقبِّلونه معزين بوفاة ابنه، ولا تسأل عن ذهولنا نحن ليس من الوفاة، ولكن لأن الشيخ لم يترك المحاضرة، بل لم يخبرنا ولم يظهر عليه أي أثر للصدمة.

الدكتور حمد الجنيدل: كان شيخنا -يرحمه الله -من العلم بمكان وله طريقة متميزة في إلقاء الدروس وتأثير عجيب على مستمعيه بأسلوب سهل متين وعلم جم وجوامع كلم، يتقن عدة علوم من أبرزها علم التفسير والعقيدة والفقه وأصوله وعلم المنطق وشيئاً من علم الحديث، كان في علم التفسير أستاذاً، وفي كل ما أشرت إليه قمة يتمنى كل طالب علم أن يستمع له، وكان لا يُدِّرس من كتاب، بل له حافظة قوية جداً، كما كانت له نكتة حلوة طريفة يعرفها كل من عاشره مع صراحة تامة ببراءة وطهر.

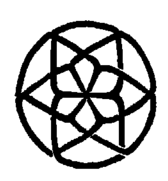
وعندي من إملائه ما يزيد عن مائة ورقة من التفسير كتبتها بقلمي أثناء تدريسه بالمعهد العالي للقضاء أعتبرها أنفس ما لدي في مكتبتي الخاصة. ولعل الله أن يسهل لنا إخراجها وطبعها.

أبناء الشيخ عبد الرزاق عفيفي: في منزل أسرة الفقيد تحدث ابنه الأكبر وهو الأستاذ محمد نبيل عبد الرزاق عفيفي، وهو المراقب المالي للإدارات المالية وإدارات شؤون الموظفين بالخطوط السعودية والذي تحدث

عن البرنامج اليومي الكامل للشيخ من الصباح إلى المساء يقول محمد: كان والدي يذهب للعمل في الصباح ويجلس إلى ما بعد صلاة الظهر في الإفتاء، ثم يقضي وقت الظهر في القيلولة، وبعد العصر كان يجلس في كثير من الأحيان في البيت يقرأ ويطالع وينظر في الفتاوى والبحوث العلمية، أما بعد المغرب فيستقبل طلبة العلم والزوار إلى العشاء حيث يدخل للقراءة والاطلاع والراحة بعد ذلك.

وكان -يرحمه الله- قدوة في عمل الخير، وكان ينصحنا دائماً كما عودنا على الصبر على قضاء الله.

أما محمود ابن الشيخ فقد قال: إن الشيخ كان يحثنا على الخير والعمل الطيب وعدم الإكثار في الكلام حتى مع بعضنا البعض في المنزل وخاصة فيما بين الذكور والإناث.



رحمك الله يا عبد الرزاق عفيفي

فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي(١)

قد فقدنا عالماً فاضلاً، مُربِّياً لأجيالٍ من العلماء وطلابِ العلم: إنَّه شيخنا فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، والذي تُوفي يوم الخميس الماضي الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ١٤١٥هـ- رحمه الله وأكرم مثواه .

لقد فقدنا بفقده عالماً فاضلاً قضى كلَّ حياته في سبيل العلم، تحصيلاً وتعليماً، نفع الله به عدداً كثيراً من الطلاب الذين تتلمذوا عليه، أو تتلمذوا على طلابه.

لقد عرفته رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - منذ ستة وثلاثين عاماً، وتوطدت صلتي به في أثناء طلب العلم والدراسة في كلية العلوم الشرعية في الرياض، ثم في المعهد العالي للقضاء ثم في حلْقات المساجد والمحاضرات في الجامعات، ومناقشة الرسائل الجامعية، وازدادت معرفتي به حينما لازمته فترة إعداد بحثي في الماجستير حيث كان مشرفاً عليه، فكان نِعْم الموجِّه والناصح، يبذل وقته وجهدهُ ويحرص على إفادة طالب العلم.

ولا أبالغ إذا قلتُ أنَّ غالب منسوبي جامعة الإمام محمد بن سعود

---

(١) انظر جريدة الجزيرة، الأحد ٢٨ ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ٤ سبتمبر ١٩٩٤م.

الإسلامية مِنْ طلابه أو طلاب طلابه، بل إن هذا الوصف ينطبق على غالب العلماء في المملكة سواء كانوا في القضاء أم التدريس أم الإفتاء والدعوة.

لقد عاصر -رحمه الله- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منذ نواتها الأولى، واستمر عطاؤه لها إلى أن توفّاه الله يوم الخميس الماضي، وكان من أبرز الذين أفادوا الجامعة في كلياتها ومعاهدها.

ولقد أدرك سماحة شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- رئيس الكليات والمعاهد ومؤسسها، بثاقب نظره وبقدرته على معرفة الرجال ما يتصف به هذا العالم الفذ الشيخ عبدالرزاق عفيفي مِنْ عِلْمٍ وبُعد نظر، وقدرة على معالجة الأمور، فقرَّبه رحمه الله وعرف مكانته، ومكّن له لإفادة الباحثين والعلماء.

ولقد استمر عطاؤه في الكليات والمعاهد بعد وفاة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم عليه رحمة الله، ثم في مجال الافتاء والدعوة في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد.

وكان فيها مِن المقرَّبين لسماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -حفظه الله- ومَدَّ في عمره في نشر العلم والدعوة إلى الله والدفاع عن دينه.

وكان ذلك كلّه تقديراً من حكومتنا الرشيدة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- ونصر به العلم وأهله.

حيث تعرف لأصحاب الفضل فضلهم ومكانتهم، ويجد في رحابها أصحابُ المواهب والقدرات ما يفيدون مجتمعهم وأُمّتهم. وهذا ديدنها منذ عهد مؤسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله-

فهي ملاذ للعلماء العاملين، والدعاة المخلصين من مختلف أصقاع العالم.

إن فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي يتصف بصفات يندر أن تجتمع في شخص: غزارة العلم، ورجاحة العقل، والزهد في الدنيا ومظاهرها وحبُّ الخير للآخرين، وبذل جاهه وماله في ذلك.

لقد امتاز -رحمه الله- عن غالب زملائه وأقرانه الذين درسوا في الأزهر وفي غيره من المؤسسات العلمية، بشدة متابعته الإسلامية الصافية: المرتبطة بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

ولقد كان يقوِّم كلَّ بحثٍ أو رأي في ضوء الأُسس والأصول الصحيحة التي التزمها السلف الصالح ،والأئمة الكبار، حينما واجهوا الفلسفات المادية والاختلافات في الأصول والفروع.

رحم الله شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وجزاه الله عنَّا وعن الإسلام وطلاب العلم في المملكة العربية السعودية، وفي العالم الإسلامي كلّه خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، وبارك في عقبه وجعلهم عقباً صالحاً.

كما نسأله أن يعوِّض الأُمّة الإسلامية خيراً بفقده.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

د. عبد الله بن عبد المحسن التركي

العالِم المحقق

شيخي فضيلة الشيـخ عبد الرزاق عفيفي عطية

رحمه الله (ت ١٣٢٣ - ١٤١٥هـ)

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهّالاً، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[1].

فهكذا يُرفع العلم ويتناقص ويتلاشى بموت العلماء، وفي منتصف شهر ربيع الأول من عام ١٤١٥هـ فقدنا عالماً جليلاً وفقيهاً فذاً، هو فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية عضو هيئة كبار العلماء، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية.

لقد عرفتُ الشيخ عبد الرزاق عفيفي أول ما عرفته عام ١٣٦٩هـ عندما تتلمذت عليه في مدرسة دار التوحيد، فتلقّيت على فضيلته مادة التوحيد، وكان يُدَرِّس لنا كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فكان في تفسيره للآيات وتقريبه لمعانيها، وشرحه للأحاديث ولأقوال السلف وبيان مطابقتها للترجمة، ودقته في استنباط المعاني من النصوص،

---

(١) رواه البخاري (الفتح ١/١٠٠) ومسلم (٢٦٧١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وتقريبها لأذهان المتعلِّمين، آية في ذلك، ومثالاً يُحتَذَى، لاسيما في المواءمة بين المعاني الجليلة وبين عقول ومدارك المتلقين من الطلاب، وهم ما بين مبتدئ في المراحل الأولى من التعليم وما بين متوسط، ومن قطع شوطاً لا بأس به في التعليم.

ولقد كان في أثناء ذلك يُولي عناية بالمسائل التي يختم بها المؤلف رحمه الله كلَّ باب من أبواب كتاب التوحيد، ويُثني على الشيخ محمد بن عبدالوهاب في فقهه للمسائل وغوصه على دقيق المعاني من ظواهر النصوص، مما يضمنه تلك المسائل، وكان ينتهز الفرصة بين الحين والحين فيوصي الطلبة بالعناية بكتب السلف والاطلاع عليها، والاستفادة من العطلة الصيفية بمواصلة القراءة لاسيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

وبعد نهاية العام الدراسي ١٣٦٩هـ عَلِمنا أنَّه وقع الاختيار عليه ليذهب للتدريس في عنيزه فكان لذلك رنة أسى لدى طلاب الدار، حيث سيفقدون عَلَماً ألفوا التَّلقي عنه، واطمأنوا إلى حُسن معتقده وسعة علمه، وكمال الاستفادة من دروسه ومحاضراته.

وبعد افتتاح المعهد العلمي بالرياض انتقل فضيلته للتدريس فيه ثم في المعهد العلمي في بريدة، ثم عاد ليُدَرِّس في كلية الشريعة بالرياض، ولقد كانت الصلة بفضيلته متصلة، فلقد كانت كلية الشريعة التي يُدَرِّس بها، والمعهد العلمي الذي كُلِّفت بإدارته، في مبنى واحد، وقلما يمضي أسبوع دون أن يكون هناك اجتماع معه في المعهد أو في إدارة المعاهد والكليات، أو في منزل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله للنظر في المناهج أو الامتحانات أو الأسئلة أو غير ذلك من الأمور التي تتطلبها العملية العلمية.

وبعد افتتاح المعهد العالي للقضاء كُلِّف رحمه الله بإدارته، وكنت ممن التحق به، فَدَرَست به بعض الوقت، ثم اضطررت نتيجة ارتباطي بأعمال متنوعة لاسيَّما العمل في مؤسسة الدعوة الصحفية كمدير عام لها، أن أترك الدراسة بالمعهد لكي أتفرغ بعد ذلك لمواصلة الدراسات العليا في الأزهر.

وفي عام ١٤٠٤هـ نُقِلت إلى العمل أميناً عاماً لهيئة كبار العلماء، الذي كان فضيلة الشيخ عبد الرزاق عضواً فيها، فرافقته في حَلّه وترحاله، وتوثَّقت الصلة به، وكنت أحفظ لفضيلته المواقف المتعددة والآراء الصائبة، وكانت له نظرات وملاحظات لنفسيات المستفتين، ومعرفة عجيبة لمن يستفتي للفائدة ومعرفة الحكم، ومن يستفتي لتزجية الفراغ، وحدَّثني رحمه الله في مجلس الفتوى في منى فقال: إذا سأل البدوي عن مسألة وكان الجواب موافقاً لما يَهوى فإنه يسأل سؤالا آخر قريباً من الأول أو بعيداً، أما إذا كان الجواب بخلاف مايهوى فإنه يسكت وينصرف. وهكذا أكسبه طول التعامل مع المستفتين معرفة لنفسياتهم. فكانت إجاباته بإيضاح الحكم فيما يُسأل عنه في التوسع أو في الإيجاز ملحوظاً فيهاماينقدح في ذهنه من مقصد السائل عند إلقاء السؤال، من رغبته في معرفة الحكم الشرعي في المسألة، أو خلاف ذلك من التعنت في إيراد السؤال.

رحم الله الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية، فلقد كان من العلماء الأفذاذ الذين أفادوا وأجادوا، وعَوّض المسلمين عنه خيراً ورفع درجاته في عليين. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد العزيز بن محمد عبد المنعم
الأمين العام لهيئة كبار العلماء
بالمملكة العربية السعودية

علم من أعلام الأزهر فقدناه

عَلَم من أعلام الأزهر فقدناه، ففي ذمة الله وفي الفردوس مستقره ومثواه إن شاء الله، الشيخ عبد الرزاق عفيفي الشنشوري المولد المنوفي الأرومة والمحتد.

نسب عريق في الضحى بَزَّ القبائل والبطون
وإن شنشور لتسمو به وتفخر على مرّ القرون

إن المنوفية التي أنجبت بطلاً من أبطال العلم والسياسة بالأمس القريب، أنجبت في الحقول العلمية والرياض الدينية مَنْ سلك سبيل الأنبياء ونهج في سرعته منهج الخلفاء فأشرقت به أرض مصر في مستهل القرن الرابع عشر الهجري الموافق سنة ١٩٠٥ ميلادي من أبوين صالحين دفعا به في كُتَّابْ القرية فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وسرعان ما التحق بالمعهد الأزهري بالقاهرة فاجتاز المرحلتين الابتدائية والثانوية في مدة قصيرة، واشتملت عليه الدراسة العالية ومرحلة التخصص القديم لكلية الشريعة الإسلامية للتزود من العلوم الدينية وفي طليعتها الفقه وأصوله، والتوحيد وقواعده، وهي أدق العلوم الأزهرية وأعمقها وأحفلها تعليلاً وتدليلاً، إلى جانب مواد أخرى تمت إليها بصلة القربى، وفي تلك البيئة الخصبة والرياض الفيحاء والحياض الفياضة، يتفيؤ ظلالها وينهل من معينها فقيدنا الكريم مع زملائه الكرام البررة الذين سبقوه إلى الدار

الآخرة، في طليعتهم الشيخ أحمد حسن الباقوري، والشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق رحمهم الله، ومن الأحياء العلامة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأوقاف سابقاً مدَّ الله في عمره، يتنافس معهم المتنافسون في أروقة الأزهر المعمور وملحقاته في حي الحلمية والدَّرَّاسة، وتولى تدريسهم نفر من الغرّ الميامين ومن فحول علماء الأزهر المرموقين في جماعة كبار العلماء، في طليعتهم الشيخ أحمد نصر شيخ السادة المالكية، والشيخ دسوقي العربي والشيخ عبد المعطي الشرشيبي، والشيخ يوسف الدجوي والشيخ محمد العتريس والشيخ الخنداروي، والشيخ إبراهيم الجبالي، الذين أنضجوا فوجاً من خيرة العلماء في طليعتهم الشيخ عبد الرزاق عفيفي.

والدهر لا يُنشئ الرجال كواملاً   إلا إذا نضجوا على جمراته

وكان لابد لهذا الغرس المزهر في بيئته المباركة أن يُؤتى أُكُلَه ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾[1].

شاء الله له ولمعهد شبين الكوم الديني الحديث العهد بالإنشاء أن يحظى به في عداد لداته وأترابه، مع شيخ المعهد الشيخ عبد الجليل عيسى الذي اصطفاه مستشاراً له لما امتاز به الفقيد من ميزات تجلت في سعة أفقه وتنوع ملكاته، وما لبث أن تلقفه معهد الاسكندرية الذي كان وما زال يتخيَّر الكفايات العلمية من لدن إنشائه بعمادة مصلح الأزهر الأول الشيخ محمد شاكر علي محمد:

رسى أصلها تحت الثرى وسما   بها إلى النجم فرع لا ينال طويل

(١) سورة الأعراف: الآية (٥٨).

وفي الأسكندرية وضواحيها المترامية بسط نطاق دراسته الدينية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ أسوة بأستاذنا الشيخ إبراهيم الغرباوي -رحمه الله- عضو جماعة كبار العلماء الذي سَنَّ هذه السنة في ثغر الاسكندرية اقتداءً بأستاذه الشيخ علي محفوظ في القاهرة، فكان الفقيد يُلقي فيها عظات ودروساً دينية حِسْبة وابتغاء وجه الله إلى جانب جدوله في المعهد الديني، وقد تتلمذ عليه وآوى إلى حلقاته كثير من شيوخ الأسكندرية وشبابها وكان من بينهم حسين عبد الناصر والد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وقد شفع له في عودته إلى السعودية للعمل بها[1]، وكان قد أعير لها من معهد الأسكندرية للإسهام في بناء صرح كلية الشريعة، وأراد بعض المسؤولين في الأزهر وقتئذ منعه حسداً وحقداً، رغم صدور أمر ملكي من جلالة الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- موجه إلى شيخ الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين ووكيله الشيخ محمد عبد اللطيف دراز والشيخ محمد نور الحسن -رحمهم الله- وقد نجحت مساعي القنصل السعودي في القاهرة آنذاك في هذا الخصوص، فعاد الشيخ العفيفي لمواصلة رسالته إلى السعودية وأولاه المسؤولون فيها جميعاً ثقتهم وتقديرهم، وعهد إليه بالإسهام في إحياء النهضة العلمية في معاهد بريدة وعنيزة بعد عمله في دار التوحيد بالطائف، وكانت قبلة الأنظار في تلقي وبسط التعاليم الدينية على المذهب السلفي الذي أرسى أسسه المصلح الديني الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وإزاء تلك الثقة من الملك عبد العزيز والأمراء من

---

(١) والحقيقة أنها لم تقبل شفاعته، ولقد عاد الشيخ رحمه الله إلى السعودية عندما تدخل القنصل السعودي في القاهرة آنذاك وتوسط لدى المسؤولين لتسهيل عودة الشيخ -رحمه الله.

أبنائه والمشرفين على التعليم آثر الاستقالة من الأزهر وظفر بالجنسية السعودية أستاذاً بالكليات مع آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذين أحلوه مقاماً رفيعاً بزعامة عميدهم الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- المفتي الأكبر، وأسندت إليه لرسوخه في العلم وواسع خبرته رئاسة وإدارة معهد القضاء العالي بالعاصمة (الرياض) ولما آلت الفتوى إلى إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد برئاسة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز أختير نائباً للرئيس فيها وظل بها الساعد الأيمن لرئيسها حتى وافته المنية فصعدت روحه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية.

وفي خلال قرابة خمسين عاماً كان لي معه -رحمه الله- أخوة في الله لم تزدها الأيام إلا قوة، ولقد لمست فيه الصلاح والتقى والورع والتواضع وإنكار الذات والنبوغ في العلوم الدينية والعربية واللغوية ،كما كان وفيّاً لإخوانه وبنيه وما أكثرهم في مصر وفي السعودية، حيث كان حلقة الاتصال والرائد الموفق في تذليل العقبات لمن تزل قدمه بعد ثبوتها من غير مَنٍّ ولا أذى، وله أياد بيض على عديد ممن يعملون الآن في حقول التعليم وغيرها في المملكة العربية السعودية، ومنهم من ناله بسعيه المشكور خيرٌ كثير، وكان رحمه الله طويل الباع واسع الاطلاع راسخ القدم، عميق التفكير دقيق التصوير، قوي الحجة ناصع البرهان، أشبه ما يكون بالإمامين الجليلين الشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ عبد المجيد سليم شيخي الأزهر السابقين- رحمهما الله.

لقد كان الشيخ عبد الرزاق -رحمه الله- في الفقه أُمَّة، وبلغ في الحديث القمة، بيد أنه مع نسبته إلى مذهب مالك لم يكن متعصباً للمالكية، بل كان سلفي العقيدة والمذهب في سرعته ومنهاجه، وكان رحمه الله طويل الباع واسع الاطلاع في الأصوليين، والحديث الشريف

الذي أولع به وشغف بأسانيده، واستأثر بجل اهتمامه مما دفعه إلى إنشاء وبناء دار ضخمة فخمة بضواحي مكة، وقفها على طلاب الحديث بمخطط السبهاني طريق الليث بمكة المكرمة.

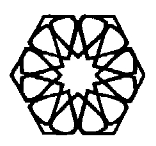
وأشهد أنه لقد بلغ من الورع والتقوى والكرم والشجاعة، وأصالة الرأي، ورسوخ القدم، والزهد في زهرة الحياة الدنيا وزينتها، ما جعله أشبه العلماء بالخلفاء الراشدين لاسيما عمر وعلياً رضي الله عنهما. فكان كعمر إذا تكلم أسمع، وإذا جادل أقنع، وإذا ساد أسرع، وكان كالإمام علي، عفيفاً، عيوفاً، زاهداً في زخارف الدنيا وزينتها، واجتمع له جل صفات السبع الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وفي طليعتها النشأة في طاعة الله، والحب في الله، وإخفاء الصدقات وتعلق قلبه بالمساجد، فتلك شيمة حببت إليه اختيار بيوته أقرب ما تكون من بيوت الله حيث يكون المسجد قبلته لا يفصل بينه وبين بيته سوى شارع واحد، وله الآن بيتان في الرياض على هذا الوضع، يشهدان بذلك أحدهما قرب شارع الخزان، والآخر في حي عسير، كما كان بيته الأول بالعاصمة على هذا الوضع بحي دُخْنَة.

لقد تجلت لي هذه الصفات وتلك السجايا فيه عن كثب في الظعن وفي الإقامة معاً، ففي السفر يُسفر عن أخالق الرجال، فلقد بدأ لقائي به وصحبتي له برفقة علامة نجد الشيخ محمد بن مانع -مدير المعارف السعودية، وخريج الأزهر ورائد التعليم حين ذاك حيث لم تكن وزارة إلا للخارجية والمالية- في رحلة بحرية وبرية من القاهرة إلى مكة المكرمة عام ١٣٦٨هـ للإسهام في بناء صرح كلية الشريعة نواة الجامعات السعودية الحالية، وكنا نقضي سحابة اليوم والليل إلا قليلاً على ظهر الباخرة نتبادل المسائل الدينية والعربية والأدبية واللسانية، وكان علامة نجد راسخ

القدم فيها كلها، كما كان الفقيد الكريم الأمر الذي جعله محل ثقته من بيننا، وعوّل عليه في إصلاح مناهج التعليم في دار التوحيد التي كان يشرف عليها بنفسه ويتفقدها -رغم كثرة مشاغله- مرة كل أسبوع وحذا حذو ابن مانع مفتي السعودية الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم عميد آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فاستقدمني معه بأمر ملكي إلى الرياض لإنشاء كليتي الشريعة واللغة العربية، ومعاهد أخرى في ربوع نجد للدراسة على الطريقة الأزهرية.

وكانت كلية الشريعة نقطة الإنطلاق لإنشاء الجامعات السعودية وكان للشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- القدح المعلى في هذه الإنطلاقة العلمية المباركة.

وكتبه يوسف بن عبد الرحمن الضبع[1]



(١) هو فضيلة الشيخ الدكتور يوسف بن عبد الرحمن الضبع، ولد عام ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨هـ) وهو من علماء الأزهر ومن الذين قدموا إلى المملكة العربية السعودية للمشاركة في وضع المناهج الدارسية لبعض المعاهد العلمية والكليات.

وداعا أيها الإمام[1]

بقلم فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد العجلان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. أما بعد:

فبالأمس حملت لنا وسائل الإعلام في المملكة نبأ وفاة عالم من علمائها، ورجل من أفضل رجالاتها، عرفه المجتمع السعودي محل الاحترام والتقدير من كبار علماء المملكة، وعلى رأسهم مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ومن قبله الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة في وقته، ومرجع علمائها وقُضاتها، ويحتل مكان الصدارة بين العلماء في هيئة التدريس في الكليات والمعاهد العلمية، وهي أقدم مؤسسة علمية شرعية في المملكة، وأعرقها في علوم الشريعة، ويتبوء كرسي الأستاذية في كلية الشريعة بالرياض منذ إنشائها يتناقل أنباءه الطلبة لأهلهم وذويهم وينقلون أخباره ومواقفه وجهوده في التعليم والتربية وتفوقه في فقه الشريعة الإسلامية، ودقة فهمه لأحكامها، وحسن تنزيله للأحكام على الوقائع في التدريس والفتوى، وقوة شخصيته، وسداد توجيهه، وحُسن تربيته، وعرفته الساحة العلمية في المملكة في كل مجال من مجالاتها، في التعليم والتربية والتوجيه والوعظ والإرشاد وفي الفتوى والمجالس العلمية ذا علم غزير ورأي متميز وإخلاص جم، جمع الله له بين العلم

---

(١) انظر جريدة الرياض، الثلاثاء غرة ربيع الآخر ١٤١٥هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٩٩٤م.

الوافر والعمل الصالح، والقبول عند الناس، والاحترام في المجتمع بكل شرائحه وفئاته، ذلكم هو فضيلة شيخنا الشيخ عبدالرزاق عفيفي يرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وعوِّض الله هذه الأُمّة فيه خيراً، وجعل الصلاح والتوفيق في عقبه.

ولقد وقع خبر وفاته -رحمه الله- على نفوس أبنائه ومحبيه وعارفي فضله وما أكثرهم بل على الأُمّة كلِّها موقعاً عظيماً، شعرت فيه بعظم الخسارة، وفداحة الخطب وشدة المصاب، ولكن الكل -وهم مؤمنون بالله وراضون بقضائه وقدره- يعلمون أن الموت حق، وأنَّه مصير كلِّ حي، قالوا بصوت واحد: «إنا لله وإنَّا إليه راجعون» ودعوا الله بصادق الدعاء وخالص الرجاء، بأن يُسكنه فسيح جناته، ويغفر له، ويعفو عنه، وأن يعوِّض هذه الأُمّة فيه خيراً.

لقد عرفت هذا الرجل أستاذاً في علوم الشريعة واستمعت لدروسه وتلقيت عنه في فترات مختلفة، فأدركت مكانته العلمية وصدق لهجته وسداد توجيهه وجاورته في السكن فكان خير جار، ورافقته في السفر فكان نعم الرفيق والمؤانس، وجالسته فرأيت فيه حسن الأدب وصواب الرأي، وتعرفت على بعض مراجعه في الدراسة، وإعجابه ببعض العلماء، وبعض الأئمة في بعض الأمور، كان تلميذاً مخلصاً على مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية قرأ نتاجهما العلمي قراءة مكررة حتى وعى ما فيها عن قناعة وتشرب فقههما ومنحاهما في الاجتهاد واستغلالهما في أخذ الأحكام من الأدلة الشرعية، وهو يظهر الإعجاب بهما ولا يخفي على مجالسه تقديره لهذين الإمامين الجليلين، كما لا يخفى عليه إعجابه بحركة الإصلاح والتجديد في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة وحسن معالجته للمشكلات التي تواجهه في دعوته،

ويلمس منه إعجابه في مجال القيادة والسياسة والحكمة بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل في توحيد المملكة العربية السعودية، ويظهر بجلاء احترامه وتقديره لكثير من علماء المملكة العربية السعودية وفي مقدمتهم الشيخان الجليلان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن باز في علمهما وعملهما. وذكر لي يوماً من الأيام بأنه حين كان يدرس في المعهد العلمي في عنيزة حضر دروس الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وكان يثني عليه ثناءً عطراً في علمه وورعه وأسلوب حياته وتنظيم وقته، ويقول: إنه كان سابقاً لعصره بحراً في علمه سديداً في توجيهه وكان يظهر رضاه عن جهود الشيخ ناصر بن حمد الراشد حينما كان رئيساً لتعليم البنات في إمكاناته التخطيطية وقدراته التنفيذية ويقول: إن من رحمة الله بالناس في تعليم البنات أن تناط مسؤولية تعليم البنات بهذا الرجل في هذه الرحلة من عمر تعليم البنات وفي هذا البلد المحافظ.

وكان يخبر عن نفسه في أكثر من مناسبة بأنّه في الفترة الأخيرة ما كان يعتني باقتناء الكتب الكثيرة في بيته، وأنه يكتفي باقتناء عدد محدود من الكتب المنتقاة في كلِّ فنٍ من الفنون يرجع إليه عند الحاجة، ويؤكد أنّه لاتوجد لديه مكتبة بالمعنى المتعارف عليه بين طلاب العلم.

وكان له رأي في التأليف يذكره عندما يقال له: لمَ لا تؤلِّف في العلم الفلاني من علوم الشريعة؟ فيقول: نحن لسنا في حاجة إلى التأليف بقدر ما نحن في حاجة إلى الاطلاع على المؤلّفات التي تذخر بها المكتبات، وأنّ كثيراً من التآليف الحديثة في علوم الشريعة واللغة العربية ماهي إلا معلومات معادة وفي المكتبة ماهو أفضل منها.

وكان -رحمه الله- إذا نقد أحداً أو موقفاً أجمل في الكلام، وقد يكتفي

بإظهار عدم الرضاء أو بنبرة، أو كلمة مجملة أو إشارة، وإذا أثنى على شخص أو موقف فصّل منه وحدّد وأبان، وإذا تكلم استرسل في كلامه، سواء كان في المحاضرة أو إلقاء الدروس، أو كان في الحديث العام حتى يستطيع السريع في الكتابة أن يكتب كلّ كلامه إذ أنه في الكلام كان يُملي.

وكان كثير الصمت يفرض احترامه على جالسيه، كثير التأمل، شديد الملاحظة دقيق الفهم نافذ الفراسة، ويلاحظ جليسه بأنّ أسلوبه في الحديث والصمت مختلف باختلاف المجالس والحضور في كل جلْسة، وحسب الموضوعات التي يتبادلها الحضور في البحث في موضوعات علمية إلى موضوعات اجتماعية إلى أخبارٍ وتحليلات وغيرها، فهو ينطلق في الحديث في المسائل العلمية وفي تحليل بعض الظواهر الاجتماعية، وهو يمسك عن الحديث إذا كان الحديث في أمور الناس ودنياهم العامة والقضايا التي ليس له فيها دخل أو تأثير، فكان مثالاً في علمه، وأدبه وأخلاقه وقدوة في تصرفاته، ورعاً زاهداً تقياً متواضعاً، يندر أن يوجد في الناس مثله.

وإذا كان الرجل لم يُخلّف لنا آثاراً علمية تتناسب مع مكانته العلمية وطول ممارسته للتدريس والتعليم والوعظ والإرشاد والفتوى، فقد كانت جهوده منصبّة على بناء الشخصية وتربية الرجال وإعداد العلماء بالعلم والعمل والإخلاص. وحمل أمانة التبليغ، والقيام بواجب الأُمّة في مجالات الخدمة لهذا الدين وبه، ولا أكون مبالغاً إذ قلت: إنّ معظم علماء المملكة - اليوم - هم إمّا من طلابه أو ممن استفادوا منه بوجه من وجوه الاستفادة، وكلهم يحفظ له حقه وجهوده، وتُعتبر وفاته خسارة عظيمة، إذ أنه من كبار حملة ميراث النبوة في هذه المملكة، ومن دعاة الهُدي وأئمة التوجيه الصائب، ولا غرابة في أن يتوافد أبناء عاصمة المملكة إلى المسجد الجامع الكبير في مدينة الرياض مِن كلٍّ حَدب وصوب، وأن تكتظ بهم

شوارع العاصمة، وأن يضيق بكثرة المصلين المسجد على سعته وساحاته على امتدادها والشوارع المحيطة به على طولها.

وأن يمشي أبناء مدينة الرياض في تشييع جنازته زرافات ووحدانا، شيوخاً وشباباً، حتى ضاقت بهم شوارع العاصمة على سعتها، وغصَّت المقبرة بالمشيِّعين والطرقات المؤدية إليها. كلٌّ منهم يريد أن يُلْقي على هذا الفقيد نظرة أخيرة. ويقول له: وداعاً أيُّها الإمام، وموعدنا معكم في الجنة إن شاء الله.

إن هذا المشهد العظيم الذي عاشته عاصمة المملكة في توديعها هذا العالم، يدل على وعي هذه الأُمّة وتقديرها للمخلصين من رجالها والعلماء العاملين بعلمهم من أبنائها. وهو آية من الآيات الدالة على الوفاء الذي تتميز به هذه الأمة المسلمة في مملكتنا الحبيبة للأوفياء لها.

رحم الله فقيدنا المحبوب، وعالمنا الجليل وشيخنا الفاضل، وأسكنه جناته، وأمطره الله بشآبيب رحمته وجعل قبره روضة من رياض الجنة، وجمعنا الله به في دار كرامته ومستقر رحمته، ونرجو الله أن يعوضنا عنه خيراً.

وشكراً جزيلاً لهذه الأُمَّة على وعيها ووفائها وتقديرها للمخلصين من أبنائها والجادين من رجالها.

وأخيراً نقول: طبت حيًّا وميتاً، وإن القلب ليخشع وإن العين لتدمع وإننا عليك يا عبد الرزاق لمحزونون، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

عبد الله بن محمد العجلان

العفيفي المفتي والعالم المربي[1]

غير خافٍ أنَّ العلماء يحتلون في الأُمَّة -أي أُمَّة- مكانة سامية تليق بهم بوصفهم معالم هداها ومصابيح دُجاها، بما حباهم الله به من عِلْم غزير، وفقه مستنير وبصيرة نافذة، وحِرْصٍ شديد على تثبيت المهتدي وهداية الشارد، وتبصيرٍ ونُصح للأُمَّة وحبٍّ الخير لها.

فهم بفقههم في الدِّين، وتُقاهم وإشفاقهم على أفراد الأمة، وحدبهم عليهم يظلون بالدرجة العليا من اهتمام الناس احتراماً لهم، واعتزازاً بهم، وعرفاناً بما أسدوه وبما يسدونه من جميل عطائهم، وحُسن صنيعهم في مجال العلم ونشره.

نعم إنَّ العلماء هم كذلك، وإنَّ نظرة الأُمَّة لهم ليست إلا كذلك ومن أجل هذا أصيب الوسط العلمي والعام مِن علماء ومتعلمين بالذهول يوم الخميس ١٤١٥/٣/٢٥هـ. عندما فاضت روح عَلَم من أعلام هذه البلاد وواحد من أكبر علمائها ألا وهو فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي عليه من الله الرحمة والرضوان.

أصيب الناس بالحزن والأسى لفقد هذا العالم الذي كان -يرحمه الله- واحداً قَلَّ مَنْ يناظره في الشريعة وعلومها، جاء به الملك عبد العزيز

---

(١) جريدة عكاظ، العدد (٢٤٥) الأحد ٢٨ ربيع الأول ١٤١٥ الموافق ٤ سبتمبر ١٩٩٤م.

مؤسس هذا الكيان ومُوحِّد هذه المملكة، جاء به مع علماء آخرين من داخل المملكة وخارجها لينفِّذ بهم ومِنْ خلالهم سياسته الصارمة في محاربة الجهل واقتلاع جذروه، بعد أن خيَّم ردحاً من الزمن على أجزاءٍ من هذه الجزيرة.

فقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي من ضمن مجموعة من العلماء الذين عملوا في دار التوحيد، ثم لما أمر الملك عبد العزيز -رحمه الله- بفتح المعاهد العلمية كان الشيخ عبد الرزاق مِنْ أوائل من جاء للتدريس فيها، وكان مع الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية آنذاك ومع الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم -عليهم جميعاً رحمة الله- كان معهم خير معين على السير بهذه المعاهد والكليات من بعد ذلك نحو تحقيق الرسالة المنوطة بها.

تولّى التدريس بعد دار التوحيد في المعاهد العلمية ثم في كلية الشريعة واللغة العربية بالرياض، وكذا في المعهد العالي للقضاء الذي أُسند إليه إدارته فيما بعد إضافة إلى التدريس فيه، وكان رحمه الله ذا باع طويل في علوم الشريعة، له القدح المعلى في التفسير وعلوم القرآن، وقَلَّ أن يوجد له نظير في التوحيد وعلوم العقائد والمذاهب والملل والنِّحل، أما في عِلْم أصول الفقه فإليه فيه المنتهى. وقد شرفتُ بأن أكون أحد تلاميذه في كلية الشريعة، ثم في المعهد العالي للقضاء، وخبرته مِنْ قرب ورأيت فيه ما كنت أقرأ عن علماء السلف من العلم الجم والفقه في الدِّين والتحلِّي بمبادئ هذا الدين من تواضعٍ وتُقى وزهد وورعٍ وصبر وحبٍ لهذه الأمة، وحرص على أن تظل كما هو مؤمَّل منها منارةَ هدىً ومصدر إشعاع وموئل عزٍ للإسلام والمسلمين.

وقبل وفاته - رحمه الله - كان مبتلى، ابتلاه الله سبحانه وتعالى

بمصائب، ولكنه كان الصابر المحتسب، فإضافة إلى الأمراض التي عرضت له في العقد الأخير من عمره، أصيب بثلاثة من أبنائه وهم في ريعان الشباب: عبدالرحمن الذي كان يلازمه في شيخوخته كظلّه يخدمه ويساعده إذ به يُفاجأ بوفاته بسبب انفجار اسطوانة غاز. وعبدالله بسكتة قلبية. ومن قبلهما أحمد أكبر أبنائه الذي جاءه نعيه قتيلًا في حرب الدبابات مع إسرائيل في سيناء عام ١٣٩٣هـ.

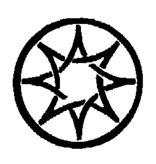
ومما يلفت النظر في جَلَد هذا الشيخ وصبره أنه لما جاءه خبر وفاة ابنه أحمد وهو مدير ومحاضر في المعهد العالي للقضاء لم يتوقف عن برنامجه اليومي، فقد جاء إلى طلابه في مرحلة الماجستير - وكنت واحدًا منهم - وألقى المحاضرة كالعهد به دون أثر أو تلعثم وكانت بعد العصر إلى المغرب، وكان الطلاب كعادتهم بعد أن ينتهي من المحاضرة يوجِّهون الأسئلة واحدًا تلو الآخر. وإذ به يجيب عنها دون أن يظهر عليه ما يلفت النظر، وبعد انتهاء المحاضرة خرج من القاعة ونحن وراءه وإذ بنا نحن الطلاب نُفاجأ بطابور من الأساتذة وطلاب آخرين يقابلونه ويقبِّلونه معزين بوفاة ابنه. ولا تسأل عن ذهولنا نحن، ليس من الوفاة ولكن لأن الشيخ لم يترك المحاضرة، لا بل لأنه لم يخبرنا ولم يظهر عليه أيّ أثرٍ للصدمة.. فأقبلنا عليه مع غيرنا مواسين ومُعزِّين - فرحمه الله وغفر له.

ورحم الله جلالة الملك عبدالعزيز وأبناءه من بعده. وجعل التوفيق حليف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد وإخوانه الذين كان هذا العالم الفذّ محل اختيارهم وموضع تقديرهم، والذي آل به هذا الاهتمام إلى أن تَدرَّج - رحمه الله - في التدريس قرابة أربعين سنة. ثم في تولي إدارة المعهد العالي للقضاء. ثم نائباً لرئيس لجنة الإفتاء. ثم عضو هيئة كبار العلماء.

فرحمك الله يا أبا أحمد رحمة واسعة، وأنزلك منازل الصديقين والشهداء، وألهم أبناءك محمدًا ومحمودًا وإخوانهم وأخواتهم ووالدتهم وذويهم الصبر والسلوان، وعوّض هذه البلاد خيرًا بعد رحيلك.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

د/ صالح بن سعود آل علي
عضو مجلس الشورى



دمعة حرى على فقيد العلم والأخلاق والتربية

عبد الرزاق عفيفي- رحمه الله

بقلم زهير الشاويش

عرفت أستاذنا وفقيد الأُمّة الإسلامية قبل خمسين سنة، وتوثقت صلتي به منذ أربعين سنة على أمتن ما تكون الصلة، تغمده الله برحمته، ومنذ عرفته حتى يوم فقدته ما رأيت منه إلا العلم الغزير والأخلاق السامية، والنبرة الصادقة والألفاظ العفة والعقل الراجح، والورع الحقيقي والترفع عن سفاسف الأمور، والصبر عند الملمات، مما لا تكاد تجده مجموعاً عند غيره من الرجال.

كان عالماً عاملاً بنشر العقيدة الصحيحة والتربية السليمة، والأخلاق المحمدية، فكان مدرسة فريدة في جمع الناس على الخير، وحثهم عليه، وكان من تلامذته الدكتور عبد العزيز كامل والأستاذ عبد الرحمن الباني، والدكتور محمد الصباغ والأخ مناع القطان وغيرهم. ومجموعة من الإخوان الذين أخذوا عنه فضائل جمة، وابتعدوا عن الغرور والتنطع.

ولد الفقيد عام ١٣٢٣هـ في بلدة «شنشور» في المنوفية بمصر، ودرس في الأزهر وقبل تخرجه وكان عمره دون العشرين سَنة يدعو الناس إلى الإسلام الصافي، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، فتأثر به

أهل تلك المنطقة، وكانت فيها نهضة علمية تعاون فيها جميع العاملين للإسلام من غير تنافر ولا تنابذ.

وانتقل إلى السعودية ضمن بعثة علمية قام بإحضارها أستاذي العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز -رحمه الله- وبعد سنتين اختاره مفتي البلاد أستاذي الشيخ محمد بن إبراهيم ليكون معه في الرئاسة العامة للمعاهد والكليات، مع أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم.

ثم تولى رئاسة المعهد العالي للقضاء، وبعدها انتقل إلى إدارة البحوث العلمية والإفتاء. حيث كان الرفيق الأقرب إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله- ووجوده في هذه اللجنة أثرى ما أصدرت من فتاوى كثيرة جداً.. وفيها ولا شك الكم الكبير المبني على الاجتهاد (شبه الجماعي) النافع للناس، والمبتعد بهم عن التخبط الذي نجده في كثيرٍ من الآراء والفتاوى.

الشيخ والتأليف:

كان -رحمه الله- يرى أن في ثروتنا العلمية التي تركها لنا الأجداد -رحمهم الله- ما يكفي، وإذا كان لابد من مؤلّف فيكون لسد الحاجات الطارئة علينا من أمورٍ استجدت. وقال لي مرة: يازهير إن حُسن استخراج الكتب وتحقيقها وحُسن عرضها أفضل من التأليف.

ولذلك صرف جهده إلى وضع المناهج للجامعات والمعاهد ورسم الخطط لها من غير أن يؤِّلف كتباً.

وقام على تحقيق كتاب «إحكام الأحكام» للآمدي. وبحكم تدريسه الطويل كان عنده أمالي في التفسير والحديث وأصول الفقه.. ما لو جمع لكان كُتباً نافعة.

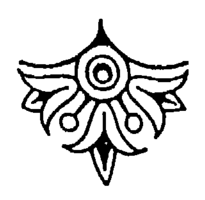
وفي تعليقه على رسائل الدكتوراة التي أشرف عليها ولعلها بلغت المئات؛ العلم الغزير النافع.

هذه دمعة حرى على فقيدنا وأستاذنا العلامة الجليل الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وفقده يذكِّرني بالحديث الشريف «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من العباد، ولكن يقبضُ العلم بقبض العلماء...» الحديث.

وإنني إذ أُعزِّي العالم الإسلامي به أخص أستاذنا الشيخ عبد العزيز بن باز وأبناء الفقيد وأهله وإخوانه بخالص التوجه بأن يحتسبوا مصيبتهم عند الله الذي له ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار.

اللهم عوِّضنا منه خيراً، وصلى الله على محمد وآله وصحبه. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

زهير الشاويش
بيروت- الحازمية



ذكريات مع الحبـر الفقيد[1]
بقلم الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي

الحمد لله رب العالمين.. أما بعد:

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء»[2].

أسترجع هذا القول وأتأمله كلما حدثت فاجعة بموت أحد علماء الأُمّة الذين خدموا العلم بنشره والدِّين بالدعوة إليه والدفاع عن حياضه.

وإنَّ مِن آخر مَنْ فقدتهم الأُمّة الإسلامية، الوالد الشيخ عبد الرزاق عفيفي عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية سابقاً، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

ولست بصدد الترجمة له فقد كُفيتُ ذلك ولكن للتعريف ببعض سيرته -رحمه الله- من واقع اتصالي به حيث قيَّض لي العمل قريباً منه في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء -سابقاً- كما شرَّفني -رحمه الله- بالإشراف في المرحلة الأولى من رسالتي لنيل درجة الدكتوراه قبل أن تنتابه الأعراض المرضية والمتاعب الصحية في آخر حياته.

---

(١) انظر مجلة الدعوة العدد (١٤٦٣) وتاريخ ١٤١٥/٥/١٥هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ١٩٩٤م.

(٢) رواه البخاري (الفتح ١/١٠٠) ومسلم (٢٦٧١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

لقد عرفتُ في فضيلته الدقة العلمية والاستيعاب الواسع لجوانب المباحث المطروحة متميِّزاً -رحمه الله- بدقة فهمه لمختلف مسائل العلم الشرعية واستيعابه للأصول والقواعد التي تصدر عنها الأحكام، وسرعة استحضاره لكلام أهل العلم من قراءاته في المراجع المختلفة.. ولقد كان -رحمه الله- واسع العلم بمسائل العقيدة، شديد التمسك بمذهب السلف الصالح مع المعرفة التامة بالملل والنحل المختلفة وأصولها التي تصدر عنها عالماً بعوارها ومواطن دحضها..

كما كان -رحمه الله- في أخلاقه محل القدوة والأسوة. شديد التواضع تغلب عليه البساطة في مجلسه، إذا ارتاح لمحدثه استرسل في ذكر بعض الأحداث والمواقف ونزل معه على قدره صغيراً كان في سنه أو منزلته.

ولذا كان -رحمه الله- محبوباً من الجميع مِن كلِّ مَنْ يعرفه ممن عمل معه أو تتلمذ على يديه. محل الإجلال من الجميع والتقدير، شديد الزهد في أعراض الدنيا يلبس الخشن من الثياب في آخر حياته ويرتاح لذلك، ويعلله بأنَّه يناسب بدنه صحياً، وكان يكره الجدل والمراء، وقَلَّ أن يسمح لمحدثه بالاستمرار في ذلك أو ينساق له.

وإن كانت وفاته -رحمه الله- بعد أن جاوز التسعين عاماً فقد كان رغم ما توالى عليه في السنين الأخيرة من العلل والأمراض مع كبر سِنِّه، تام الحواس، سليم الإدراك لم يتغير في عمله، وقد يسَّر الله له الحج عام (١٤١٤هـ) آخر موسم قبل وفاته بصحبة سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز فكانت حجة وداع من خير ما ختم به أعماله.

ولعل من المناسب للتاريخ أن أذكر بعض ما يحضرني من أقوال له في بعضها طرافة.

لقد كان -رحمه الله- شديد الإعجاب بشيخ الإسلام ابن تيميَّة كثير الرجوع إلى مؤلفاته، وكان مما سمعته منه قوله: (لم أر لدى أكثر المؤلفين في العصور المتأخرة جديداً بل تكراراً لما ذكره مَنْ سبقهم سوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله- فإنك تجد في مؤلفاته الكثير منه ولا يتغير فيه شيء).

وكان -رحمه الله- يقول في وصف تغير العصر وانقلاب المفاهيم «بعض الناس الآن كنَبتِ البصل رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى».

وسمعت منه كلاماً في عدم الجهل بما يحل ويحرم، وأن الإنسان يعرف ذلك غالباً من نفسه قال: «حتى الحيوان قد يدرك ذلك؛ ألا ترى الهرة إذا ناولتها قطعة اللحم أكَلتْها وهي بجوارك آمنة، وإذا غافلتك وخطفتها من غير رضىً منك هربت بها بعيداً عنك».

أقول رحم الله الوالد الشيخ عبد الرزاق عفيفي فقد كان بحر علم زاخر صدر عنه الكثير من طلبة العلم الشرعي ولا سيَّما في هذه البلاد بخاصة. وإنَّ فقده مما يؤلم ولكن سنَّة الله ماضية، وكل نفس ذائقة الموت..

نسأل الله أن يسكنه فسيح جنته وأن يغفر له وأن يجزيه على ما قدَّم لأمة محمدٍ خير الجزاء ويرفع درجته مع الصالحين من عباده وأن يخلفه على المسلمين بخير الخلف.

د. عبد الله بن حافظ الحكمي
مدير عام مكتب المفتي العام
للمملكة العربية السعودية

الشيخ عبد الرزاق عفيفي من بقية السلف[1]

د. محمد بن لطفي الصباغ

فُجع العالم الإسلامي بوفاة العالم العامل والعلاّمة الداعية إلى الله على بصيرة، الشيخ عبدالرازق عفيفي. وذلك في صباح يوم الخميس الموافق ٢٥ ربيع الأوّل سنة ١٤١٥هـ (الموافق ١٩٩٤/٩/١م) ودُفن في الرياض بعد صلاة الجمعة.

بلغني الخبر المؤلم وأنا في عمّان. فآلمني ذلك الخبر إيلاماً شديداً. وشعرتُ بعِظَم الكارثة على وجهٍ أكثر مما كنت أتوقع.

يا لله!! مات العالم الذي قَلَّ نظيره من العلماء.. لقد أذهلني الخبر حقاً.

أشهد أنني لقد جزعت لذاك النبأ جزعاً لم أجزعه إلا يوم وفاة والدي -رحمه الله- والشيخ عبدالرازق عفيفي بمثابة الوالد. ثم تماسكت وتصبَّرتُ وتذكرتُ الآيات القرآنية التي تقرر أن الموت سبيل كل حي ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2].

وأن الأجل إذا جاء لا يؤخر ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا

---

(١) انظر مجلة الفيصل العدد ٢١٥، ص٧٤ ـ ٧٦.

(٢) سورة الزمر، الآية (٣٠).

يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

ومرت بخاطري كلمة عمر بن عبدالعزيز: (ما الجزع مما لابد منه؟ وما الطمع فيما لا يُرجى؟ وما العيلة فيما سيزول؟ وإنما الشيء من أصله، فقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد أصله؟ وإنما الناس في الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا وهم فيها نهب للمصائب، ومع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص).

فاسترجعت قائلاً: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، غفر الله له، وأكرم نُزله، وعوّضه الجنة، وعوّض المسلمين خيراً.

صحبته ما يزيد على اثنين وثلاثين عاماً، ما تركت مجلسه في أسبوع إلا أن يكون أحدنا مسافراً، وقلما كانت سفراتنا تطول. وقد جاورته سنين عديدة فكان نعم الأستاذ والجار. لقد تعلمت منه في هذه الصحبة أموراً كثيرة: منها ما يتعلّق بالناحية السلوكية، ومنها ما يتعلق بالناحية الشخصية.. لقد كنت ألجأ إليه في كلّ أمرٍ من هذه الأمور، وكان يمدني بالرأي السديد. والتوجيه القويم، لقد أكرمه الله بالعقل المسدّد، والعلم الواسع، والرأي الحكيم.

وعلى الرغم من تلمذتي عليه ماكان يعاملني إلا على أنّي زميل له تواضعاً منه وكرماً. أحسن الله إليه وجزاه الخير.

وُلد -رحمه الله رحمة واسعه- في شنشور من محافظة المنوفية من بلاد مصر في سنة ١٣٢٣هـ ودرس في الأزهر وتخرّج فيه من أعلى مستوياته، وقد حصل على الشهادة العالمية عام ١٣٥٠هـ، ودرس مرحلة التخصص

(١) سورة الأعراف، الآية (٣٤).

في شعبة الفقه وأصوله. وتابع تحصيله الشخصي حتى أضحى من أكبر العلماء في عصره، وإني منذ طفولتي إلى هذه اللحظة وأنا أعاشر العلماء، أتتلمذ على أيديهم وأتلقّى منهم وأباحثهم، ولا والله لم ألق عالماً مثله في سعة اطلاعه، ودِقّة استحضاره وحفظه وسلامة منهجه وإستقامة حياته وجولان ذهنه، وقدرته على إعطاء الحكم الدقيق في المسأله المطروحة، ومعاصرته لأحداث زمانه، لقد كان يعيش عصره، ويدرك بعمق شراسة الغزو الفكري الاستعماري للمسلمين، ويعرف التيارات الفكرية والسياسية التي تسود العالم وتغزو بلاد المسلمين يعرفها تمام المعرفة، وهذه صفة لم تكن موجودة في كثيرٍ من علماء عصره.

كان مما يمتاز به سعة صدره وبعد نظره وزهده في الدنيا ومتاعها، وحبه للخير للناس جميعاً وبذله جاهه في مساعدة الآخرين.

وكان إذا تكلّم في فن من فنون العلم ظن السامع أنّه لا يُحسن غيره وأنّه متخصص فيه وحده، كان موسوعي المعرفة: كان مُحدّثاً كبيراً قَلَّ أن يخفى عليه حديث، وكان له مقدرة متميزة في تخريج الحديث والحكم عليه، وقد يرى في بعض الأحاديث من الرأي الصحيح ما لا تجده عند غيره سواء في تحديد درجة الحديث أم في فهمه والوقوف على دلالته.

وله عناية خاصه بكتب الرجال، وقد بلغ من عنايته أنه فقد جزءاً من كتاب الرجال فكتبه بخط يده وجلّده، ولما رآه بعض الولوعين بحفظ آثار عظماء العلماء استهداه هذا الجزء فأهداه إيّاه بحضوري.

وكان مفسّراً عظيماً، وإن أنس لا أنس دروسه الرائعة في تفسير القرآن التي كان يلقيها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في (دخنه) في

الرياض، وكنت ملازماً لها وذلك من فضل الله عليّ. لقد كان يغوص في المعاني الدقيقة في الآية ويذكر ارتباطها بما قبلها وبما بعدها ويصل بين تلك المعاني وبين حياة الناس، ويشير إلى أسرار البلاغة ونواحي الإعجاز فيها، وكان لايرضى تأويل المتأخرين ولا المعاصرين المفتونين بحضارة الغرب الذين تزعزعت عندهم الغيبيات فراحوا يؤوّلون النصوص تأويلاً مُتكلَّفاً بعيداً.

وكان فقيهاً مجتهداً، وما كان يرضى التعصب لمذهب من المذاهب مع إحاطته بها، بل كان يمشي مع الدليل. وقد تكونت لديه ملكة فقهية عظيمة.

وكان إذا سُئل لا يتسرع بالإجابة، بل يسأل عن دقائق الموضوع المطروح حتى يستوعبه ويقوم عنده تصوُّر صحيح دقيق للموضوع ثم يجيب.

وكان أُصولياً متبحراً في هذا العِلْم العظيم: عِلْم أصول الفقه، واقفاً على دقائقه مُطّلعاً على كتبه مستحضراً لما فيها، فإذا سألته عن كتاب من كتب الأصول ذكر لك خصائصه ومزاياه وطريقته والمآخذ التي تُؤخذ عليه. وقد كان معجباً بكتاب «المستصفى» للغزالي وكتاب «الموافقات» للشاطبي.

وكان من كبار علماء التوحيد على مذهب السلف رحمهم الله، يعرض القضايا الدقيقة فيه بأسلوب مميَّز واضح، وقد كان رحمه الله واقفاً على كلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم في هذا العلم. وقد استطاع أن يرد ما جاء في شرح الطحاوية وهو مقتبس من كلام ابن تيمية وتلميذه إلى مواضعه في كتبهما، وقد تضمنت طبعة المكتب الإسلامي الأخيرة للكتاب هذه الإحالات.

وكان في علوم العربية متمكناً، فقد كان في النحو مرجعاً تراه يورد في حديثه القاعدة النحوية إذا اقتضاه التوضيح أن يوردها وكأنّه مِن المتخصصين في النحو، وكان ذوّاقة للنصوص الجميلة وهذا يدل على موهبة بيانية أكرمه الله بها وعلى تمكنه من علوم البلاغة.

وكان في الكتابة ذا أسلوب متين جزل بليغ، لايقل عن أساليب كبار الكُتّاب والأدباء تتصف عباراته بالإيجاز والإحكام والبيان والوضوح والجزالة. ولديَّ عدد من رسائله الشخصية إليّ وهي نماذج على ذاك الأسلوب العالي.

وكان ذا بيان مشرق متدفق إذا تكلّم أو درس لايتلعثم ولا يتوقف ولا يلحق.

وكان مناظراً قويَّ الحُجّةَ مستحضر الدليل يحيط بأطراف الموضوع الذي يناقشه.

وكان مُدرساً ناجحاً سواء كان درسه في الجامع أو في الجامعة، فلقد كان له درس أسبوعي في مسجد الشيخ محمد كما ذكرنا آنفاً، ثم لما انتقل إلى بيته في شارع الخزان كان يؤم الناس في المسجد الذي يقابل بيته وكان يُلقي بين الفينة والأخرى دروساً تأخذ الألباب في روعتها وعمق معانيها وغزارة أدلتها.

وقد حدثني -رحمه الله- أنه أراد أن يحذّر إخوانه في مصر من دجل الدجالين من القُصّاص والوعاظ الذين يأتون في دروسهم بالأقاصيص الممتعة التي تشد السامعين وتمتعهم وتستحوذ على إعجابهم ولا أصل لها، والعامة هذا شأنهم في أغلب البلاد، فألقى عليهم درساً ملأه بمثل تلك الأقاصيص الغريبة فأُعجبوا بالدرس واستمتعوا،

فلما رأى ذلك بادياً على وجوههم سألهم: مارأيكم؟ أهذا الدرس أحسن أم الدروس السابقة؟ قالوا: بل هذا. إنه درس جميل ممتع. فقال لهم: هذا كلّه غير صحيح، وما كنا عليه في دروسنا السابقة هو الصواب.

فأفهمهم بهذه الطريقة العملية أنه ليس عاجزاً عن أن يأتي في درسه بما يستحوذ على إعجابهم، ولكن الحقّ هو الذي ينبغي أن يكون رائد الموجه والعَالم.

إن العَالم ينبغي أن يكون مربِّياً مرشداً يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، لا يُداري ولا يتكلف التأويل ليسوغ للناس ما يحبون من الخرافات والأباطيل.

وقد أبتلي المسلمون من زمن بعيد بالقُصّاص الذين يملأون أحاديثهم بالأحاديث الموضوعة والواهية، ويأتون بالقصص الغريبة ولو كانت باطلة ليجعلوا الناس يقبلون عليهم فكان الشيخ رحمه الله يُحذِّر الناس من الوقوع في أحابيلهم.

وكانت إحاطته بمفردات اللغة العربية تكاد تكون شاملة، فلقد كان يصحب القاموس المحيط، وقد حدّثني في أنه يجد متعة في قراءة موارده، والناس عادة لا يرجعون إلى القاموس إلا عندما يريدون معرفة معنى كلمة، أما الشيخ -رحمه الله- فقد كان يقرأ فيه كما يقرأ أيَّ كتابٍ من الكتب.

أمّا فهمه لعبارات الأقدمين في كتبهم فقد كان شيئاً مدهشاً حقاً، وبعض العبارات بالغة التعقيد بسبب الرغبة عند هؤلاء المتقدمين في تحميل الألفاظ القليلة المعاني الكثيرة.

لقد كان ينظر في العبارة العويصة فيحلّها ويشير إلى مراميها

ومقاصد كاتبها على نحوٍ لا تجده عند كثير من أهل العلم.

والعلماء نوعان: علماء ينعزلون عن الناس، ويتفرغون لكتابة الكتب والمصنَّفات، وعلماء يعنون ببناء النفوس وتوجيه العامة وإرشادهم، وبالإجابة على أسئلتهم وحل مشكلاتهم، وقد كان فقيدنا العظيم من النوع الثاني، وقد انتفع بعلمه وتوجيهه خلْق كثير، وهناك عدد من مشايخنا كانوا من النوع الثاني وهم جبال من العلم، وكذلك في العصور السابقة كان أكثر العلماء من هذا القبيل، وأحسب أن فقيدنا كان يحمله على ترك التأليف عامل آخر وهو زهده في الشهرة والسمعة والمناصب.

ومع ذلك فقد كتب تعليقات نافعة على أجزاءٍ من «تفسير الجلالين» كانت مقررة على طلاب المعاهد العلمية. وكتب تعليقات موجزة نافعة على كتاب «الإحكام» للآمدي، وطُبعت له «مذكرة في التوحيد» وهي الآمالي التي كان يلقيها على الطلبة.

وقد كتب عدداً من الفتاوى والبحوث وذلك خلال عمله في اللجنة الدائمة. وكتب عدداً من المقدِّمات لكتبٍ علمية أو رسائل جامعية.

وكان إذا رأى كتاباً خفيفاً لأحد المخدثين ليس فيه أصالة ولا دقة ولا استيفاء قال: يا ليته ما ألَّف! ويا ليته اقتصر على الانتفاع بما كتب الأئمة.

ومهما يكن من أمر فإنِّي لا أستطيع أن أنقل للقرَّاء صورة حقيقية لعِلْم الرجل الواسع في هذه الكلمة.

وكان -تغمده الله بالرحمة- سلفي العقيدة يدعو إلى الحق على بصيرة، وكان رئيس جماعة أنصار السنة في الإسكندرية يوم أنْ كان في مصر. وكان يتصف بسعة الصدر وحُسن المناقشة والحلم وإلآنة القول

لمن يسأله ويناقشه، فقد ذكر لي الشيخ ناصر الدين الألباني أنّه في أوّل قدمة جاء فيها إلى المملكة من بضع وأربعين سنة قابل عدداً من المشايخ وذاكرهم في مسألةٍ قرّرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي مشكلة في نظره، وقد أنكرها، فاشتدوا عليه إلا واحداً وكان هو الشيخ عبدالرازق عفيفي الذي تلطف به وناقشه في الموضوع، وكان الشيخ الألباني يذكر هذه القصة مشيداً بالصفات الكريمة التي تميّز بها الشيخ- رحمه الله.

أمّا الأعمال التي قام بها فقد عمل مدرساً في المعاهد الأزهرية في مصر، ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية في سنة ١٣٦٨هـ فدرّس في المعارف ثم في دار التوحيد في الطائف، وكان الملك عبد العزيز - رحمه الله- قد استدعى شيخنا الشيخ محمد بهجة البيطار ليكون مديراً لها، فعمل فقيدنا فيها، ثم انتقل إلى نجد فدرّس في الرياض وعنيزة، ولما أُنشئت كلية الشريعة في الرياض كُلِّف بالتدريس فيها، ولما جئت للتدريس في كليتي الشريعة واللّغة عام ١٣٨١-١٣٨٢هـ كان لي شرف لقائه والاجتماع به. وكان من أقدر الأساتذة على نقل المعلومات إلى أذهان الطلاب، يبسط المسألة المعقّدة ويوضّحها وما ذلك إلا لتمكنه من العلم، لأنّ الإنسان عندما تكون معلوماته واضحة في ذهنه يستطيع أن ينقلها بيسر للآخرين مهما كانت دقيقة وصعبة.

ثم أُنشئ المعهد العالي للقضاء في سنة ١٣٨٥هـ. وكان الشيخ من المخططين لمناهجه وعُيِّن مديراً له، وقد تخرّج على يديه عدد كبير من العلماء.

ثم انتقل إلى دار الإفتاء عام ١٣٩١هـ. فكان عضواً في اللجنة الدائمة

للبحوث العلمية ونائباً لرئيسها وبقي فيها حتى وفاته، رحمه الله رحمة واسعة. وكان أيضاً عضواً في هيئة كبار العلماء. وقد أشرف على عدد كبير من الرسائل العلمية الجامعية للماجستير والدكتوراه وناقش عدداً آخر منها.

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- مفتي المملكة يُقدِّره ويستشيره ويعتمد عليه في كثير من الأمور تقديراً لعلمه الواسع ورأيه الصائب وإخلاصه الجم.

والفضل يعرفه ذووه، وكذلك كان فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز -حفظه الله- وأطال عمره.

وكان الشيخ عبد الرازق عفيفي رحمه الله متواضعاً زاهداً في متاع الدنيا ومناصبها، لا يغشى منازل الوجهاء والأغنياء إلا إن دُعِيَ، وكان يتعفف إن حضر ولا يقول إلا ما يرضى ضميره، ولعل زهده هذا هو السبب في عزوفه عن إلقاء المحاضرات وحضورها.

وكان يبذل جاهه في خدمة الصالحين ومعونتهم، ولا يرد صاحب حاجة يستطيع أن يقضيها له.

كان يحج كلَّ عام منذ أن هاجر إلى المملكة. يُدرِّس في الحرم ويفتي الناس في شؤون دينهم ولاسيَّما في أمر المناسك. وله اقتراحات نافعة أُخذ ببعضها بالنسبة إلى الضحايا والهدْي. وقد حججتُ معه مرات، وأشهد أنه كان في المواقف ولاسيَّما في عرفات كثير التضرع، يدعو ربه ويجتهد في الدعاء والدموع تنهمر على لحيته ويسأل الله المغفرة والرضوان وإصلاح أحوال المسلمين ويطيل في ذلك. وقد حج في هذا الموسم الأخير على الرغم من ضعفه بسبب الشيخوخة وإصابته ببعض الأمراض.

كان يعرف للناس أقدارهم ولاسيَّما إن كانوا غرباء، وكان متواضعاً يكرم الصبيان والفتيان ولايدعوهم إلا بألقاب التكريم ويتودد إليهم. وقد رأيته يوم أن جاء الشيخ حسن حبنكه أحد كبار علماء بلاد الشام لزيارة مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم رأيته في قمة التواضع، إذ كان يؤثر الكثيرين في الجلوس في المقاعد المتقدمة مع أنَّه أجدر منهم بهذا التقديم. وكان حكيماً في تصرفاته يفرض احترامه على الآخرين مهما كان رأيهم فيه، فما يقدُم على تصرف يعرضه إلى الحرج أو الانتقاد.

وكان بعيداً عن المراء والجدل الذي لا طائل من ورائه، ولا يخوض في الموضوعات التي لها حساسية ويتركها للآخرين.

كانت له آراء خاصة في بعض المسائل العلمية لايذكرها إلا للخاصة من أصحابه، ولايسوؤه أن يكون هناك مَنْ يخالفه فيها، وإذا ذُكرت الآراء التي تخالفه أمامه لا ينفعل ولا يتشنج لأنها تخالفه بل يقول: لكلٍّ رأيه. وهذا خُلُق عظيم ما أحوج العلماء إليه. لماذا نمنع أن يكون للعالم المؤهل للاجتهاد والنظر آراء تخالفنا؟ إن الحق ليس مقصوراً على مذهب معين، ولا يحتكره ناس معيَّنون، وقد يدرك المتأخر أمراً لم ينتبه إليه المتقدم.

وكان صابراً، نزلت به كوارث شديدة فلم تُضعفه ولم تُخرجه عن اتزانه وخُلُقه: أُصيب في عام ١٣٧٦هـ بشلل نصفي وعافاه الله منه، وأصيب بعدد من الأمراض كان فيها نِعْم العبد الصابر، وقُتل ولده الكبير أحمد عاصم رحمه الله في حرب(١٣٩٣هـ-١٩٧٣م) التي قامت بين اليهود ومصر، فتلقَّى الخبر صابراً محتسباً، وكان في مجلسه يحمد الله ويُحدِّث الحاضرين وإذا أغلظ أحد المعزين في قول يجاوز به الحدَّ والشرع أنكر عليه وردَّه إلى الحق.

ثم تُوفي ولده الأصغر عبدالرحمن رحمه الله فكان كذلك في غاية الصبر والرضى بقضاء الله وقدره. ثم تُوفي ابنه عبدالله في ١٤١٣/٦/٣٠هـ فجأة في جدة، فكان أيضاً مثلاً في الصبر والاحتساب والتسليم.

سافرت زوجته مرة إلى مصر، وعندما أرادت أن تعود إلى الشيخ في الرياض مُنعت من العودة مدةً طويلة لمضايقة الشيخ وإيذائه، فصبر وصابر حتى أذن الله بالفرج وعادت إلى بيتها.

كان ذا روح خفيفة قلّما يخلو مجلسه من إلقاء نكتة مهذبة واقعية تُنشِّط السامع وتسرُّه وتؤدي غرَضاً توجيهياً. وكان بعيد النظر عميق الفكر، له جولات نقدية موجزة يدركها الواعي من جلسائه ولايُذكر في مجلسه أحد بسوء.

وكانت معرفته بالرجال المعاصرين من الأعلام معرفه دقيقة، وكان حكمه عليهم حُكماً سديداً، يعرف أوضاعهم الاجتماعية وعادات بيئاتهم ومدى تأثرهم بذلك كلّه. وكان كريماً كرماً أصيلاً لا يتكلف بريد المباهاة والمفاخرة، بل يُقدِّم ما يتيسّر وما كان يعده لنفسه، وكان بذلك قادراً على أن يقيم في كل يوم وليمة. وكان إذا عَلِم بمجيء عالم يعرفه دعاه إلى الطعام، وقد حضرتُ الكثير من هذه الولائم وبيته مفتوح كلّ ليلة للزائرين وطلاب العلم والمستفتين والذين يبغون الشفاعة في أمرٍ من أمورهم.

أما أسرته في مصر فهي أسرة كريمة في شنشور تُعد من أعيان البلد وأفاضلهم. وتُعرف بأسرة «النوبي»، وقد حدّثني رحمه الله عن والده وصفاته الكريمة حديثاً طويلاً. والشيخ هو عبدالرازق بن عفيفي بن عطية.

وقد تزوج سيدة فاضلة من أسرة كريمة من الإسكندرية هي أسرة سالم أنجب منها عدداً من البنين والبنات وهم المهندس الزراعي أحمد عاصم رحمه الله، والأستاذ محمد نبيل حفظه الله، والأستاذ محمود

حفظه الله، والأستاذ عبدالله رحمه الله، والأستاذ عبدالرحمن رحمه الله.

وأما البنات فثلاث، وقد أكرمه الله بأصهارٍ صالحين. وكان يهتم بتربية أولاده، فكانوا مثالاً في الاستقامة والبر، ولقد كان الأستاذ محمود منقطعاً لخدمة والده وضيوفه، فكان هو الذي يصحبه إلى الصلاة، ذلك لأن الشيخ في آخر حياته كان لا يقوى على المشي، فكان يستخدم كُرسياً طبيّاً، وما كان الشيخ -رحمه الله- يترك صلاة الجماعة في المسجد في وقتٍ من الأوقات الخمسة، وكان الأستاذ محمود -أحسن الله إليه- يجلس معه يقوم بخدمة والده وتقديم الضيافة للضيوف وتنفيذ أوامر الشيخ، وكان يلازمه إذا مرض لا يتركه.

إن حياة شيخنا المباركه تحتاج أن نكتب فيها مؤلفات، ولست أدَّعي أن هذه الكلمة قد وفَّت فقيدنا العظيم حقه من الترجمة، ولكنها كلمة وفاء وعرفان بالجميل رحمه الله وغفر له وأحسن جزاءه. فقد كانت حياته حافلة بالجد والنافع من الأعمال فلم يكن يشغل الشيخ عن العلم والعبادة ولقاء الناس وتعليمهم شيء مما يشغل الآخرين. فلم يكن الشيخ يسمع الإذاعة ولم يكن يرى التلفاز ولم يكن يُعنى بقراءة الجرائد. بل كان ينفق وقته كلَّه في قراءة القرآن ومطالعة مسائل العلم. ونحسب أنَّه كان ممن طال عمره وحسن عمله ولا نُزكي على الله أحداً.

رحم الله شيخنا عبدالرازق. وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله. وأحلَّه في الفردوس الأعلى من الجنات مع النبيِّين والصديقيِّين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً. وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

محمد بن لطفي الصباغ

هكذا عرفنا الشيخ عبدالرزاق عفيفي[1]

بقلم فضيلة الشيخ يوسف بن محمد المطلق

رحمةُ الله عليك أيها العالم الجليل الورع الصادق. لقد فُجعت الأمّة بفقدها لعالم جليل جعل حياته في سبيل الله تعالى تعليماً وإرشاداً وإفتاءً وإشرافاً، فلَقد عرفنا الشيخ عبدالرزاق عفيفي منذ أن تم له التوفيق بقدومه إلى المملكة كأستاذ شارك مع علمائنا الأفاضل ومنهم سماحة والدنا الشيخ عبدالعزيز ابن باز بارك الله في أوقاته وحياته. لقد كان الشيخ بدخوله إلى طلابه أثناء التعليم يشد انتباههم بحكمته في الإلقاء والتبسيط، حتى أصبح الطالب في مادته قلّما ينال أقل من المتوسط العلمي، وقد كان مثالاً للإخلاص والقدوة الحسنة في زهده وورعه وقد تخصص في علوم الدين، ولقد نما إلى علمي أنه يقرأ كثيراً ولا يبتُّ في الجواب إلا بعد تريث مع ما أعطاه الله من فطنة وسرعة البديهة، وكان رحمه الله كثيراً ما يُشجع للمزيد من العلم، ولم يكن ينظر إلى التسابق المادي، بل كان يشجع على العلم والدعوة وكان يخصص وقته بين إجابة السائل شخصياً أو تحريرياً، وما كان يسأم من السائلين، بل كان يبذل جهده حتى يفهم سائله، وكان رحمه الله مضيافاً للوافدين إليه، وبلغني من عبادته أنه كان أشد الناس حفاظاً على السُّنة والعمل بها.

---

(١) انظر مجلة الدعوة، العدد (١٤٥٨) الخميس الموافق ١٠/٤/١٤١٥هـ.

وكان يُحذِّر من البدع ودعوته دائما ترى فيها الحكمة والموعظة الحسنة، وإذا رأى أحداً متلبِّساً بمنكر في لباسه أو هيئته قام بنصح عام بالتلميح وضرب المثل، حتى لايدرك الحاضرون أنَّه يعني شخصاً بعينه، بينما المقصود بالنصيحة يدركها ويخرج شاكراً مستفيداً.

وعُرف الشيخ بالحياء والصمت إلا في حق. كان طلابه يهابونه حياءً ويقدرونه في أنفسهم، وإننا وطلابه الذين منهم الوزير والقاضي والداعية والأستاذ والإداري لا نقْدر على مكافأته إلا بخالص الدعاء الصالح، فبارك الله في ذريَّته وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء والإحسان. وإننا نرجو أن تنشر فتاواه الخاصة في سجل يستفاد منه. زيادة على فتاوى مشايخنا وعلمائنا وعلى رأسهم سماحة عالم الأُمّة الشيخ عبدالعزيز ابن باز.

«وانا لله وإنا اليه راجعون».

اللهم ألهم محبيه وطلابه وذريَّته وأهله الصبر والاحتساب.



أأعزي أم أهنئ[1]

(منال محمد الهلالي - جامعة الملك سعود)

تمضي الأيام والسنون ويمضي معها قطار العمر ليقف بنا في آخر محطاته لتبدأ حياة جديدة وعالم آخر. وهكذا انتهت رحلة اثنين وتسعين عاماً لرجل فاضل عابد سخَّر حياته كلّها للعلم والعمل والعبادة وترك وراءه الدنيا، إنه جدُّنا وأبونا وشيخنا وعالمنا ومربِّينا الشيخ عبدالرزاق عفيفي. الذي حطَّ به القطار في آخر محطاته ليقابل وجه الكريم سبحانه وتعالى.

إنتقل إلى رحمة الله الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ذلك العالم الذي لا أعلم إن كنت أحزن لفراقه أم أسعد لما عمله في دنياه ليجني ثمرته في الآخرة إن شاء الله في ١٤١٥/٣/٢٥هـ. لا أستطيع إلا أن أقول: إنها الحياة تبدأ وتنتهي ولكن المهم كيف تكون النهاية؟.

أُهنئك ياجدَّاه. أهنئك ياعالمنا. وأعزيك ياأمتنا الإسلامية برحيل فقيدنا، ذلك العالم الذي عاش حياته رمزاً للأب الحنون العطوف الصارم الصابر على ما ابتلي به من أمراض ووفاة ثلاثة من أبنائه في حياته. إنه الاختبار الإلهي ويا سعادة من فاز بهذا الاختبار. كان مثالاً للأمانة

(١) انظر مجلة اليمامة، العدد (١٣٢٨)، الأربعاء ١٤١٥/٥/٢١هـ.

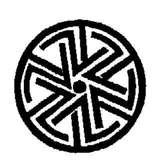
والإخلاص لله والأمانة والإخلاص في حياته وعمله، حتى إنه كان يذهب إلى عمله في آخر حياته، وحتّى في بعض الأيام التي لا يستطيع الذهاب إلى عمله بسبب سوء حالته الصحية كانت تأتي له أوراق الفتاوى إلى بيته ليجيب عليها.

كان رمزاً للزهد والورع والتقوى، كان لا يسعى للشهرة والمجد وكان ينفِّذ ما يقوله وما ينصح به الناس، ومن ذلك أنّه لم يدخل التليفزيون إلى بيته حتى وفاته.

وقد حصل رحمه الله على شهادة الدكتوراه في الشريعة، وكان مربِّياً وأستاذاً فاضلاً يعرف كيف يتعامل مع طلابه، وكيف يوصِّل لهم المعلومات بحيث تتناسب مع جميع القدرات.

وقد تقلَّد رحمه الله مناصب عديدة وكان كفؤاً لها منها التدريس بدار التوحيد بالطائف قبل تأسيس المعاهد العلمية والتدريس بكلية الشريعة بالرياض، تولى رئاسة المعهد العالي للقضاء بعد إنشائه. حيث كان رحمه الله من أوائل مؤسسي هذا المعهد، عضواً سابقاً بهيئة كبار العلماء، كان رئيساً لجماعة أنصار السُّنة المحدية بمصر.

فرحم الله عالمنا وفقيدنا وأسكنه فسيح جناته وألحقنا به إن شاء الله.



الشيخ عبد الرزاق عفيفي..
مصباح علم..خبأ نوره[1]

فُجعت الأوساط العلمية في العالم الإسلامي بوفاة أحد العلماء الأجلاء بذل حياته في سبيل الدعوة والعلم والتعليم والإفتاء، إنه العالم الجهبذ، صاحب الفضيلة: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ذلك العالم الذي تخرج على يديه علماء أجلاء يتبوؤن الآن مناصب في الإفتاء والتعليم والقضاء والدعوة داخل المملكة وخارجها. والشيخ -لاشك- يعرفه كل طالب علم فضلاً عن العلماء.

هو صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية. ولد في قرية (شنشور) التابعة لمركز (أشمون) بمحافظة المنوفية بمصر عام ١٣٢٣هـ. ودرس في قريته حتى أنهى المرحلة الثانوية، ثم انتقل إلى الأزهر بالقاهرة فدرس في القسم العالي حيث منح منه الشهادة العالمية عام ١٣٥١هـ. ثم درس في مرحلة التخصص في شعبة الفقه وأصوله.

وبعد تخرجه درَّس في المعاهد التابعة للأزهر.. ثم في عام ١٣٦٨هـ ذهبت بعثة تابعة لمديرية المعارف برئاسة الشيخ محمد بن مانع -رحمه الله- للتعاقد مع بعض المدرسين للتدريس في المدارس السعودية

---

(١) المجلة العربية، عدد جمادى الأولى ١٤١٥هـ.

التي افتتحت لتوها آنذاك فكان صاحب الفضيلة عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله- أحد أوائل من تم التعاقد معه وما ذلك إلا للسمعة الطيبة التي عُرف بها الشيخ، فقد كان داعية من أبرز دعاة أنصار السُّنة المحمدية هناك، مدافعاً عن عقيدة السلف الصالح، محارباً للبدع.

وقدم رحمه الله إلى هذه البلاد مع عدد من المشايخ الفضلاء منهم: الشيخ محمد حسين الذهبي صاحب كتاب «التفسير والمفسرون». والشيخ عبد المنعم النمر -عليهما رحمة الله- والشيخ يوسف الضبع أستاذ اللغة العربية في جامعة أم القرى (سابقًا).

وكانت أول مدرسة درَّس فيها هي دار التوحيد بالطائف وقد أستمر فيها سنتين، إلى أن فُتح معهد عنيزة العلمي فانتقل إليه عام ١٣٧٠هـ في شهر محرم، ثم لما كان في شهر شوال من العام نفسه انتقل إلى المعاهد العلمية بالرياض إلى أن افتتحت كلية الشريعة فنُقل إليها ودرّس مادة العقيدة فيها وفي كلية اللغة العربية وهكذا ظل يدرّس فيها حتى أُنشئ المعهد العالي للقضاء ١٣٨٥هـ. فكان أوّل مديرٍ له، يشرف عليه ويلقي فيه محاضرات ودروساً ويشرف -كذلك- علي بعض الرسائل العلمية التي يتقدم بها طلاب المعهد.

ثم في عام ١٣٩١هـ انتقل إلى الرئاسة العامة للإفتاء حيث عُين نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء التي تم تشكيلها برئاسة فضيلة الشيخ «إبراهيم بن محمد بن إبراهيم» -حفظه الله- ثم برئاسة سماحة الشيخ «إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الله بن باز» المفتي الحالي للمملكة -حفظه الله- وأمد في عمره، ونفع به الإسلام والمسلمين وفي الوقت نفسه كان عضواً في هيئة كبار العلماء وإضافة إلى ذلك كان يشرف على كثير من الرسائل الجامعية.

وكانت للشيخ -تغمده الله برحمته- محاضرات ودروس متنوعة في مدينة الرياض استفاد منها كثير من الطلبة. وفي السنوات الأخيرة أحس الشيخ بحاجته إلى الراحة نظراً لتقدمه في السن فاكتفى بالفتوى مع بقائه نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للإفتاء، وعضواً في هيئة كبار العلماء حتى وافاه أجله في صباح يوم الخميس ١٤١٥/٣/٢٥هـ. بمدينة الرياض بعد أن اشتد عليه مرض لازمه مدة وأضعف بدنه- عليه رحمة الله.

لقد كان الشيخ يتميز بمواهب فذة قَلَّ مَن يتميز بها، من قوة الحافظة وسرعة البديهة والتأني في الإفتاء وسعة الإطلاع والبحث، حتى قال بعض من ترجم له: (إذا تحدث في علم من العلوم ظن السامع أنه تخصصه).

كان يتميز -رحمه الله- بطيب المعشر ونقاء الصدر والزهد في الدنيا ومباهجها وكان جليسه يستفيد منه عِلماً وعَمَلاً وأدباً وخلقًا.

وبموته -رحمه الله- إنطفأ مصباح من مصابيح العلم.. فخسرت به الأُمّة الإسلامية عالماً فذّاً ألمعياً ورعاً زاهدًا، و: «إن الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء».

فإنا لله وإنا إليه راجعون. ورحم الله الشيخ عبد الرزاق وألهم أهله وذويه الصبر واليقين، وجزاه عن الأُمّة لقاء ما عمل وقدَّم من علم.. أفضل الجزاء.. وعوضها خيرًا.

عبد الله الشهراني

قصة حياة وجهاد[1]

تُوفي إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس ٢٤ ربيع الأول ١٤١٥هـ. الموافق أول سبتمبر ١٩٩٤م. الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية، أول وكيل لجماعة أنصار السُّنة المحمدية، وثاني رؤسائها بعد رحيل مؤسِّسها الأوَّل الشيخ محمد حامد الفقي، ولقد عاصر الشيخ -يرحمه الله- تأسيس الجماعة، وكان من أبرز كُتَّاب مجلة «الهدي النبوي» التي صدر عددها الأول في ربيع الآخر لسنة ١٣٥٦هـ.

وإذا كان الشيخ يرحمه الله من مواليد عام (١٣٢٣هـ-١٩٠٤م). وقد تخرَّج في الأزهر الشريف ومنح الشهادة العالمية عام (١٣٥١هـ-١٩٣٢م)، ثم مُنح شهادة التخصص في الفقه وأصوله، وعمل مدرساً بالأزهر الشريف، ومع ذلك فهو لم ينقطع عن النشاط البارز في جماعة أنصار السُّنة المحمدية حتى كان العدد الأول من المجلة، حيث حرَّر فيها مقالين يستطيع القارئ أن يلمس في الشيخ -يرحمه الله- وهو لا يزال بعد شاباً في الثالثة والثلاثين من عمره يتمتع بالنظر الثاقب والفهم الدقيق والأسلوب المُعبِّر، وهذه كلمات يوصف بها علماء السلف من هذه الأُمّة وإنِّي لأرجو أن تكون هذه الكلمات وصفاً له -يرحمه الله.

(١) المسلمون العدد ٥٠٣، الجمعة ١٨ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، ومجلة التوحيد عدد شهر ربيع الآخر سنة ١٤١٥هـ.

قال- يرحمه الله:

فالعالم منهم يجد نفسه - وقد أنعم الله عليه بنعمة العلم وعَهِد إليه أن يبلِّغه للناس- مضطراً إلى القيام بهذا العبء فلا يعتريه في نشر الثقافة الدينية والمبادئ الإسلامية فتور ولا خور، ولا يُقعده عن البلاغ رغبة ولا رهبة ولا خوف من سلطان، لأن القلب الذي أُشرب حلاوة الإيمان يكتسب قوة روحية وحصانة دينية ونوراً ربانياً فلا يجد أحد إلى إغوائه سبيلاً، فمهما جاهد الشيطان هذا المخلص فلن يتاح له أن يوهن عزيمته أو يمس عقيدته، وإن قلباً قد صُبغ بصبغة الله وتشبَّع بتعاليم الإسلام حتى ملكت سويداءه، ليأبى أن يخضع لسلطة قاهر أو يرهب بطش جبار في الجهر بكلمة الحق بعدما خضع لسلطان ربِّه، واشتد خوفه منه وعلم أنه ملِكٌ قهّار جبّار، بيده نواصي العباد. وإنَّ ذلك ليخلق منه سيفاً مُسلَّطاً وناراً متأججة يقذف بها مَن عادى الله وبارزه بعصيان، لايخاف في الله لومة لائم. كان العلماء بذلك قوامين على الدين حفظًا، ونشراً وبلاغاً ونصيحةً وإرشادًا، وكانوا خير قدوةٍ للناس ومُثُلاً عليا في إصابة الحق وتأييده، وكشف الباطل وإزهاقه قولاً وعملاً. يقصدهم الناس ليكشفوا لهم وجه الصواب، بما ورثوه عن نبيِّهم ﷺ. فيجدوا لديهم ما يروي ظمأهم ويزيل شبهتهم ويزيد يقينهم وإيمانهم وتعلقهم بشريعة سيد المرسلين (انتهى- من العدد الأول للهدي النبوي).

وفي مقدمة كتاب «الفتاوى» الذي نشرته الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، وصَفَه الشيخ أحمد الدويش بقوله:

وقد رزقه الله مواهب من قوة الحافظة والملاحظة وفقه النفس، وكرس جهوده لطلب العلم خارج أروقة الأزهر، وعُني بعلوم اللغة والتفسير والأصول والعقائد والسُّنة والفقه، حتى أصبح إذا تحدث في علم من هذه

العلوم ظن السامع أنه تخصصه الذي شُغل فيه كامل وقته، وقد كان له عناية خاصة في دراسة أحوال الفرق، وهذه الأمور جعلت طلاب العلم يقصدونه في كلٍّ وقت ويسمعون منه، وانتفع بعلمه خلقٌ كثير ويشرف على رسائل بعض الدارسين في الدراسات العليا، ويشترك مع لجان مناقشة بعض الرسائل، ويُلقي بعض الدروس في المسجد لطلبة العلم حسبما يتيسر، ويُلقي المحاضرات ويشارك في أعمال التوعية في موسم الحج.

هذا ولقد عَرفَ معاصرو الشيخ عنه أنه كان غني النفس، بعيداً عن حب الظهور منكراً لذاته، وكان ينفق راتبه أوّل كلٍّ شهر على الفقراء من المسلمين، لقد أسكن في بيته رجلاً من المسلمين لمدة خمسة وعشرين عاماً دون أجر يتقاضاه. وكان الملك عبد العزيز إذا أقام حفلاً يُكرِّم فيه العلماء ودَعى إليه الشيخ وغيره من العلماء فإن الشيخ يعتذر عن حضور الحفل حُبّاً في التستر ورغبة في أن يبقي ما بينه وبين الله لا يطلع عليه العباد.

وكان للشيخ يرحمه الله أيام الملك عبد العزيز درس كل يوم أربعاء، وكان الملك يحضره، وكان الشيخ يستخدم هذا الدرس في النصح الطيب للملك ويسعد الملك بذلك.

ولقد عمل الشيخ -يرحمه الله تعالى- مدرساً بالأزهر الشريف منذ تخرجه ثم أُنتدب للعمل بالمملكة العربية السعودية منذ عام(١٣٦٨هـ-١٩٥٠هـ)، وقد قام على أكتافه هو والشيخ محمد علي عبد الرحيم -يرحمه الله- مهمة تأسيس المعاهد العلمية بالمملكة، ثم شارك في تأسيس كلية الشريعة واللغة العربية بالرياض، ثم رأس المعهد العالي للقضاء، فلما تأسست هيئة كبار العلماء كان واحداً من علمائها، هذا وقد لمع اسم الشيخ -يرحمه الله- من قبلُ حيث كان ضمن أوّل هيئة لكبار العلماء

بجماعة أنصار السُّنة المحمدية مع جمْع من العلماء المبرِّزين والشيوخ الكبار مثل: الشيخ أحمد شاكر والشيخ عبد الحليم الرمالي، والشيخ محمد حامد الفقي، وغيرهم من الكبار، وكان الشيخ عبد الرزاق لايزال بعد شاباً في الثلاثين من عمره.

ولقد تميز الشيخ -يرحمه الله تعالى- بسعة علمه، ومقدرته على الفهم الدقيق والاستنباط الواعي والتمييز المستبصر والالتزام بمنهج السلف الصالح النابع من القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة.

وقد كان الشيخ بالغ المعرفة بالفِرَق الضالة وأقوالها وبدعها، وقد استفاد منه تلامذته في ذلك فوائد جمة، ولقد كان الشيخ -يرحمه الله- نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية منذ تأسست عام ١٣٩١هـ، وظل نائباً لها حتى تُوفي -يرحمه الله- أي عمل بها قرابة أربعة وعشرين عاماً أصدرت اللجنة خلالها أبحاثاً قيّمة في شتى القضايا الإسلامية تبلغ المئات.

وأصدرت الفتاوى التي تعد بالآلاف بل بعشرات الآلاف، وقد كان الشيخ -يرحمه الله- مثالاً يُحتذى في الفتاوى دقة والتزاماً، فلقد جالسته سائلاً مستفتياً كثيراً في مواسم الحج لأعوام متعددة، فكان يختار من الألفاظ المعبرة، ولقد كان بالغ العناية باحترام أقوال إخوانه العلماء، فإذا صدرت الفتوى في مسألة وله رأي مخالف وسأله أحد عن هذه الفتوى أفتى بقول جماعة العلماء ولو لم يكن هو رأيه بل وجدته يحبس رأيه عن المستفتين إذا وجد أنَّ هذا الرأي قد يُحدث بينهم شقاقًا، ولايبرزه إلا لطلبة العلم الذين يعرفون الأدب عند الاختلاف وتوقير العلماء، وذلك هو شأن السلف الصالح، كقول علي بن طالب رضي الله عنه: (حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

ولقد كان الشيخ - يرحمه الله - وفي كبر سنه، مُنظَّماً في عمله، محافظاً على وقته بين الدرس والتدريس ومراجعة الرسائل العلمية، وإعداد الأبحاث وتسطير الفتاوى، لا تراه إلا في عمل مثمر نافع، ولقد نفع الله بجهده فصار تلامذته من كبار العلماء والمعايشين له من الفقهاء، فلقد كان الشيخ محمد علي عبد الرحيم -يرحمه الله- وهو أسن منه يراه شيخاً له وأُستاذاً مُعلِّماً، والشيخ -يرحمه الله- قد رزقه الله صبراً جميلاً، فقد ابتلاه الله ببلايا عظيمة فكان صابراً محتسباً، من ذلك أنْ مات ولده أحمد في حرب رمضان المبارك ضد العدو الصهيوني، ثم مات ولده عبد الرحمن، ثم مات ولده عبد الله في حياته -أيضاً- كل ذلك والشيخ صابر محتسب، فالله نسألُ أن يحشره في زمرة الصابرين المحتسبين وقد أصيب الشيخ - يرحمه الله- بمرض لازمه أكثر من ربع قرن، وأشتد به المرض في السنوات الأخيرة، ولم يمنعه ذلك من ممارسة عمله وانتقاله إلى مقر عمله ومكتبه، والجلوس للإفتاء والبحث، بل والصلاة في الجماعة في المساجد، وقد تُوفي الشيخ -يرحمه الله- عن عمرٍ يناهز التسعين كانت سنوات جهاد ودعوة وعمل صالح، وقد عاصره من العلماء الأفاضل الأجلاء في مصر: الشيخ محمد حامد الفقي - والشيخ أحمد شاكر، والشيخ عمر عبد الحليم الرمالي، والشيخ محمد علي عبد الرحيم، والشيخ عبد العزيز بن راشد، وفي المملكة العربية السعودية: الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي ومدير دار الحديث، والشيخ عبد الرزاق حمزه، والشيخ محمد إبراهيم آل شيخ.

محمد صفوت نور الدِّين

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

جمهورية مصر العربية

رحم الله الشيخ عبد الرزاق عفيفي[1]

في يوم الخميس الموافق ١٤١٥/٣/٢٥هـ فقدت المملكة والأمة الإسلامية عالماً من علمائها الأجلاء هو الشيخ عبد الرزاق عفيفي: عضو هيئة كبار العلماء ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ومدير المعهد العالي للقضاء سابقاً.

وبرحيله إلى الدار الآخرة فقدت الأُمّة الإسلامية علماً بارزاً من أعلامها النيِّرة، فلم يكن يرحمه الله عالماً متمكناً من العلوم الدينية فحسب، بل كان يتصف بسجايا وخصال قَلَّ أن تجتمع في غيره، فقد كان يتمتع بسعة الصدر والأناة والحلم في المحاورة والمناقشة والمجادلة بالتي هي أحسن، والقدرة على الإقناع وتقريب الأمور إلى أذهان محدثيه وطلبته وسائليه من طلاب العلم والمعرفة، والمقدرة على إيصال المعلومات وترسيخها في أذهانهم بعيداً عن التزمت والتكلف والتشدد.

كان يتميَّز -يرحمه الله- بطيب المعشر والزهد في الدنيا والبعد عن مباهجها ومظاهرها، وبالتواضع واحترام وتقدير غيره مهما كانت منزلته، وقد حببه ذلك لكل مَنْ عرفه أو جالسه أو درس على يديه ونهل من مناهل علمه الغزير.

---

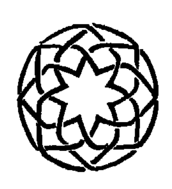
(١) انظر جريدة الرياض غرة ربيع الآخر ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤/٩/٦م.

وكان الفقيد قبل قدومه إلى المملكة للتدريس بها منتدباً في عام ١٣٦٨هـ قد أمضى النصف الأول من حياته في الدعوة إلى الله حيث أسّس مع رفاقٍ له منهم فضيلة المرحوم الشيخ عبد العزيز الراشد - يرحمه الله- رفيق دربه وكفاحه بجماعة أنصار السنة في مصر حيث تحملوا في سبيل نشر الدعوة وإخلاص العبادات لله المشاق وركبوا الصعاب وواجهوا الاضطهاد والمقاومة حتى تحقق لهم ما سوف يجزيهم الله عنه خير الجزاء.

إنَّ من حق الشيخ عبد الرزاق عفيفي على طلبته الذين تتلمذوا على يديه ونهلوا من معرفته وعلمه، أن يقوموا بجمع تراثه العلمي ومؤلفاته ورسائله وفتاواه وسيرته، ليستفيد منها كلّ طالب علم لأنَّه - رحمه الله- كان يتصف حتى بالزهد عن طباعة المؤلفات.

إن وفاة مثل هذا العالم الجليل ستترك فراغاً كبيراً لن يملؤه إلاَّ بقاء علمه وفكره وذكره. رحمه الله رحمة واسعة وعوّض الأُمّة الإسلامية عن فقده خيرًا.

محمد بن عبد الله الشريف
عضو مجلس الشورى



لله دُرك مِن عالم[1]

بقلم الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الشثري
عضو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في يوم الخميس ٢٥ ربيع أول عام ١٤١٥هـ ودَّعت المملكة العربية السعودية عالماً من علمائها البررة الربانيين، قدّم لدينه كلّ عمره ولأمته عصارة فكره عبر الفتاوى الكثيرة، حيث كان نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الشيخ العلامة عبدالرزاق بن عفيفي بن عطية، لقد عرفته الأُمّة بحلمه الجم وعلمه الواسع، وتتلمذ على يديه العشرات من طلاب العلم وهم يكنون له كل احترام وتقدير، ويدعون له بالمغفرة والرضوان، وفقْد العلماء رزيّة من الرزايا التي يصدق فيها قول القائل:

تـعـلّـم مـا الـرزيّـة فـقـد مـال ... ولا شـاة تـمـوت ولا بـعـير
ولـكـن الـرزيـة فـقـد حـر ... يـمـوت بـمـوتـه خـلـق كـثـير

ومصيبتنا فيه ليست كمصيبتنا في غيره

فـمـا كـان هُـلْكه هُـلـكَ واحـدٍ ... ولـكـنـه بـنـيـان قـوم تـصـدعـا

وقال ابن القيم -رحمه الله- في فقد العلماء ومنزلتهم: (ومن هذا

---

(١) انظر مجلة المجتمع العدد (١١١٩) وتاريخ ٢٨ ربيع الآخر ١٤١٥هـ.

الأثر المروي إذا كان يوم القيامه يقول الله للعابد: ادخل الجنة فإنما كانت منفعتك لنفسك، ويقال للعالم: اشفع تشفع فإنما كانت منفعتك للناس، وأيضاً فالدِّين قوامه وزينتة وإضاءته بعلمائه وعبّاده، فإذا ذهب علماؤه وعبّاده ذهب الدِّين، كما أن السماء إضاءتها وزينتها بقمرها وكواكبها، فإذا خُسِف قمرها، وانتثرت كواكبها أتاها وعد الله، وفضل علماء الدين على العُباد كفضل ما بين القمر والكواكب).

وفيما يلي نبذة مختصرة عن سيرة الشيخ عبدالرزاق عفيفي.. فقد وُلد بقرية شنشور التابعة لمركز أشمون محافظة المنوفية عام ١٣٢٣هـ.

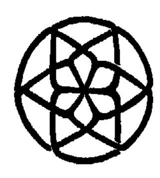
دراسته: درس المرحلة الابتدائية ثم المرحلة الثانوية ثم مرحلة القسم العالي وبإتمامه دراستها اختير ومنح الشهادة العالمية عام ١٣٥١هـ، ثم درس مرحلة التخصص في شعبة الفقه وأصوله ومنح شهادة التخصص في الفقه وأصوله بعد الاختبار، كل هذه الدراسة في الأزهر بالقاهرة.

عمله: عُين مدرساً بالمعاهد العلمية التابعة للأزهر فدرَّس بها سنوات ثم ندب للعمل بالمملكة العربية السعودية للتدريس بالمعارف السعودية عام ١٣٦٨هـ، ثم عمل مدرساً بدار التوحيد بالطائف ثم نقل منها بعد سنتين إلى معهد عنيزة العلمي في شهر محرم عام ١٣٧٠هـ ثم نقل إلى الرياض في آخر شهر شوال عام ١٣٧٠هـ للتدريس بالمعاهد العلمية التابعة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم نُقل للتدريس بكليتي الشريعة واللغة العربية ثم جُعل مديراً للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥هـ، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء عام ١٣٩١هـ وعين بها نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء مع كونه عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة.

وقد رزقه الله مواهب من قوة الحافظة والملاحظة وفقه النفس، وكرّس جهده لطلب العلم خارج أروقة الأزهر، وعُني بعلوم اللغة والتفسير والأصول والعقائد والسُّنة والفقه ،حتى أصبح إذا تحدث في علم من هذه العلوم ظن السامع أنّه تخصصه الذي شغل فيه كامل وقته، وقد كان له عناية خاصة في دراسة أحوال الفرق وهذه الأمور جعلت طلاب العلم يقصدونه في كل وقت ويسمعون منه، وانتفع بعلمه خلْق كثير، وقد شارك في أعمال التوعية في مواسم الحج وكان رحمه الله يشرف على رسائل بعض الدارسين في الدراسات العليا، كما كان يشترك مع لجان مناقشة بعض الرسائل ويلقي بعض الدروس في المساجد لطلبة العلم، (هذه الترجمة من كتاب فتاوى اللجنة الدائمة مقدمة المجلد الأول).

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، ونفع الله بذريته وعِلْمه.

إبراهيم بن عبد العزيز الشثري
عضو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرياض



فضيلة العلامة العفيفي في سطور[1]

محمد بن سعد السعيد

لقد فُجع العالم الإسلامي برحيل عالمٍ جليل، من كبار العلماء وفقهاء الأُمّة، ألا وهو فضيلة العلامة الشيخ عبدالرزاق بن عفيفي بن عطية (سعودي الجنسية) عن عمر يناهز الثانية والتسعين سنة (٩٢ سنة) قضاها مجاهداً في سبيل الدعوة إلى الله وطلب العلم وتعليمه. وهذه سُنَّة الله في خلْقه، ولعلّنا في هذا المقال نُلْقي الضوء على شيءٍ من سيرته الذاتية والعلمية نظراً لأهميته ومكانته العلمية رحمه الله.

نشأته وطلبه للعلم:

وُلد رحمه الله بمصر سنة ١٣٢٣هـ في محافظة المنوفية (في شنشور بأشمون) وقد حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب قبل دخوله الأزهر، وبعد الدراسة الثانوية درس القسم العالي ومُنح الشهادة العالمية سنة ١٣٥١هـ ثم مُنح شهادة التخص في الفقه وأصوله من الأزهر بالقاهرة.

مواهبه وسجاياه:

حباه الله قوة الحافظة والدِّقة في الفهم وسرعة البديهة، وحصافة الرأي واتسم بالورع والزهد والتواضع ولين الجانب، وكان كثير

---

(١) انظر جريدة الجزيرة العدد (٨٠٠١٤) وتاريخ الاثنين ١٤١٥/٣/٢٩هـ.

الصمت قليل الكلام إلا فيما ترجَّحت فائدته ومصلحته وعُرف بشدة متابعته لسلف الأُمّة الصالح. وقد أخذ ينهل من شتَّى العلوم النافعة في الأزهر وخارجه، واهتم منذ نعومة أظفاره بالفقه والتفسير واللغة والسُّنة والأصول والعقائد وشتى المذاهب والنحل حتى صار إماماً في كلِّ عِلْم من هذه العلوم لغزارة علمه وسعة إطلاعه مما جعل طلبة العلم يتوافدون عليه لينتفعوا من علمه ويستفتوه، إلى جانب الفتاوى اليومية التي يجيب عليها عبر الهاتف وفي موقع عمله، ومن خلال المشاركة في لجان التوعية والإرشاد في مواسم الحج، وقد أشرف على العديد من رسائل الدارسين بالدراسات العليا، كما شارك في لجان مناقشة بعض الرسائل وإلقاء العديد من المحاضرات والندوات والكلمات، ولقد تتلمذ على يده العديد من علماء ومشايخ المملكة.

حياته العلمية:

قام بالتدريس في المعاهد العلمية التي يشرف عليها الأزهر وفي سنة ١٣٦٨هـ قدم إلى السعودية ليكون مدرساً بالمعارف بعنيزة في سنة ١٣٧٠هـ وفي نهاية شوال من السنة نفسها نقل ليكون مدرساً بالمعاهد العلمية بالرياض.

ثم اختير للتدريس في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية وفي سنة ١٣٨٥هـ رُشِّح لإدارة المعهد العالي للقضاء، وفي سنة ١٣٩١هـ تم نقله إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميةوالإفتاء والدعوة والإرشاد ثم اختيرعضواً في مجلس هيئة كبار العلماء مع كونه نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

مؤلفاته:

من ضمن مؤلفاته «مذكرة التوحيد»، وحاشية على كتاب «الإحكام في أصول الأحكام»، وحاشية على الجزء المقرر دراسته في المعاهد العلمية من «تفسير الجلالين»، وبحوث قيِّمة ضمن بحوث اللجنة الدائمة، وله مذكرات ورسائل وبحوث عديدة لم تطبع حيث كان رحمه الله لايهتم بكثرة التأليف والطبع نظراً لتواضعه الشديد، ولعدم رغبته في الظهور والبروز، ولأن الساحة مليئة بالمؤلفات والمطبوعات مما جعله مغموراً عند كثيرٍ من الناس، لايعرفه إلا أهل بضاعته من المشايخ والعلماء وطلبة العلم.

أبناؤه:

رُزق الشيخ خمسة أولاد هم: أحمد وعبدالله وعبدالرحمن وهؤلاء قد تُوفّوا قبله رحمهم الله، ومحمد ومحمود ومن البنات ثلاثاً بارك الله في الجميع وسدَّد خُطاهم.

حالته الصحية:

لقد كان رحمه الله يعاني من صداع شديد منذ أن كان عمره سبع سنوات وقد أصيب في عام ١٣٧٦هـ بشلل نصفي وشفاه الله منه، وقد أُجري له قبل خمس سنوات تقريباً عملية في البروستات وعملية في العين بسبب انفصال في الشبكية.

ومنذ فترة طويلة وهو مبتلى بأمراض عدة كالتهاب المسالك البولية وتعطل إحدى الكليتين وضعف الأخرى، والضغط والسكر ومع ذلك نراه صابراً محتسباً ولم يثنه ذلك عن طلب العلم وتعليمه، والعناية به وإفادة الناس وتوجيههم وإرشادهم إلى آخر أيام حياته.

مرضه ووفاته:

أدخل المستشفى العسكري بالرياض الساعة الواحدة بعد الظهر من يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٥/٣/١٦هـ في قسم العناية المركّزة ثم أُخرج من ذلك القسم في يوم الأحد ١٤١٥/٣/٢١هـ وهو يعاني من ألم شديد في الكبد وضعف في الكلي ووجود سوائل في الرئتين وهبوط في ضربات القلب، وظلّ بالمستشفى حتى وافاه الأجل المحتوم في يوم الخميس ٢٥/ ١٤١٥/٣هـ في حوالي الساعة السابعة صباحاً، ثم صُلّي على جنازته عقب صلاة الجمعة ١٤١٥/٣/٢٦هـ في الجامع الكبير بالرياض وقد صَلّى عليه خلْق كثير لايُحصى، وقد ازدحمت المواقف وكذلك الشوارع المؤدية إلى المقبرة بالسيارات خصوصاً بعد ما انطلق الناس بسياراتهم للمقبرة ومن المشّيعين مَنْ ذهب إلى المقبرة مشياً على الأقدام خوفاً من الزحام، حيث حضر دفنه بمقبرة العود بالرياض عدد هائل من البشر، غالبيتهم من المشايخ والعلماء وطلبة العلم وتلامذة الفقيد يغمرهم الحزن على فراقه داعين له بالمغفرة والرحمة.

وهذا الجمع الغفير من مُشيِّعيه يدل دلالة واضحة على محبتهم له وإن العالم الإسلامي فِعلاً قد فقد عالماً جليلاً وشيخاً فاضلاً وعَلَماً من أعلام الأمة، قدّس الله روحه، ونور ضريحه، ورحمه وغفر له وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته وجبر الله مصيبتنا ومصيبة أهله فيه ورزقنا وإيّاهم الصبر والسلوان وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

محمد بن سعد السعيد
إمام وخطيب جامع سلطانه الشرقي بالرياض

الشيخ عفيفي وتواضع العلماء[1]

(بقلم د.مهندس حبيب مصطفى زين العابدين)

إذا مات نجم من نجوم الطرب والغناء، أو ممثل من ممثلي السينما والأفلام قامت الدنيا وما قعدت، ويتوفَّى الله رجلاً صالحاً مُصلِحاً جاهد وعمل في سبيل الله ورفعة المسلمين وأثّر في حياتهم أيما تأثير، ويغيب عنهم وقَلَّ أنْ يُذكر فيهم كما يذكر أهل الطرب أو أهل الأفلام.

وقبل أيام توفى الله رجلاً من أهل العلم والتقوى والحياة المثمرة في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله. مات الشيخ عبدالرزاق عفيفي عن عمر يناهز التسعين بعد حياة مليئة بالعمل الصالح، قضاها بين مصر والسعودية، وحظي -بفضل الله- بمحبة الناس في كِلا البلدين، ووجدت أنه من المناسب، بل من الواجب عليَّ وعلى غيري ممن يستطيعون الكتابة، أن يُسهموا ببيان فضل مثل هؤلاء الناس على مجتمعاتهم ودورهم في الحفاظ على دين هذه الأمّة وأخلاقها ومُثُلِها. أكتب اليوم عن بعض جوانب حياة الشيخ عبدالرزاق عفيفي التي عرفتها كتلميذ له واكتشفتها من خلال لقاءات علمية عديدة جمعتني به، لقد كان -يرحمه الله- رحب الصدر، عميق الفكر، واسع المدارك عالماً بعصره وما يدور فيه، ولهذا كانت فتاواه وإجاباته على أسئلة تلاميذه أقرب للواقع

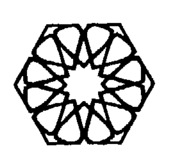
(١) انظر جريدة المسلمون العدد (٥٠٢) الجمعة ١١ ربيع الآخر ١٤١٥هـ وتاريخ ١٦/٨/١٩٩٤م.

والعصر الذي نعيشه، وكان يستشيره عدد من كبار علمائنا الأفاضل ويأخذون برأيه في المسائل المختلفة، وخاصة تلك التي تمس التجارب والخبرات والمسائل التي تتعلق بما ظهر في عصرنا وعالمنا من أمور حديثة ففي جلسة حوار دارت حول تطبيق النظام الإقتصادي الإسلامي بينه وبين عدد من خبراء الإقتصاد الذين ينشدون السعي لتطوير النظام الإقتصادي الإسلامي، سئل الشيخ عبدالرزاق عفيفي عن إمكانات عديدة تسمح بالتدرج في تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي وعدم التشديد والتضييق أول الأمر فأجاب -يرحمه الله- بقوله: يجب ألا نكتفي بالأسئلة النظرية التي ليس لها أي مردود عملي. وأردف قائلا: لقد درسنا كثيراً من الأمور النظرية، بل قدَّمنا فيها الفتوى المناسبة بهدف أن نجد التطبيق العملي لها. وإذا بها تتعثر لعدم وجود الدعم الكافي لها، أو أن الكثير تخطاها بفتاوى تجاوزت الحدود الإسلامية المقبولة.

وذهبتُ مرة أستفتي أحد كبار العلماء الأفاضل في مسألة خاصة وأستدعتْ الفتوى أن أُراجع العالم الفاضل وأستوضح بعض جوانب فتواه، ولم يزد ذلك عن سؤالين أو ثلاثة، وبُهِتُّ عندما هب هذا العالم واقفاً وأقفل الحديث وخرج من المجلس. ذهبت بعدها مباشرة إلى الشيخ عبدالرزاق عفيفي وهو مريض على فراشه في غرفة نومه فأحسن استقبالي وأحضر لي الشاي وحاورته في مسألتي حتى اتضحت لي الأمور وغادرت بيته معجباً بعلمه ورحابة صدره وصبره، وتمثلتُ فيه العالم القدوة، ودعوتُ له الله دعوات حارة صادرة من أعماق قلبي.. ويكفي الشيخ فضلاً أنْ يذكر عنه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً أنه ما من طالبٍ درس في الجامعة أو أستاذ عمل بها إلا ويعد من تلامذة الشيخ.

هذا قليل من كثير مما عُرف عن شيخنا عبدالرزاق، ولعل غيري ممن هم أُلصق بالشيخ أو أكثر معرفة به أن يدْلوا بدلوهم في بيان فضله وآثاره في خدمة هذه الأُمّة المسلمة ودينها.

واللهَ نسألُ له الرحمة والغفران والدرجات العلى من الجنة ولذويه وتلامذته الصبر والسلوان.



شيخنا العلأمة، الشيخ عبد الرزاق عفيفي

إن نبأ وفاة أستاذي وشيخي، الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- الذي التقيت به في الأسكندرية واستفدت من علمه بل ومن كفاحه هو وصديقه الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي رحمهما الله، كان صدمة مذهلة لي، ولكن هذا قضاء الله وقدره، بل وسُنَّة الله في خلْقه، وبعد أن أفقت من تلك الصدمة كان عليّ واجباً لا بد أن أُوفِّيه لشيخنا، وأنا على ثقة أنني مهما كتبت فلن يسعفني البيان ولا تعبير اللسان، ومهما دوّنت من مجلدات فلن أوفيه جزءاً من حقه فهو ابن تيمية عصره، وإن شئت فقل إنه -رحمه الله- وابن القيم الجوزية توأمان، ويكفي أن نعلم بأن الشيخ جاء في جاهلية أشد وطأة بل وأضل من الجاهلية الأولى، ولقد انتابه الكثير من آثار تلك الجاهلية فصبر وزهد وهاجر، وكان عفيفاً إسماً على مسمىً وإنه ليسعدني ويشرفني أن أسجل ما علق بذاكرتي من تاريخ هذا العالم الجليل وهذا العفيفي الزاهد التقي الورع، حيث إنني شرفت بمقابلته وأخذ العلم عنه في مصر فضلاً عن مقابلاتي له بهذه المملكة الميمونة الذي استفاد جُلّ طلاب العلم بها من هذا العالم الفذ من علمه ووعظه وتدريسه بل ومن خُلُقه وحكمته بل ومن زهده وسلوكه.

من أعماله وكفاحه بمصر منذ شبابه:

إن الخُلُق الحسن والأدب الكريم، هما المعيار لسلامة النفس من الآفات الظاهرة والباطنة، فقد كان الأدب فيه سجيَّةً، وكانت الأخلاق الكريمة فيه غزيرة، وكيف لا يكون ذلك وهو من سُنَّة التراث العظيم لصاحب الخُلُق العظيم ﷺ،كان ليِّن الجانب دائم البشر حَسن الخُلَق، ليس بفظٍ، كثير التواضع لا يحقد عل أحد لا يعجل ولا يجهل، وإن جُهل عليه احتمل، يحب في الله ويبغض في الله، تعلوه السكينة والوقار، هابه الناس وأجلّوه وأعني بالناس حتماً طلاب العلم وروّاد المعرفة وأصحاب القول والفتوى.

كان عابداً زاهداً شاكراً، وهبه الله ذاكرة نفَّاذة وقريحة وقَّادة، بذل للحديث وللسُّنة النبوية كلَّ جهده وأنفق فيها شبابه وشيخوخته، ما كَلّ ولا مَلّ حتى بلغ الذروة في علمه وحفظه، وحتى صار بحق فقيهاً في المحدِّثين ومُحدِّثاً في الفقهاء وإماماً لأهل السُّنة.

وكما قال ابن تيمية في وصف أصحاب الحديث وأهل القرآن: «يعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدْي محمدٍ ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من الناس، ويقدِّمون هدْي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سُمُّوا أهل الكتاب والسُّنة، وسُمُّوا أهل الجماعة، لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين و(الإجماع) هو الأصل الثالث الذي يُعتمد عليه في العلم والدِّين»[1].

لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فِرقة

(١) مجموع الفتاوى ج٣، ص١٥٧.

كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة[1]، وفي حديث آخر عن الرسول ﷺ: «هم مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» حديث متواتر في الصحيحين وغيرهما.

ولقد صدق ابن تيمية في بيان معتقد أهل السنة والجماعة بقوله: «فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك، يعني بالنصوص والأحاديث التي فيها الصفات كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل بل هم الوسط في فِرق الأمة، كما أن الأُمّة هي الوسط في الأمم»[2].

كان رحمه الله من أهل السنة والجماعة بل أستاذاً لعصره منذ شبابه، فلم يكن رحمه الله مقتصراً على التدريس بمصر في المعاهد الدينية، بل كان يتردد على الوعظ والتدريس بمساجد أنصار السنة، ولقد علمت من السيرة الذاتية التي دوَّنها في نعيه فضيلة الشيخ مناع القطان، أنَّه رحمه الله استأجر بيتاً وهو أعزب فأسكن معه طلاب بلده يدرِّس لهم ويعظهم ولما تزوج كان يدعو طلابه إلى بيته ويرعاهم كما يرعى الأب أبناءه.

ولقد كان الطلاب يهابون شخصيته، وينصتون لسماع درسه، حريصين كل الحرص على الاستفادة من كل كلمة يقولها، وفي محافظة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه (٣٩٩٣) وصححه الألباني، وهو في الصحيحة رقم (٢٠٣).

(٢) انظر العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص١١٧) بشرح محمد خليل هراس.

المنوفية بشبين الكوم كان يذهب إلى الجمعية الشرعية فيُلقي في مساجدها دروساً بصفة منتظمة، وهذا الدرس كان يعتبر بمثابة مدرسة يجتمع فيه الجمّ الغفير للاستماع والنقاش والحوار. ليس هذا فقط، بل كان يغشى المساجد الأخرى من وقت لآخر لإلقاء دروس فيها، وكان لمنهجه السلفي -رحمه الله- سمة بارزة فيها إضافة إلى أسلوب شائق جذاب يدعمه الدليل والحجة، مع سعة في العلم وعمق في الفهم وكان لا يمس أحداً بتشهير ولا يتعرض لأحد بتجريح مما جعل استجابة الناس له عن حب وقناعة.

ومن أعماله بالاسكندرية وضواحيها :

وبنقله من المعهد الديني بشبين الكوم إلى الإسكندرية وكيلاً للمعهد الديني بها فقد جاء إلى الإسكندرية ليتوجها بسيرته العطرة في أيام شبابه. جاء -رحمه الله- ليعلن كفاحه وجهاده لا في المعهد الديني فحسب، بل وفي جُلِّ المدينة التي تعج بالأضرحة والقبور مثل (أبو العباس،جابر، تمراز، الشاطبي، الأباصيري) مما ينشده غير الموحِّدين ويقيمون حولهم خرافات لا يصدقها عاقل.

والجدير بالذكر أن عبّاد الأضرحة والمبتدعين كانوا يتعرضون للدعاة من أنصار السُّنة وغيرهم وتقوم المشاكل ويحصل العداء ولكن بفضل الله ثم بفضل كياسة الشيخ -رحمه الله-، وحلمه وعلمه وتصرفاته المثالية ودعوته إلى الله على بصيرة، كان لذلك كله أبلغ الأثر في نفوس أعدائه.

لقد أقر بعلم الشيخ وأخلاقه ومنهجه السليم كل من اتصل به -رحمه الله- وفي الواقع كل من عرفه ارتبط به ارتباطاً وثيقاً وأحبه وتمنى لو يظل معه دون فراق، ولقد صدق فيه قول أحد تلاميذه وهو الأستاذ

الشيخ زهير الشاويش فيما نشره في مجلة السبيل الأردنية العدد ٦٤ (كان عالماً ينشر العقيدة الصحيحة والتربية السليمة والأخلاق المحمدية فكان مدرسة فريدة في جمع الناس على الخير).

لقد حارب البدع وهو يحمل لواء التوحيد، يحافظ عليه بكل ما آتاه الله من قوة وما حباه من عزيمة وثبات. يدعو إلى الله على بصيرة، لم يكن -رحمه الله- من العلماء الذين انحنوا لعاصفة الابتداع. والعلماء لهم منازع شتى ومشارب متباينة، فمن اتفقت نزعاتهم تحابوا وتناصروا وأثنى بعضهم على بعض خيراً، ومن اختلفت أفكارهم ووجهات نظرهم تناحروا وتراشقوا بالنبال إلا من رحم الله. وأسعدهم بالحق ما كانت نزعته إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ووسعه ما وسع السلف. والمعصوم من عصمه الله، وكل أحد يأخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ.

والعفيفي -رحمه الله- أخذ يفكر ويُقدِّر كيف يهدم صروح الأضرحة ويُحطم شبح الخرافات، وكيف يطارد المشعوذين الذين لطخوا وجه الشريعة السمحاء بخزعبلاتهم، كيف يقوم بهدم الأضرحة كما قام مجدد الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بهدم قبر زيد بن الخطاب بنفسه.

كان شيخنا -رحمه الله- بعيد النظر وذا فراسة لا تخطئ فأخذ -رحمه الله- يجاهد الشرك بكل صوره وألوانه ويدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فهدى الله على يديه أُمماً لا يحصون كثرة، ثم بدا له أن يهاجر من أرض تموج بالبدع إلى أرض السُّنة والتوحيد.

وقد وجد من صديقيه رحمهما الله الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي وعبد الله بن علي بن يابس تشجيعهما له لمعرفتهما الكاملة

بالشيخ وأنه لم ولن يسكت عن كلمة الحق مهما كلفه ذلك من ثمن.

لقد تعلمت من الشيخ رحمه الله التوحيد الخالص وكان -رحمه الله- يحارب البدع والخرافات في القرية ولما ذهبت إلى الإسكندرية للالتحاق بكلية الطب البشري -جامعة فاروق سابقاً- ترددت على مساجد أنصار السنة المحمدية، وحضرت للشيخ -رحمه الله- دروساً في مساجد أنصار السنة بحي محرم بك، وكانت المساجد تمتلئ بالمسلمين لسماع عالم جليل يحتل مكانةً سامية بما حباه الله به من علم غزير وفقه مستنير وبصيرة نافذة وحرص شديد على تثبيت المهتدي وهداية الشارد وتبصير الجاهل ونصح الأُمّة وحب الخير لها. كان رحمه الله بفقهه وورعه وتقواه وإشفاقه على طلبة العلم واهتمامه بأمور المسلمين يجذب بحديثه السامع فيتمنى ألا يفارقه. فهو في الواقع قَلَّ من يناظره في العلم والخلق والحلم والصبر على الجهلة من المنتمين إلى الإسلام.

ولما سافر إلى المملكة العربية السعودية ترك فراغاً لم يقدر أحد على سده رغم أنه ترك صديقه الشيخ عبد العزيز بن راشد -رحمه الله- وكان عالماً وفقيهاً ومُحدِّثاً وصاحب مؤلفات نافعة ومنها:

«تيسير الوحيين بالاقتصار على القرآن مع الصحيحين» والذي يعتبر في غاية الكمال والروعة والإجادة. ومع ذلك فقد ترك الشيخ عبد الرزاق فراغاً عظيماً لا يملأه غيره وصفوة القول أن الشيخ -رحمه الله- كان مربياً ومرشداً يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم. لا يداري ولا يماري ولا يتكلف التأويل ليصوغ للناس ما يحبونه من الخرافات والخزعبلات.

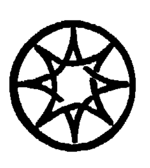
كان -رحمه الله -لا يغشى منازل الوجهاء والأغنياء إلا إن دُعي

وكان يتعفف إن حضر ولا يقول إلا ما يرضي ضميره، ولعل زهده هذا هو السبب في عزوفه عن إلقاء المحاضرات وحضورها.

كان -رحمه الله- مشهوراً في مصر وفي السعودية ببذل جاهه في خدمة الصالحين ومعونتهم ولا يرد صاحب حاجة يستطيع أن يقضيها له، وكان حكيماً في تصرفاته يفرض احترامه على الآخرين بعلمه وأخلاقه.

فرحم الله عالمنا رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في دار كرامته ومستقر رحمته والحمد لله رب العالمين.

وكتبه
عبد الفتاح السيد الصروي
جماعة أنصار السنة بالأسكندرية
بجمهورية مصر العربية



الشيخ عبد الرزاق عفيفي
-في ذمة الله-[1]

فُجِعتْ الأُمّة الإسلامية بوفاة عَلَم من أعلامها الذي عاش بعيداً عن ضجيج وصخب الإعلام، وعن مُتع وفتن الدنيا، رجل سخَّر عمره الطويل لخدمة الإسلام والمسلمين حتى يكفيه شرفاً أنه خرّج الآلاف من طلبة وعلماء الدِّين وجُلّ كبار العلماء من تلاميذه.

إنه الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- والذي توفي يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤/٩/١م عن عمر يناهز الثانية والتسعين.

والشيخ عفيفي من مواليد ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م. وقد تخرج من الأزهر ثم حصل على الشهادة العالمية عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣م. وعمل بعدها مدرساً بالأزهر. وبالإضافة لعمله في التدريس كان أوّلَ وكيل لجماعة أنصار السُّنة المحمدية، ثم أصبح رئيساً لها بعد وفاة أوّل رئيسٍ لها وهو الشيخ محمد حامد الفقي- رحمه الله.

ثم انتُدب للعمل في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٣٦٨هـ-١٩٥٠م وقد قام بالمشاركة مع الشيخ محمد علي عبد الرحيم -رحمه الله-

---

(١) مجلة الفرقان، العدد (٥٥٤) ص(١٩).

الرئيس السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية بتأسيس المعاهد العلمية بالمملكة ثم شارك في تأسيس كلية الشريعة واللغة العربية بالرياض، ثم رأس المعهد العالي للقضاء وحين تأسّست هيئة كبار العلماء كان أحد أعضائها ثم أصبح نائباً للرئيس بالإضافة إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة.

ولقد امتاز الشيخ عفيفي -رحمه الله- بسعة علمه ومقدرته على الفهم الدقيق والاستنباط الواعي والتمييز المستنير، والالتزام بمنهج السلف الصالح وفق الكتاب والسُّنة، هذا وقد كان الشيخ أيضاً مرجعاً في بيان الفِرَق الضالة والرد عليها.

والشيخ -رحمه الله- كان داعية متميزاً يحرص على حضور دروسه ومجالسه الكثير، ومما يذكر أن الشيخ كان يُلقي درساً في مجلس الملك عبد العزيز -رحمه الله- كلَّ يوم أربعاء. ولقد شارك الشيخ عفيفي -رحمه الله- في الإشراف والمشاركة على عدد كبيرٍ من الرسائل الجامعية وتخرج على يديه أجيال من طلبة العلم.

والشيخ على سعة علمه كان مُقلاً في التأليف، ومن مؤلفاته: «مذكرة في التوحيد» وتحقيق وتعليق على كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي.

ولقد عاش الشيخ صابراً محتسبًا: فبالإضافة إلى الأمراض التي تعرض لها لأكثر من ربع قرن، فُجع بوفاة ابنه أحمد في حرب رمضان ضد اليهود، ثم وفاة ابنه عبد الرحمن في حادث سيارة، ثم ابنه عبد الله، هذا وقد شهدت الرياض دفنه يوم الجمعة ٢٦ ربيع الأول ١٤١٥هـ، حيث وفد الآلاف من طلبة العلم ومحبي الشيخ لمواراته الثرى، وقد امتلأت بهم

الطرقات والمقبرة، والله نسألُ أن يُسكن فقيدنا الفردوس الأعلى وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة وأن يجمعنا معه في الجنة، مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.



العلاّمة الشيخ عبد الرّزاق عفيفي
رحمه اللهُ تعالى(١)

روى الإمامُ البخاري في «صحيحه» مِن حديث مرْداس الأَسلميّ رضي اللهُ عنه، أَنَّ النبيَّ صلى اللّه عليه وسلم قال: «يذهبُ الصالحون، الأَوّلُ، فالأَوّلُ...»، ويقولُ اللهُ تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

بِنُفوسٍ ملأَها الحزن، وعمَّرها التسليم بقضاء الله وقدرِه: تلقى المسلمونَ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها نبأَ وفاة عَلَم من أعلام المُسلمين، وعالم من عُلمائِهم الأبرارِ: وهو الشيخُ العلاّمة عبد الرزّاق عفيفي رحمه الله تعالى.

وحِرْصاً مِن (الأصالةِ) على تعريف قُرائها بعُلماءِ المُسلمين -قُدماء ومُعاصرين، أحياءً وأمواتاً- رأَينا لِزَاماً علينا ذكر نبذة لَطيفةٍ عن هذا العَلَم الكبيرِ توقفهم على شيء من حياته، ونُتَف مِن مآثرِه وجهادِه: تغمدَه اللهُ بواسعِ رحمتِه.

- اسمه عبد الرزاق بن عفيفي بن عطيّة النُّوبي.

- وُلد في شَنْشُور، وهي قريةٌ تابعةٌ لمحافظةِ المنوفية في مصر، سنةَ ١٣٢٣هـ.

---

(١) انظر مجلة الأصالة العددان الثالث عشر والرابع عشر وتاريخ ١٥ من رجب ١٤١٥هـ.

- تلقّى تَعْليمَه العالي في الجامعِ الأزهرِ، وتخرج فيه سنةَ (١٣٥١هـ) حاصلاً على الشهادة العالميةِ، ثمّ درس -بعد هذا- في شُعبة الفقهِ وأُصولِه طلباً للتخصُّصِ.

- وَاصَلَ -بَعْدُ- دراسته، وتَحْصيله، نهلاً من تواليفِ أَهلِ العلمِ، ودرايةً لكتبِهم ومصنَّفاتِهم.

- ولقد وَصَفَهُ مَن عايشهُ وخالطَهُ -رحمه الله- بأنّه كانَ موسوعيَّ المعرفةِ، مُتَنوِّعَ المَدارِكِ، مُتَفَنِّناً في سائِرِ العلومِ.

- عَمِلَ مدرساً في المعاهِد الأَزهريّة في مصر، وكان رئيساً لجماعةِ أَنصارِ السنّة المحمديّة.

ثمّ اختار الهجرةَ إلى بلادِ الحَرَمين الشريفين، فدرّس في مناطقَ شتّى منها الطائفُ، حيثُ درّسَ في دارِ التوحيدِ بها، ودرّسَ في الرياضِ وعُنَيزة.

وتولّى التدريسَ في كلية الشريعةِ في الرياضِ إبّان إنشائِها.

ثمّ عُيِّن مُديراً للمعهدِ العالي للقضاءِ سنةَ (١٣٨٥هـ).

وفي عام (١٣٩١هـ) انتقلَ إلِى دار الإفتاءِ، فكانَ عضواً في هيئةِ كبارِ العُلماءِ، وفي اللجنةِ الدائمةِ للإفتاءِ، حتّى صارَ نائباً لرئِيسها، وذلك إلى أن تُوفِّيَ رحمه اللهُ.

- تولّى الإشرافَ العلميّ على عَدَدٍ من الرسائلِ العلميّة العالية: الدكتوراة والماجستير.

- كانَ له حَلَقاتٌ علميّةٌ في تفسير كتابِ الله تعالى يُلْقيها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في الرياض، ثمّ انتقلت دروسُه إلِى بيتِه.

- وكانَ يؤمُّ النَّاسَ في المسجدِ الَّذي يَلِي منزلَه، وكانَ يُلْقي فيه - في أَوقاتٍ مُتباينة - الدروسَ العلميّة والمواعظَ الشرعيّة.

- كانَ صَبُوراً على البلوى، يَلْهَجُ بالحَمدِ والثناءِ على اللهِ سبحانَه، فقد تُوفِيَ - في حياتِه ثلاثةٌ من ولدِه، وابتُلِي بالشَّلَلِ النِّصْفيِّ قبل نَحْوِ عِشْرين عاماً، فَصَبَرَ واحتسبَ، ثمَّ عافاهُ الله تعالى منه.

- له مِن الوَلَدِ خمسةٌ مِن الذُّكورِ، وثلاثةٌ من الإناثِ، سَبَقَه - منهم إلى ربِّه ثلاثةُ ذكورٍ- كما تقدَّم.

- مِن أَحبِّ كُتُبِ العُلماءِ إليه: كتابُ «المُستصفى» للغزاليِّ، و «الموافقات» للشاطبيِّ، و«القاموس المحيط» للفيروز آباديّ.

- كانت عنايتُه مُتَوَجِّهةً إلى التدريس، والتعليمِ، والإرشادِ، والإفْتاءِ، مِمّا أَدّى إلى عَدَمِ تفرّغِه للتأليفِ والتصنيفِ.

- وَمَعَ ذلك فقد طُبِعت له «مُذّكرة في التوحيد»: وهي رسالةٌ نافعةٌ تُمَثِّلُ إملاءاتِه الّتي كانَ يُليقها على طُلاّبِه في الجامعةِ.

وله تعليقاتٌ نافعةٌ على كتاب «الإحكام في أُصولِ الأَحكام» للآمديّ.

ومِمّا يدلُّ على سَعَةِ علمِه، ودقّةِ نَظَرِهِ، وشُمولِ معارفِه تِلْكُم التعليقاتُ اليسيرةُ في حَجْمِها، العظيمةُ في قيمتِها- الّتي أَودَعَها حاشيةَ «شرح العقيدةِ الطحاويّة» لابن أَبِي العزِّ الحَنَفيِّ في ذِكْرِ إحالاتِ شرحِهِ على كُتُبِ شيخِ الإسلامِ ابن تيميّة وتلميذِه ابن القيّمِ رحمه الله.

- وَصَفَهُ شيخُنا العلاّمةُ الأَلبانيُّ بأَنّه «مِن أَفاضل العلماءِ، ومِن القلائِلِ الّذين نرى منهم سَمْتَ أَهلِ العلمِ، وأَدَبَهم، ولُطْفَهم، وأَناتَهم، وفِقْهَهَم».

وقال فيه: «التقيتُه غيرَ مرّةٍ في مواسمِ الحجّ، وكنتُ أَستمعُ -أَحياناً- إلى إجاباتِه العلميّة على استفتاءاتِ الحُجّاجِ المُتَنَوّعة، فكانت إجاباتٍ مُحْكَمةً، تدلُّ على فقهٍ دقيقٍ، واتّباعٍ ظاهرٍ لمنهجِ السَّلَفِ».

- كانت وفاتُه -رحمه الله رحمةً واسعةً- صبيحة يومِ الخميسِ لخمسةِ أَيّام بَقِينَ من ربيعِ الأَوّلِ سنةَ خمس عشـــرة وأَربـــع مئـــةٍ وأَلف، الموافقِ (١/٩/١٩٩٤م).

وَدُفِنَ في الرِّياضِ بعد صلاةِ الجمعة.

... رَحِمَهُ الله، وأَلحَقَهُ بالصالحين، وجَمَعَنا وإيّاه في حَوْضِ سيِّدِ المُرسلين، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى آلِه وصحبِه أَجمعين.



قدرُ الرجالِ(1)

الـشِّـعـرُ بـاكٍ والـقـصـائـدُ أدْمُـعُ | والقَلبُ مذبُوحُ المشاعرِ مُوجَعُ
والحزنُ في شـفـتـيَّ نَـزْفٌ دائـمٌ | صَعْبٌ على العشّاقِ ألاّ يفجَعوا
وأسي الفجيعةِ ماثلٌ في خاطري | في كلِّ جسمي ليس يخلو موضِعُ
وإذا كتمتُ لواعجي في أضلُعي | فضَحتْ خَفِيَ الحزْنِ هذي الأضلعُ
مـاذا دهى عينيّ تجمَّدَ دَمعُها | وكـأنها أُخـرى فـلـيـست تجْزَعُ
الهولُ أخـرَسَـهـا فـغـاضـتْ لحظـةً | وكـأنها في جـوفـهـا تَـتَـجـمَّـعُ
لـتـسـيـلَ حُـزْناً كـلُّـها في دمـعـةٍ | ويـسيل جسمي بعدها المتفجِّعُ
قـلَّـتْ بـواكـي المؤمـنـين بـأرضـنـا | لله هـذا المُـشـتـكـى والمـفْـزَعُ
يـمـضي الرجـالُ ولـيْس ثمّةَ شاعر | يـرثـي الـرجـال كـأنَّـنا لا نَـسْـمَـعُ
إنّي لـيُحْـزِنُـنـي ويُـقْـلـقُ خـاطـري | أن المـسـافـرَ لـيسَ يـومـاً يـرجـعُ
وإذا بـكـيتَ فـلـيسَ شيء راجـعـاً | مـاذا عـسـاهـا تَـشـتَرِدُّ الأدْمُـعُ
وإذا المَـنِـيَّـةُ أنـشـبـتْ أظـفـارَهـا | ألـفـيتَ كلَّ تـمـيـمـةٍ لا تنفعُ»
طُـوبـى لأرضٍ كـفـنـتـك بـثـوبـهـا | ضَمَّتْ فتِيتَ المسْكِ إذْ يَتَضَوَّعُ
وَعَلتْ على بعضِ البقاع بفخرِها | فَـرَنَـتْ إلـيَـها في أسىً تَـتَـطَـلَّـعُ
المـجـد يخسر والمـكـارم صـفـقـةً | منْ أنْ يعيش لَهَا الهُمَامُ الأرْوَعُ»
قَدَرُ الرجالِ ضَيَاعُهمْ في عمرِهمْ | ومماتِهمْ، واللهُ لـيـسَ يُـضَـيِّعُ

---

(1) انظر مجلة التوحيد، السنة الثالثة والعشرون ـ العدد السابع.

وإذا غداً وفدوا عَلَيه بفَضْلِهِ لَبسوا الكرامَةَ ليسَ عَنْهمْ تُنْزَعُ
ضَاقتْ عَلَيهمْ في الحياة معايش أما غداً فالعيشُ رَغْدٌ أوْسَعُ

محمود بن عبد رب النبي محمد
دراسات عليا قسم الشريعة الإسلامية
كلية دار العلوم جامعة القاهرة



نجم هوى[1]

هوى نجمُ عَبْدِ في الأنامِ فَأُفْجِعوا وذا الخطبُ جَلٌّ والمُصابُ مُرَوِّعُ

فـلـلـه نَـعْـشٌ شَـيَّعـوهُ عـشـيـةً به الحلمُ والعلمُ الذي كان يُتْبَعُ

فـيا عـبـدَ رزَّاقِ الـبرايـا تـركـتـنـا ومـنـا قُـلـوبٌ للفـراقِ تُـصَـدَّعُ

فتسعون عاماً قد قضيت مجيدةً بـمـصـرٍ ونـجـدٍ فـالـبـلاء مُـوَزَّعُ

وفي أزهـرٍ حُزت الـعـلـوم بَغرسٍ مَذْ هَـبِ المـالـكـيـنَ الـكـرامِ تَـرَبَّـعُ

لقد كنت رِدْءاً للفَقِيِّ[2] بمصرنا وقد كنتما حرباً على مَنْ تَبَدَّعُوا

فـكـم قـد نـصرتـم سُـنَّـةً لـنـبـيِّـنـا وفي أَزْمُـنٍ عزَّ الـنـصيرُ المُشَجِّعُ

فَظَلْتُمْ بأرضِ مصرَ نوراً ومفخراً ومـا زال فَـضْـلُـكـمْ بـهـا يـتـوسَّـعُ

إلى أن دُعـيـتـم للبـلاد فَـقُـمْـتُـمُ بِـنَـشْرِ الـفـنـونِ بين قومٍ تَـطَـلَّـعوا

مع الـنـفـر الأُلَـى إلـيـهـم يـشـار بـالْـ بـنـان بـنـيـتـمُ مـعـاهـد تُـرْفَـعُ

مـع ابـن حُمَيْـدٍ والأمـيـنِ وحَـبْرِنـا وأعني ابنَ بازٍ عطركم يَتَضَوَّعُ[3]

وفي هَيْئةِ الكبارِ صُلتُمْ وجُلْتُمُ وفي لجنة الفتوى قُلوبٌ وأَضْلُعُ

---

(١) مرثية الفقيد العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - المتوفى يوم الخميس ٢٥/٣/١٤١٥هـ عن نيف وتسعين عاماً. رثاه بها تلميذه أبو خالد وليد بن إدريس بن عبد العزيز منيسي - المدرس بالرياض.

(٢) إشارة إلى دور الشيخ عبد الرزاق في مناصرة دعوة الشيخ حامد الفقي وتأسيس جماعة أنصار السنة بمصر.

(٣) إشارة إلى دور الشيخ عبد الرزاق في نشأة المعاهد الشرعية والمعهد العالي للقضاء ومع أقرانه الشيخ عبد الله بن حميد والشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ ابن باز.

عَزَا أهلِ مصرَ فيكمُ أَنْ تركتمُ عُبَيْدَ العزيزِ حَبْرٌ بِزْمَا المُفَرَّعُ[1]

وأما بنجدٍ كم شهابٍ أفضتمُ عليهم سُيولكمْ فأرووا وأرتعوا

وتلميذك المحزون يأسى لفقدكم وكم من محبٍّ قَلبهُ يتوجعُ



(١) إشارة إلى أجل تلامذته بمصر العلامة الشيخ عبد العزيز بن علي البزماوي أحد علماء الأزهر وأنصار السنة بالإسكندرية ـ حفظه الله.

الترياق في رثاء الشيخ عبد الرزاق

رحمه الله

تسابقت المحاجرُ بالوكوف ... وأمسى كلّ قلب في وجيف

وأجهشت الرياض بوبل دمع ... لفقد العالم الحبر العفيفي

وأمسى منبر التوحيد يبكي ... : منيتُ بثلمة في حد سيفي

وصرح العلم يندب في ذهول ... يقول مضى من الدنيا أليفي

عظيم عالم دمث كريم ... ستقصر عن مزاياه حروفي

وفقدك ياعفيف الجيب نار ... يشب لهيبها في كل جوف

إذا ما مثلكم عنا تولّى ... فياهمي وياحزني وخوفي

إمام علّم الأجيال علما ... وزهداً صادقاً في غير زيف

ولم يك همه شكل وأكل ... وبهرجة وهز للكتوف

بعيد عن مظاهر كلّ كبر ... ويرضى بالحصير وبالرغيف

قريب من محب العلم سمح ... ولم يك مشمخرّاً في الكهوف

يجود بحسن موعظة وبُعدٍ ... عن التجريح والقول العنيف

وعف عن الحطام فكان حقا ... كما سموه بالشيخ العفيفي

وعاش مجاهداً شهماً أبياً ... ولم يركن إلى الظل الوريف

فتلك مآثر في مصر تشدوا ... بفضلٍ بين حاضرة وريف

وفي أرض الجزيرة فيض علم ... ومجد بات كالطود المنيف

قضى في العلم والتعليم عمرا ... مع الإخلاص في العمل الوظيفي

مع الكتب العظيمة كان يحيى … ويُحييها بتعليم الألوف
وكان يعيشها فكراً وقلباً … ولم تك زينة فوق الرفوف
يبث عبيرها في كل قلب … ويجني للورى أحلى القطوف
يُقيِّد بالدليل نفار صيد … من الأفكار بالأثر الشريف
ويقفو هدْي خير الناس دوما … صدوداً عن بني زيف وحيف
إذا التبست مسائل مشكلات … وظل القلب منها في رجيف
جلاها بالبصيرة فاستنارت … عيون القول بالفهم اللطيف
كأن الشيخ ينظر في هدوء … إلى الإلهام من خلف السجوف
وكم سهر الليالي ماتعات … سمير النجم بالفكر الحصيف
يُكحِّل أعين التاريخ نورا … ويملأ سمعه بهدي طريف
مطاياه العزائم مسرعات … وهمة ماجد للحق يوفي
وفي جنح الظلام يبيت يدعو … بدمع العين والقلب الأسيف
قليل لفظه والقول نزر … كوزن الدر في كف الصريف
ولو أن الحديث له ضياء … لأشرق في دجى الليل الكثيف
بيان للأحبة مثل شهد … وللأعداء كالسيف الرهيف
جزى الله الشريعة كلَّ خير … عن العلماء من أم رؤوف
فقد عقمت قوانين البرايا … وصار الغرب في الدجل السخيف
وقد عبث الظلام بكل قوم … وبات الناس في هول مخيف
دمار في العقائد والمبادئ … وفتك بالمسالم والضعيف
وهاوية الرذيلة والخطايا … لها يمضون في سير هفيف
وتلك معالم الأخلاق تمحى … وذا جراح الكرامة في نزيف
سياسات وأنظمة تهاوت … كما تنهل أوراق الخريف
ولم تعد البرية في احتياج … لرأي من أوربا أو جنيف

حياة كلها زيغ وزور ... وأهل الرأي عنها في عزوف

ولست ترى على الدنيا سوانا ... على التوحيد والنهج الحنيف

فنحن كغرة الفرس المحلّى ... بلي كالتاج في الدر الصفيف

بفضل الله ثم بحسن قصد ... وإخلاص وتوحيد الصفوف

ونرفع رايةً لهدى وخير ... وننتشل الأنام من الخسوف

وها هي أمة الإسلام ترنو ... لذي الإيمان والرأي الحصيف

فيما من ذكره أحلي وأغلي ... وكيفك في رؤى الأيام كيفي

جزاك الله أفضل ما يجازى ... به العلماء من رب لطيف

ويا نسل الكرام حماك ربي ... من الأحزان في يوم الوقوف

وأورثك النعيم بدار خلد ... وحور العين والقصرالمنيف

ناصر بن مسفر الزهراني



إلى عَرَصات الخُلدْ[1]

وقفتُ لكي أرثي «العفيفي» فصَدَّني ... وجومٌ -وقد حلَّ النَّوَى- وبُكاءُ
وقمتُ أُعزِّي فيه مَنْ رامَ عِلْمَهُ ... فقالوا: وهل يُسليك عنه «عزاءُ»
فعدتُ أُناجي ذكريات ترحَّلت ... وقد ضمَّني و«الشيخ» عاثمٌ لقاءُ
وأبصرتُ فيها الشيخ يرقى بعلْمِهِ ... وعانيت فيها الشيخ وهو بهاء
وناجيتُ فيها الشيخ فازورَّ طيفُه ... وما في ازورار الطيف منه جفاءُ
لقد سار في درب الشَّريعة يافعاً ... يطير به عزمٌ له وإباءُ
وأنْفَقَ في بسط الشريعةِ عُمرهُ ... يسيرُ به خوفٌ له ورجاءُ
ثمانون عاماً والحياة مصاعد ... وللشيخ فيها منهجٌ وسناءُ
إذا المحفلُ الراقي تناظر جمْعُهُ ... رأيتَ مقال الشيخ فيه سخاءُ
شواهدهُ الآياتُ جَلَّ دليلُها ... وحشدُ أحاديثٍ لهنَّ صفاءُ
يُسَرْبِلُ بالإقناع كلَّ مقالِهِ ... فيُصغي لهُ الكُتَّابُ والخطباءُ
إلى عَرصَات الخُلدْ يا وافر النُّهى ... لعلَّك عند الله حيث تَشاءُ
وأنَّ قصيدي حين يَنْديَ بذكْرِكُم ... حَريٌّ بأن يَنْدَى به الشُّعراءُ

---

(١) أبيات من شعر الأستاذ محمد بن سعد المشعان يرثي بها فقيد العلم الشرعي الشيخ الجليل عبد الرزاق عفيفي رحمه الله رحمة واسعة. وانظر جريدة الرياض العدد ٩٥٧٣ الجمعة ٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤/٩/٩م.

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر[1]

عبد الله بن سعود الرشود

أيها المشتكي صروف الزمان ... انقع الشمس في أسار الأواني[2]

وابتغ الأرض خندقاً -طلع غيظ- ... والسما سُلّماً فلست بغان

ليس للدهر ذمة الخلصان ... لا وما كان خالد الشنآن

إنما المرء فيه دلو قليب ... يتَدَاعى ما بين قاص ودان

يعتلي مثقلاً ويكبو خواءً ... ساخراً من سجية المِيزان

لايحابي الورى ولكن له أُنس ... بمضّاغ علقم الحدثان

والليالي كأنهنَ الغواني ... ناقضات الوصال بالهجران

حانقات عليك طوراً، وطوراً ... لابسات خلائق الإخوان

فسل عن صرفهنّ واقصد رحيب ... الباع ذا العلم والحجا والبيان

حازم الرأي والمذهب شتى ... فارس والجواد جسم الحران

ذاك عبد الرزاق لما تولى ... نَفَجَ الشرُّ بعد طول احتقان

وخلا الجو لليالي فعادت ... طاحنات بكلكل وجران

يا إماماً كأنه ضربة السيف ... إذا طيرت فؤاد الجبان

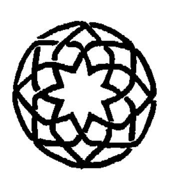
وكأن النجوم ترنو إليه ... حين تهدي قوافل الركبان

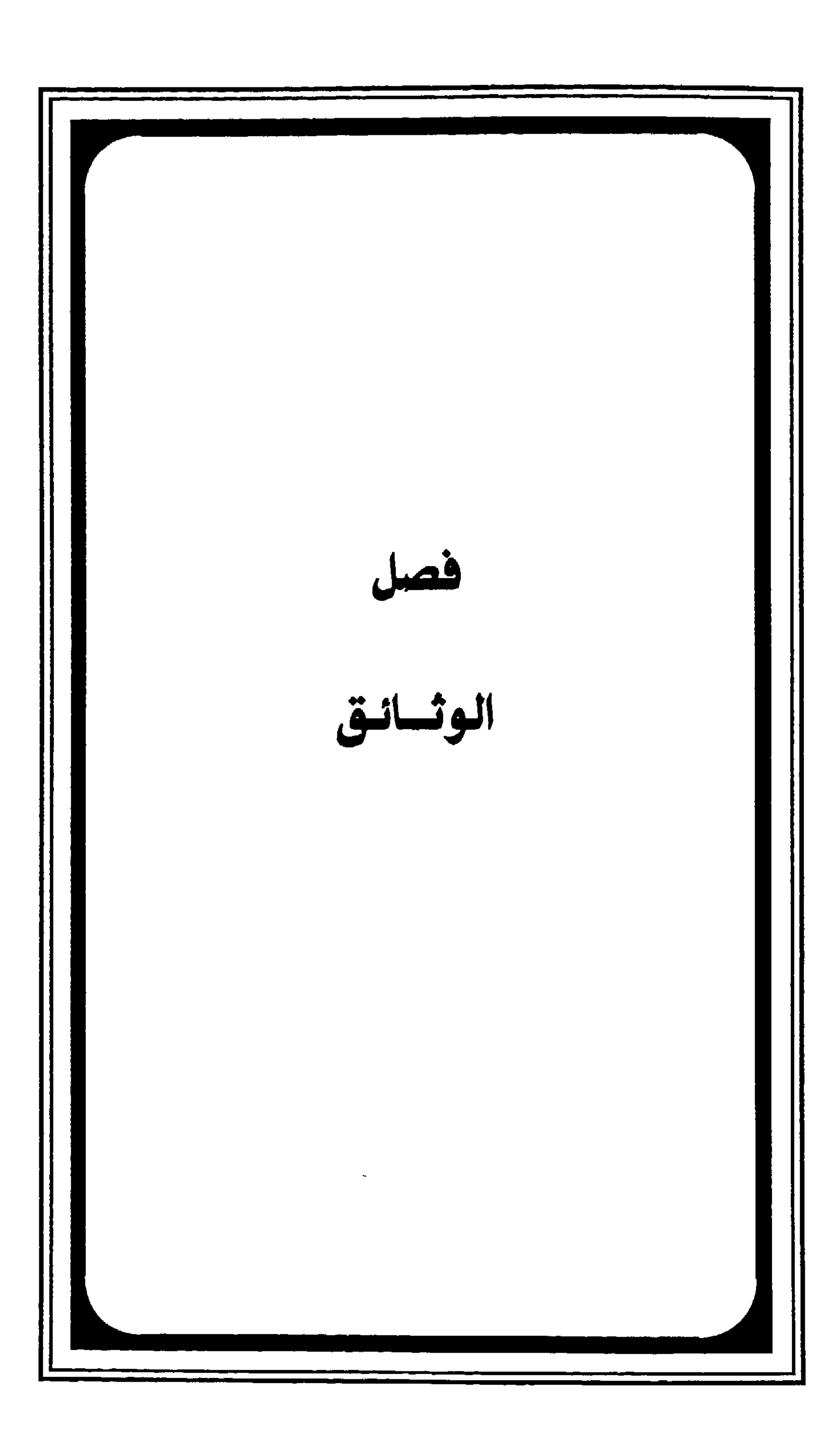
---

(١) حازت هذه القصيدة على المركز الثاني في مسابقة الشعر على مستوى جامعة الملك سعود عام ١٤١٥هـ.

(٢) أسار: تخفيف أسار جمع سؤر.

أغـفـلـوا ذكـره ومـا عـجـبٌ أن يُـشـغَـل المـرء بـالـذي هـو فـانِ
فـلـقـد أغـفـلـوا الـقـيـامـة طـرًا وهو في الناس مثلها في الزمان
وادعـوا مـوتـه ومـا مـات لـكـن مـات مـن بـعـد فـقـده الـثـقـلان





فصل

الوثـــائق



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الديوان الملكي



الرقم ٢١٦٢٩٦/ص
التاريخ ١٤١٢/٦/١٨هـ
المرفقات

صاحب الفضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد،

فاننا نود بكتابنا هذا ان نعرب لفضيلتكم عن خالص شكرنا وبالغ تقديرنا على ماقمتم به من جهود طيبة طيلة عملكم في هيئة كبار العلماء راجين من المولى سبحانه ان يجزل لكم الاجر والمثوبة على ذلك وان يجعل عملنا جميعا خالصا لوجهه الكريم.

ونظرا لما علمناه من انحراف صحتكم بشكل لايمكنكم من مواصلة العمل ورغبة منا في توفير سبل الراحة لفضيلتكم فقد قمنا بتعيين عدد من اصحاب الفضيلة المشائخ اعضاء في هيئة كبار العلماء ليواصلوا المسيرة التي بدأتموها مع اخوانكم سائلين المولى سبحانه وتعالى ان يأخذ بايدينا ويسدد خطانا جميعا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. كما نسأله جل وعلا ان يمن عليكم بموفور الصحة ويتولاكم بحفظه ورعايته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

[signature]

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

المكتب الخاص

المفتي ورئيس القضاة والكليات والمعاهد العلمية

الرقم : ٢١٧٧٨

التاريخ : ٢٧/٥/٧٥هـ

المشفوعات : ......

من محمد بن ابراهيم الى حضرة المكرم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي / المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وبعد فلما نؤمله في فضيلتكم من القيام بادارة المعهد العالي للقضاء على الوجه الأكمل وبمقتضى الأنظمة والتعليمات الموضوعة لذلك فقد اسندنا الى فضيلتكم ادارته وعيناكم بتلك الوظيفه راجين من الله لنا ولكم التوفيق والسداد والسلام عليكم •،،،

الرئيس العام للكليات والمعاهد العلميه

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
المكتب الخاص
مفتي ورئيس القضاة والكليات والمعاهد العلمية

الرقم ــــــــــــ
التاريخ ــــــــــــ
المشفوعات ــــــــــــ

الرقم ١٢٦٣٦
التاريخ ٨٧/٦/٢٨

صاحب السماحة الشيخ محمد بن ابراهيم

بعد التحيه :ــ بالاشارة الى خطابكم رقم ٧٤٨٢ في ٨٦/١١/٢٦هـ بشأن تمديد خدمات الشيخ عبد الرزاق عفيفي لقد قرر مجلس الوزراء بقراره رقم ٤١١ في ٢٤ــ١٣٨٧/٦/٢٥هـ ما يلي :ــ

ان مجلس الوزراء / بعد الاطلاع على المعاملة المرافقه لهذا الوارده من ديوان الرئاسه برقم ١٦٥٦ وتاريخ وتاريخ ٨٧/١/٢٠ بشأن طلب سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم الموافقة على استمرار خدمة فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي مدير المعهد العالي للقضاء واعفاءه من التقاعد بصفته من رجال الدين وللحاجة الماسة اليه حيث انه يشغل مركزا علميا واداريا لا يسد فيه احد مسده ولا يوجد من يقوم مقامه فيه • وافادته ان المذكور من مواليد عام ١٩٠٥م • وقد اعتبر في تابعيته السعوديه ١٣٢٣هـ • ويكون عمره في الوقت الحاضر قد بلغ الثالثة والستين •

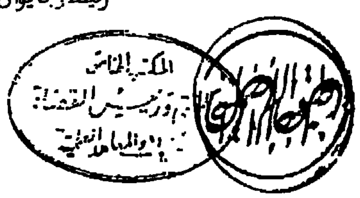
وبعد الاطلاعه على توصية اللجنة الاداريه رقم ٥٤ في ٨٧/٢/١٦هـ •

يقـــرر

الموافقة على تمديد خدمات فضيلة الشيخ / عبد الرزاق عفيفي لمدة خمس سنوات اعتبارا من بلوغه سن الستين واحتسابها لغرض التقاعد • ولما ذكر حرر •

وحيث قد وافق جلالة مولاي على ما تقرر فاجروا اكمال اللازم ودمتم •

رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء



صورة لوزارة المالية والاقتصاد الوطني
= لديوان المراقبة العامة
= = = = = = الموظفين العام
= للجنة العليا
= للأمين العام لمجلس الوزراء

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
المكتب الخاص
ونائب رئيس القضاة والكليات والمعاهد العلمية

الرقم [illegible]
التاريخ [illegible]
المشفوعات

من محمد بن ابراهيم الى فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي / المستشار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم ١١٤ في ٢٤-٢٥/٦/١٣٨٧هـ الوارد في خطاب رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء رقم ١٢٦٢١ في ٢٨/٦/١٣٨٧هـ بالموافقة على تمديد خدماتكم لمدة خمس سنوات اعتبارا من بلوغكم سن الستين واحتسابها لغرض التقاعد وتجدون في طيه نسخة من خطاب ديوان الرئاسة آنف الذكر للإحاطة بما فيه والسلام عليكم

صورة مع صورة خطاب ديوان رئاسة مجلس الوزراء المتضمن قرار مجلس الوزراء رقم ١١٤ في ٢٤-٢٥/٦/١٣٨٧هـ لإدارة الكليات والمعاهد العلمية للاعتماد

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم ١٠٢٩
التاريخ ١٧/٢/١٣٩٤هـ
المشفوعات

صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :ـ

بما أن الدورة الحاليه لمجلس المعهد العالي للقضاء قد انتهت ولما لمسناه فيكم من اخلاص في العمل وحرص على اداء الواجب . ولما تتمتعون به من كفاية ومقدرة فاننا نرغب في تجديد عضويتكم لمدة سنتين من تاريخه وسنشعركم عند ماندعو المجلس لعقد جلساته . والله يرعاكم ،،،

نائب الرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية

عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم ٥٨٦
التاريخ ٢٥/١٠/١٣٩٣
المشفوعات

صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :ــ

فبناء على حاجة المعهد العالي للقضاء الى استاذ يقوم بالقاء محاضرات فى التفسير فى السنتين الثانية والثالثة فى المعهد طول السنة الدراسية .

ولما نعهده فيكم من مقدرة علمية فاننا نعهد اليكم القيام بالقاء محاضرات فى التفسير فى السنتين الثانية والثالثة فى المعهد طول العام الدراسى الحالى ٩٣/١٣٩٤هـ نرجو القيام بذلك اعتبارا من ٨/١٠/٩٣هـ . والله يرعاكم ،،،

نائب الرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية

عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ ٩/٩/١٣٩١هـ
المشفوعات

الرياض يوم الخميس ٩ رمضان عام ١٣٩١هـ

حضرة صاحب الفضيلة رئيس مجلس أساتذة المعهد العالي للقضاء الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

فبناء على كتاب سماحة نائب الرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية رقم ١/٣١١٩ وتاريخ ٢٣/٨/١٣٩١هـ بشأن تأليف لجنة المناقشة والحكم على رسائل طلاب السنة الثالثة بالمعهد العالي للقضاء المقدمة منهم في عام ١٣٩٠/١٣٩١هـ للحصول على شهادة إجازة المعهد العالي للقضاء (درجة الماجستير) ألفت اللجنة واجتمعت لأداء مهمتها بمقر المعهد العالي للقضاء في المدة من يوم الأحد ٢٧ من شعبان ١٣٩١هـ الى يوم الخميس ٩ رمضان ١٣٩١ هـ وناقشت الرسائل وكتبت التقارير عنها ، وقد أسفرت المناقشة عن نجاح الطلاب الذين تقدموا برسائلهم جميعا ، ورسائلهم في جملتها تشرح الصدور ، وتملأ القلوب بالآمال ، فقد عرضت لموضوعات هامة في الشريعة تحتاج إليها الأمة في حاضرها ومستقبلها ، وقد عنيت بصفة خاصة بالمقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية وخرجت من هذه المقارنة بتفوق الشريعة الإسلامية وسيادتها على هذه القوانين الوضعية

والمستوى العلمي الذي دلت عليه هذه الرسائل ومناقشتها جيد بصورة عامة ، يبشر بمستقبل مشرق للمعهد وطلابه ونظام الدراسة فيه وإننا لنأمل الخير العميم لخدمة العلم والدين على أيدي هؤلاء الطلاب الذين تخرجوا في المعهد .

ومع تقارير اللجنة عن الرسائل ، كشف تفصيلي بأسماء الطلاب وبيان درجة كل واحد منهم .

هذا ما لزم بيانه والله يحفظكم ويرعاكم . ،،

توقيع لجنة الحكم على الرسائل بالمعهد العالي للقضاء

حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق وعضو جماعة كبار العلماء . (توقيع)	عبد الرزاق عفيفي مدير المعهد العالي للقضاء وعضو جماعة كبار العلماء (توقيع)

محمد عبد الوهاب بحيري الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء . (توقيع)	مناع القطان الاستاذ بكلية الشريعة . (توقيع)	محمد محمد حسن أبو زهو الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء (توقيع)

عبد العال عطوه الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء . (توقيع)	أحمد ابراهيم لاشين الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض (توقيع)

رقم ١٨٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ ١/٩/٩١هـ ٢٠/١٠/٧١م
المشفوعات

تقرير عن رسالة (أحكام الوصية في الإسلام) للطالب محمد بن حسن الهلالي

موضوع هذه الرسالة موضوع فقهي هام واجتماعي خطير ، فالوصية التي شرعها الله مظهر من مظاهر الرحمة والعطف ، والتعاون على الخير والبر والتكافل الاجتماعي فيما بين المؤمنين . وكل ذلك مما يقوي روابط الإخاء ، وينمي عواطف الإحسان ، ويدعم بناء الأسرة التي هي أساس المجتمع ، ويجعل الأمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والوصية إلى ذلك كله خير وبركة على الموصي وورثته ، يستدرك بها الموصي ما فاته في حياته من وسائل القربى إلى الله سبحانه ، وتعرض ورثته لرضا الله وجزيل مثوبته ، إن هم نفذوها في الحدود المشروعة ولم يحرفوها أو يبدلوها ، وقد عنى صاحب الرسالة بالأحكام التي تشتد إليها الحاجة في هذا الموضوع الخطير ، فذكر مذاهب الفقهاء وأدلتها ، وناقش تلك الأدلة ، ورجح ما يراه راجحا ، كما تعرض لآيات الوصية والإرث ، وذكر مواقف العلماء منها مع الاستدلال والمناقشة والترجيح ، وتناول بالبحث مسألة الوصية لورثة من يموت في حياة أبيه وأبدى رأيه فيها كما تناول الوصية بالطاعات وبالمعاصي ، وللمسلم وغير المسلم ، وللقريب وغير القريب وللوارث وغير الوارث مع ذكر خلاف العلماء وأدلتهم وبيان ما يختاره منها ، تعرض لذلك كله بأسلوب هادئ وتنسيق حسن وهو فيما كتب وحرر شأنه شأن كل باحث يخطئ ويصيب وقد ناقشته اللجنة في كثير مما كتب فكان موفقا متجاوبا مع اللجنة يرجع إلى الحق إذا استبان له وقد أرشدته اللجنة إلى أهم ما يؤخذ عليه وقرر بإجماع الآراء نجاحه ومنحه من الدرجات ٩٠٪ (تسعين من مائة) . والله يوفقه لخدمة العلم والدين . ...

التوقيع

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم .
التاريخ ٢ / ٥ / ١٣٩٦
المشفوعات

رسالة (حقيقة الورق النقدي)

للشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد

فموضوع هذه الرسالة موضوع هام من حيث تداول الاوراق النقدية في المعاملات كالنقود من الذهب او الفضة وقد عني الفقهاء بتخريج حكمها شرعا من حيث الزكاة والربا والصرف وغير ذلك .

وقد فحصت اللجنة هذه الرسالة فوجدتها وافية دقيقة البحث قوية الاسلوب حسنة الترتيب وحينما ناقشت مقدمها اجاب اجابة جيدة تدل على سعة الاطلاع وحسن التخريج وارشدته اللجنة الى بعض المآخذ على الرسالة وقررت نجاحه بامتياز ومنحه ٩٥٪ خمسا وتسعين درجة من مائة والله الموفق ،،،،

توقيع اللجنة

[signatures]

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ ٢٨/٨/١٤١١هـ ١٨/١٠/٧١م
المشفوعات ..

تقرير عن رسالة (مكافحة الجريمة) للطالب ابراهيم بن عبد الله الناصر

موضوع هذه الرسالة موضوع فقهي اجتماعي خطير ،طالما شغل العقلاء والمفكرين ،من قادة الامم وفلاسفتها ، والقواعين على الامن فيها ،وقد سنوا كثيرا من القوانين التي رأوها رادعة ،فما ازدادت الجريمة إلا انتشارا ، وأصبحت هذه الدول تعاني تهديدا من الداخل لا يقل عن خطر أعدائها من الخارج وقد عالج الإسلام، وهو نور من الله . هذه المشكلة بما سنه من عقوبات تلاشي الجرائم ،وبما حث عليه من أخلاق وآداب ،وما دعا اليه من تراحم وتعاطف وإخاء ،وبما أعده في الآخرة من الجزاء على الاعمال . وحسبك دليلا عمليا على ذلك ماتراه في الجزيرة العربية من أمن واستقرار صار مضرب الامثال ،مع قلة رجال الامن ،واتساع ربوع البلاد ، وذلك ببركة معالجة داء الجريمة بدواء الشريعة ،التي تلقاها نبي الله ورسوله الأمين من لدن حكيم عليم .
وقد بين صاحب الرسالة هذا الجانب من محاسن الاسلام فتكلم عن الجريمة ،وأسبابها ،وآثارها السيئة ، كما تكلم عن عقوباتها في الاسلام ،وما يسبق هذه العقوبات من الدعوة الى الاخلاق الكريمة ،والتربية الرشيدة ، والأمر بالمعروف ،والنهي عن المنكر ،وما يكون بعد هذه العقوبات من آثار طيبة تسعد بها الامة في دينها ودنياها ،وتصدى لبيان الفشل الذريع للقوانين التي سنتها الامم التي لم تهتد بهدى الإسلام ومن يقلد هذا من الامم التي حذت حذوها فباءت بالخسران المبين .
تكلم عن هذه الموضوعات وما يتصل بها فكان موفقا في أبحاثه ،وفي جمع شتات هذا الموضوع المترامي الأطراف ، الذي يعز بحثه وجمعه على كثير من طلبة العلم ،بمثل هذا الايجاز وبتلك العبارة القوية الرصينة .
وقد ناقشته اللجنة في كثير مما كتب فكان حسن الاجابة موفقا للحق الداعين له وقد نبهته اللجنة الى اصلاح بعض المآخذ التي لا يخلو منها باحث . ثم قررت بالاجماع نجاحه ومنحه من الدرجات ٩٧٪ سبعا وتسعين من مائة . والله يوفقه لخدمة العلم والدين . ...

التوقيع

رقم ١٤٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

نوقشت الرسالة يوم الاثنين الموافق ١٣٩٠/٩/٢هـ ق ١٣٤٩/٢/١١هـ ش

(تقرير)

عن رسالة (أخبار الآحاد في الحديث النبوي حجيتها ، مفادها ، العمل بموجبها)

للطالب عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين .

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم ، وقد عني المسلمون بها عناية كبيرة ، دراية ورواية ونقلوا منها ما كان بنقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال مما خص الله به هذه الأمة ، وهذا البحث يتناول اخبار الاحاد في الحديث النبوي ، يذكر آراء العلماء ، ويؤيد المذاهب الحقة ينصرها ، ويدحض الشبه الزائفة ويخذلها مستندا في ذلك الى اصل التشريع الاسلامي ، في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، التي رواها عنه الصحابة رضي الله عنهم ، ورواها عنهم التابعون ، ثم أئمة الحديث وأعلامه ، الذين أفرغوا جهدهم وبذلوا وسعهم في تصحيحها وروايتها متونا واسانيد ، فكانت تلك الاحاديث النور والهدى والحجة والبرهان لأمة الاسلام في كل زمان ومكان ، ولا فرق في ذلك بين ما تواتر منها واستفاض ، وما رواه الاحاد من الثقات الاثبات الذين أعز الله بهم الاسلام ، ورفع مناره ، وأذل بهم الباطل ونكس هامته ، وأقامهم للدين حماة ، وللحق رعاة ، وأجزل الله مثوبتهم ، ورفع في الآخرة درجتهم .

وقد ناقشت اللجنة الطالب في بعض المباحث ، فكان موفقا في اجابته ، جيدا في عبارته ، مسددا في الادلاء بحجته ، ووجهته الى ما لاحظته عليه وارشدته الى تداركه وقررت منحه ٩٠٪ تسعين درجة من المائة ، والله الموفق

توقيع اللجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

الرقم ٧٠٠/٤/٤/٢٦٢١ ٤٩
التاريخ ٢٨/٤/٩١
المشفوعات . نسخة

ادارة الابحاث والمناهج والمواد التعليمية
شعبة الكتب المدرسية

فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي / مدير المعهد العالي للقضاء الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

لما لمادة الثقافة الاسلامية من أهمية كبرى في تعميق وتقوية العقيدة لدى الطالب فقد قررت الوزارة تدريس هذه المادة من بين مواد المنهج المقرر في المدارس المتوسطة الحديثة ولما لكم من جهد سابق في مجال غرس العقيدة في نفوس النشء فقد وقع الاختيار على فضيلتكم لتأليف مذكرة لهذه المادة وفقا للفقرات الموضوعة لمنهج الصف الأول لهذة المادة .

وتجدون برفقه نسخة من منهج الصف المذكور علما أن الوزارة ستصرف لكم مكافأة مالية قدرها ألفا ريال وذلك وفقا للقرارات المنظمة لعملية صرف مكافآت التأليف .
وتود الوزارة سرعة تقديمها الى (شعبة الكتب المدرسية) لتتمكن من القيام بطباعتها في أول العام الدراسي ١٣٩١ لعله يتم توزيعها أثناء العام الدراسي المذكور .. وفقكم الله .

ودمتم ،

وكيل وزارة المعارف للشئون التعليمية والادارية

خالد بن فهد بن خالد

ع/ بيره
٢٤/ ٧

الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء
ورد برقم ١١٩
تاريخ ٢/٥/٩١
المشفوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
اللجنة العليا للتوعية الإسلامية

الرقم ٣/٤٦٦٦/٢٨/٦/٢٢
التاريخ ١٣٩٣/٥/٩ هـ
المشفوعات ....

تعميم حسب البيان
المرفق

سيادة المكرم الشيخ عبد الرزاق عفيفي – إدارة الفتوى والإرشاد – المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ./..

بناء على ما تقوم به اللجنة العليا للتوعية الإسلامية من حصر للطاقات البشرية القادرة على القيام بأعباء التوعية الاسلامية بين الشباب بصفة خاصة وفي المجتمع بصفة عامة .

ونظرا لما عرفناه عنكم من اهتمام ملموس في هذا المجال ، فانني آمل استيفاء البطاقة المرفقة واعادتها الى امانة اللجنة العليا للتوعية الاسلامية بوزارة المعارف وذلك حتى يتسنى القيام بتصنيف دقيق للامكانيات والقدرات الاسلامية المتواجدة في هذه البلاد واتاحة الفرصة امام الشباب للاستفادة من توجيهاتكم ومشاركتكم البناءة في سبيل تحقيق المجتمع المسلم العامل لدينه وامته .

ولنا كبير الامل في حسن تجاوبكم والله يرعاكم والسلام ،،،،

وزير المعارف
ورئيس اللجنة العليا للتوعية الاسلامية

حسن بن عبد الله آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين بالرياض

الدراسات العليا
قسم : العقيدة والمذاهب المعاصرة



الرقم ... ٦٦ - ٢ ...
التاريخ ٩٩/٨/٩هـ
المشفوعات

الموضوع : طلب اعداد تقرير عن طالب/دكتوراه حسب النموذج المعد لذلك .

فضيلة : الشيخ عبد الرازق عفيفي عطيـة .. الموقر .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

فانى أشكركم على ما تبذلونه من جهد ووقت أثناء قيامكم بمهمة الاشراف على أبنائكم طلاب الدراسات العليا ، ونظرا الى أنكم تتولون الاشراف على الطالب : عبد العزيز بن ابراهيم الشهوان ، الذى يعد رسالة (الدكتوراه) فى موضوع (كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة) ، وحيث إن لائحة الدراسات العليا تقضى بأن يقدم المشرف الى القسم المختص تقريرا عن تقدم الطالب فى بحثه ومدى قدرته على الاستمرار ، كل أربعة أشهر بالنسبة للماجستير ، وكل ستة أشهر بالنسبة للدكتوراه ، ونظرا لتحديد المدة المقررة لانهاء البحث ، ورغبة من الكلية فى الوقوف على الواقع العلمى لطلابها ، للاطمئنان من جهة ، ولمعالجة أوجه النقص - ان وجدت - من جهة أخرى ، ولما هو معهود فيكم من تعاون .

آمل تزويد الكلية بتقرير عن الطالب المذكور وفق النموذج المرافق وأن يستمر ذلك دوريا حسب ما أشير اليه آنفا .

وانى لعلى ثقة من حرصكم ومتابعتكم لأبنائكم ، وترغيبهم فى الجد والمثابرة والانقطاع للبحث ، والأخذ بأيديهم ، وتذليل ما يعترضهم ، مما قد يصرفهم عن البحث أو يعوق تقدمهم فيه .

فلكم من الله الأجر والمثوبة .. والله يتولاكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

عميد كلية أصول الدين

عبد العزيز بن زيد الرومي

مطاوع / --

صورة للقسم المختص ؛ ملف الطالب

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
تلكس ٤٧٠٠٢٢ اسلامي

الرقم ١٧٢
التاريخ ٢٢/٢/١٤٠٣هـ
التوابع ....

سماحة الشيخ / عبد الرزاق العفيفي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . وبعد ،،،

يسرني بأن ابلغ فضيلتكم قرار مجلس قسم الدراسات العليا في جلسته بتاريخ ٧/٢/١٤٠٢هـ . باختيار سماحتكم مشرفا على رسالة الطالب / عبد القادر حبيب الله السندي وموضوعها (ابن قدامه وتخريج احاديث كتابه الكافي) لنيل درجة الدكتوراه .

ارجو التكرم بتثبيت موعد اسبوعي وابلاغ القسم به .

وفق الله الجميع لما فيه الخير ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

رئيس قسم الدراسات العليا

(د / اكرم ضياء العمري)

٢/٢٤/١٤٠٢هـ

الجامعة الإسلامية

مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر



« دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة »

لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

محمود شلتوت

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩ — ديسمبر سنة ١٩٥٩





محاضرات الاساتذة

فى الموسم الثقافى

١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م

مطبعة دار نشر الثقافة
٨ شارع الرافعى بمحرم بك بالاسكندرية

هذا البحث من إعداد والدي الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله

١- وقد روى البخاري ومسلم حديث دعاء الكرب ونصه (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم)

((مبحث العرش والكرسي وما يتعلق بهما))

العرش والكرسي كلاهما حق، وللعرش حملة من الملائكة يحملونه فوقهم، قال الله تعالى: (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به، ويستغفرون للذين آمنوا)، وقال تعالى: (وسع كرسيه السموات والأرض)، وقد ميز الله العرش بنسبته إليه، وخصه باستوائه عليه، قال تعالى: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وقال: (ذو العرش المجيد) وقال: (رفيع الدرجات ذو العرش) وقال: (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) وقال: (الرحمن على العرش استوى) وقال في أكثر من آية (ثم استوى على العرش) فدل ذلك على وجوده وامتيازه واستواء الله عليه، كما دلت الآية الثانية على وجود الكرسي.

واختلف في صفة العرش وموقعه من المخلوقات، فقيل: إن العرش مثل القبة فوق المخلوقات، واستدل لهذا بما رواه أبو داود وغيره في حديث الأطيط من قوله صلى الله عليه وسلم: (إن عرشه على سمواته لهكذا وقال بأصابعه، مثل القبة) أي أشار بأصابعه إشارة تدل على أن العرش يشبه القبة، لكن الحديث ضعيف الإسناد، واستدل لذلك أيضا بما رواه البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن) لكن هذا الدليل على أن العرش كالقبة فوق السموات من جانب واحد، فإن السموات محيطة بالأرض ومع ذلك فهي كالقبة بالنسبة لكل جماعة على سطح الأرض من الجهة التي تليهم، وقيل: إن العرش فلك مستدير محيط بالعالم من كل جهة، وربما سماه أصحاب هذا القول الفلك الأطلس أو الفلك التاسع.

ويرد هذا بأن للعرش قوائم، لما ورد في حديث بيان النبي صلى الله عليه وسلم وفضل موسى عليه الصلاة والسلام بعد قوله صلى الله عليه وسلم: (فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور) فالظاهر أنه كسرير له قوائم، وأن الملائكة تحمله من هذه القوائم، وأيضا العرش في اللغة السرير الذي أعد للملك ليجلس عليه، ولا تفهم العرب من العرش الذي نزل القرآن بلغة العرب، وإذن ليس العرش فلكا مستديرا بل هو كالقبة على العالم مستقر على المخلوقات ومما استشهد لكونه سريرا بشعر أمية ابن أبي الصلت:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء العالي الذي بهر النا س وسوى فوق السماء سريرا

واستشهد لذلك أيضا بما ذكره ابن عبد البر وغيره من الأئمة، من أن عبد الله بن رواحة عرض لامرأته بشعر عن القراءة حينما اتهمته بجاريته ليوهمها به أنه قرآن، وأنه ليس بجنب، قال:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا

١- القول إلى ذي [illegible] ... [illegible]
في العرش إلا كلمة من حديث القبة [illegible] ولا من الأرضين)

وتأول جماعة العرش فقالوا إنه عبارة عن الملك، وهذا تحريف للكلام وإخراج له عن المعنى المتبادر منه بلا دليل، فإنه يبعد أن يقال في تفسير الآية السابقة (ويحمل ملك ربك فوقهم يومئذ ثمانية)، وأن يكون معنى «وكان عرشه على الماء» وكان ملكه على الماء، ويكون معنى أخذ موسى بقائمة من قوائم العرش أخذه بقائمة من قوائم الملك، فكان تفسير العرش بالملك باطلاً.

أما الكرسي فقيل إنه موضع القدمين، وإنه بين يدي العرش كالمرقاة إليه، فهو غير العرش، ويقول ابن عباس: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله، وقيل إن الكرسي هو العرش، ويرده ما تقدم عن ابن عباس، وفسر الكرسي بالعلم، ونسب هذا إلى ابن عباس، ولكن المحفوظ عنه التفسير الأول.

هذا والسكوت عن الكلام في العرش وأنه كالقبة أو مستدير محيط بالكائنات من غير الخوض في ذلك، وكذا ترك التعمق في كون العرش هو الكرسي أو خلافه من غير الجدل وكثرة الحديث فيه، فإن الخوض في ذلك والتعمق فيه من شره الفكر، واستشراف العقل إلى إدراك أمر غيبي لا يعلم إلا بالتوقيف، فينبغي الوقوف عند النقل.

ويجب أن يعلم أن استواء الله على العرش ليس لحاجته إليه، ولا لكون العرش حاملاً له، فإن السماء فوق الأرض ومحيطة بها، ولم يلزم أن تكون السماء في قيامها وتماسكها محتاجة إلى الأرض، ولا أن تكون الأرض حاملة لها، فالله مستو على عرشه، وهو مستغن عنه وعما فيه من الكائنات، وهو فوق عباده حقيقة، محيط بهم إحاطة تليق بجلاله، لا كإحاطة الفلك بما فيه من الكائنات، والجميع قائم بحوله وقوته ابتداء ودواماً، محفوظ بعنايته ورعايته، بجلال قدرته، وتعالى عظمته وعلو كبريائه، قال تعالى: (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) وقال: (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين) وقال: (ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً) وقال: (ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط) وقال: (بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط).

وهذا هو مذهب السلف في صفة الاستواء، وعلو الله على عرشه حقيقة مع التفويض في الكيفية، فقد سئل مالك بن أنس رضي الله عنه كيف استوى الله على العرش، فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، وذكر ذلك حسان بن ثابت في شعره، قال:

شهدت بإذن الله أن محمداً ... رسول الذي فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل من ربه متقبل

البيت

يريد يحيى بن زكريا وأباه زكريا. وسأل مطيع البلخي أبا حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقال: قد كفر، لأن الله يقول: (الرحمن على العرش استوى)، وعرشه فوق سبع سموات، قلت فإنه يقول: إنه على العرش ولكن يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض، قال: هو كافر، لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر، وفي بعض الروايات [illegible] زيادة (لأن الله في أعلى عليين) وهو يدعى من أعلى لا من أسفل. ومن الذي نقل هذا عن أبي حنيفة فهو ممن ينتسب إلى مذهبه الفقهي مع مخالفته له في بعض مسائل الاعتقاد كالمعتزلة.

يدل [illegible] العقول السليمة، والفطر المستقيمة على أن الله عالٍ على خلقه وكثرة [illegible]
بذلك نصوص الكتاب والسنة المعصومة المحكمة

فمن ذلك التصريح بالفوقية مقرونة بأداة (من) المعينة للفوقية تعالى بنفسه، [illegible]،
قال الله تعالى: (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) وقال: (وهو القاهر فوق
عباده وهو الحكيم الخبير). ومنها التصريح بالعروج إليه، قال تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ثم يعرج
الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي، فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون).
ومنها التصريح بصعود العمل الصالح إليه، ورفعه بعض المخلوقات إليه، قال تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه) وقال: (بل رفعه الله إليه). وقال: (إني متوفيك ورافعك إليّ) وكذا عروج النبي محمد
مع جبريل عليهما الصلاة والسلام إلى السموات ليلة الإسراء والمعراج، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه تردد
بين موسى وبين ربه تلك الليلة بشأن تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عليه الصلاة والسلام
عدة مرات. ومنها التصريح بالعلو المطلق الدال على إثبات جميع مراتب العلو: علو الذات، والقدر، والشرف،
قال تعالى في آية الكرسي: (وهو العلي العظيم) وقال: (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا
الحق وهو العلي الكبير) وقال: (إنه علي حكيم). ومنها التصريح في كثير من الآيات بنزول القرآن منه
وتنزيله من الله الذي يقتضي أنه فوق عباده، قال تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) وقال:
(تنزيل من الرحمن الرحيم). وقال: (قل نزله روح القدس من ربك بالحق). ومنها التصريح باختصاص
بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، قال تعالى: (إن الذين
عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) وقال: (وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون) ففرق سبحانه بين من له عموماً وبين من عنده من ملائكته وعبيده
خصوصاً. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: (إن رحمتي
سبقت غضبي). ومنها التصريح بأنه تعالى في السماء، قال تعالى: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم
الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) [illegible] أحد [illegible]
على تقدير المعنى: أأمنتم من على السماء، أو في بمعنى على، والسماء بمعناها العلو، ويكون
المعنى: أأمنتم من في العلو [illegible]) [illegible] هذا الفصل [illegible]. ومنها التصريح بأنه
مستوٍ على العرش خاصة مع المعدية على، وذكر (٦) في الأكثر، وهي دالة على الترفع والعلو
ولا يتأتى مع ذلك تأويلها بالاستواء على العرش بالقدرة أو الاستيلاء عليه. ومنها التصريح برفع
الأيدي إلى السماء في الدعاء، ورفع النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى السماء [illegible] في الاستسقاء وغيره
وثبت عنه أنه قال: (إن الله يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً) أخرجه الحاكم وغيره.

[illegible] إشارة [illegible] الناس في حجة الوداع يوم عيد الأضحى [illegible] فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت) ثم [illegible] السماء [illegible] وهو [illegible] كل شيء [illegible] سؤال الجارية [illegible] في ذلك حيث قال لها أين الله، وشهادته لها بالإيمان [illegible] في السماء وشهد له بالرسالة، فقال: أعتقها فإنها مؤمنة، فهذا [illegible] السؤال والإقرار والحكم بإيمان الجارية منه صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق بربه، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بيانا [illegible] المعنى [illegible] دليل على أن الله فوق السماء، وأنه فوق كل شيء [illegible] النهاية [illegible] الرسل [illegible] كثيرة متنوعة [illegible] بعضها بعضا [illegible] فقد [illegible] التأويل [illegible] النصوص [illegible] الإلحاقية [illegible] سائر [illegible] وبهذا يعود الشرع كله [illegible].

[illegible] قوله تعالى: (وهو القاهر فوق عباده) [illegible] وأنه [illegible] وهو كما ترى [illegible] العقول الرشيدة [illegible] المسلمة: فإنه [illegible] وليس [illegible] بل هو [illegible] فإنه يشبه [illegible] الجوهر [illegible] ومثل ذلك [illegible] الفوقية [illegible] فوقية الذات، وفوقية القهر والغلبة، وفوقية القدر والمنزلة [illegible] من نصوص الكتاب والسنة [illegible] إلا [illegible] بدليل [illegible].

[illegible] بالضرورة [illegible] إذا اقتضى [illegible] ذلك [illegible] الاجتماع [illegible] إلى التوحيد [illegible] قال تعالى: (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أم ما يشركون) وقال [illegible] إلى التوحيد (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) [illegible]

[illegible] أحد وجود الله [illegible] أن يكون [illegible] فهذا [illegible] الأول [illegible] بالإجماع، وإذا [illegible] أن يكون [illegible] وجوده [illegible] الأول [illegible] أو صفة قائمة بالعالم [illegible] وإما أن يكون [illegible] بائنا [illegible] النزول والثاني [illegible] فتعين أن يكون [illegible] وجود [illegible] قائما بنفسه بائنا من خلقه [illegible]

١- الاستدلال بالفطرة على أن الله فوق عباده

وإذا ثبت ذلك كان سبحانه فوق عباده مستويا على عرشه، لأن السفول صفة ذم [illegible]

[illegible] بالذات والعلو صفة مدح وثناء وكمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصا ولا يوجب محذورا ولا

يخالف كتابا ولا سنة ولا إجماعا، بل النصوص وإجماع السلف تثبت ذلك وهو مقتضى [illegible]

وإنكار التأويل وصرف النصوص عن ظاهرها لكونه من الباطل الذي لا تأتي به الشريعة ولا [illegible]

[illegible] والمتأخرين [illegible] نصوص الاستواء والعلو والفوقية [illegible]

[illegible]

في الصلاة والدعاء والذكر والذبح ودفن الميت ونحو ذلك مما يطلب فيه استقبال القبلة، ولهذا سميت القبلة قبلة لاستقبالها بالوجه، فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها لكنه لم يشرع بل نهي عنه، وإنما شرع رفع اليدين، ورفع اليدين إلى السماء حين الدعاء لا يسمى استقبالا لها شرعا ولا لغة، لا حقيقة ولا مجازا. ورابعا: أن الأمر باستقبال القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كالأمر باستقبال بيت المقدس في الصلاة نسخ بالأمر باستقبال الكعبة، ورفع الأيدي إلى السماء في الدعاء والتوجه بالقلب إلى جهة العلو أمر فطري مركوز في طبائع الناس لم يتغير في جاهلية ولا إسلام، يضطر إليه الداعي عند الشدة والكرب مسلما كان أم كافرا، وخامسا: أن من يستقبل الكعبة لا يقع في قلبه أن الله هنالك جهة الكعبة، بخلاف الداعي فإنه يرفع يديه إلى ربه وخالقه ويولي وجهه يرجو أن تنزل عليه الرحمات من عنده، وأجيب عن نقضهم الاستدلال بالفطرة على أن الله فوقهم بما ذكروه من السجود ووضع الجبهة على الأرض بأنه باطل، فإن واضع الجبهة على الأرض في السجود إنما قصده الخضوع لله، والإعلان بكمال ذل العبودية من الساجد لربه ومالك أمره، لا لأنه يعتقد أنه تحته فيهوي إليه ساجدا، فإن هذا لا يخطر للساجد ببال، بل ينزه ربه عن ذلك، ولهذا شرع له أن يقول في سجوده سبحان ربي الأعلى. تعالى الله عن ظنون المكذبين علوا كبيرا.

وما يجب اعتقاده أن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وأنه كلم موسى تكليما، فهي ثابتة لهما [illegible] الله

أما الخلة فهي كمال المحبة، وقد اتخذ الله نبيه محمدا خليلا كما اتخذ نبيه إبراهيم خليلا عليهما الصلاة والسلام، وذلك على وجه يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وقد تخللت محبة الله قلب كل من إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فكمال المحبة ثابت من الجانبين من الله لحبيبيه، ومنهما لله كل على ما يليق بمقامه وحاله، قال الله تعالى: (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) وقال: (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن) يعني نفسه عليه الصلاة والسلام، فتبين لنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتخذ من المخلوقين خليلا، وأنه لا يصلح لذلك، ولو صلح ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الصحابة مثل أبي بكر ومعاذ بن جبل وأسامة بن زيد وعائشة، فتبين بهذا أن الخلة أخص من المحبة، وأنها لكمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة فيها، ولهذا لما أعطى الله إبراهيم الخليل ولده إسماعيل أمره بذبحه ليظهر مقام إبراهيم في كمال محبته لربه، فلما استسلم لأمر ربه وأخذ ينفذ ما أمره به من الذبح ظهر سلطان الخلة في الإقدام على الذبح والشروع فيه، وإيثار المحبة الكاملة لله على محبته لولده، وتم بذلك نجاحه في الامتحان على الوجه الأكمل، ونسخ الله أمره بالذبح، وفدى إسماعيل بذبح عظيم، وشكر الله لإبراهيم وولده على الصبر والاستسلام لأمر الله وطاعته، وبقيت المناسك والقرابين من الهدايا والضحايا، وبقي ذكرهما حسنا في أتباعهما ومن سار على ملتهما الحنيفية إلى يوم القيامة.

وأنكرت الجهمية أصل المحبة وحقيقتها من الجانبين، زعما منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة، وزعمهم باطل لأنه مجرد دعوى تناقضها النصوص الصحيحة الصريحة في إثبات محبة الله للمؤمنين، وإثبات الخلة لإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

هذه المسألة الفقهية من إعداد والدي الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

س: اختلف العلماء فيما إذا كان العيد يوم جمعة، فقال جماعة: من صلى العيد مع الإمام سقطت عنه الجمعة والظهر عليه أيضاً ذلك اليوم، واستدلوا بما رواه النسائي في سننه «المجتبى» بسنده عن وهب بن كيسان قال: اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير، فأخر الخروج حتى تعالى النهار، ثم خرج فخطب فأطال الخطبة، ثم نزل فصلى، ولم يصل للناس يومئذ الجمعة، فذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنهما فقال: «أصاب السنة». وبما رواه أبو داود في سننه بسنده عن عطاء بن أبي رباح قال: صلى بنا ابن الزبير في يوم عيد في يوم جمعة أول النهار، ثم رحنا إلى الجمعة فلم يخرج إلينا فصلينا وحدانا، وكان ابن عباس بالطائف، فلما قدم ذكرنا ذلك له فقال: «أصاب السنة». وبما رواه أبو داود أيضاً عن عطاء قال: اجتمع يوم جمعة ويوم فطر على عهد ابن الزبير رضي الله عنهما فقال: «عيدان اجتمعا في يوم واحد، فجمعهما جميعاً فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر» اهـ. فترك ابن الزبير صلاة الجمعة ذلك اليوم وهو الإمام إذ ذاك، وقول ابن عباس: «أصاب السنة»، وعدم إنكار أحد من الصحابة عليه، وعدم خروجهم ذلك اليوم بعد الزوال لصلاة الجمعة أو صلاة الظهر بالناس دليل على سقوطها وسقوط الظهر عمن صلى العيد معه، بل دليل على سقوطها عنهم وعن غيرهم ممن لم يصل معه العيد ذلك اليوم، ثم إن هذه المسألة من مسائل العبادات، والعبادات مبنية على التوقيف في مثل ذلك، فكان عمل ابن الزبير رضي الله عنهما في حكم المرفوع.

لكن قال أبو البركات ابن تيمية في المنتقى عقب ذكر عمل ابن الزبير: «قلت: وجه هذا أنه رأى تقدمة الجمعة قبل الزوال فقدمها واجتزأ بها عن العيد» اهـ.

ويقال أيضاً: إن إسقاط صلاة الجمعة والظهر عمن صلى العيد خارج عن الأصول التي فرضت على المكلفين خمس صلوات في كل يوم وليلة، وعن الأصول التي دلت على إقامة كل من الصلوات في جماعة، وهي إما صلاة الجمعة أو الظهر، ولم نجد نصاً صحيحاً صريحاً إلا ما روي عن ابن الزبير، وكان من المشروع أن يصلي بمقتضى دليله، لا أن يصلوها أصلاً اكتفاءً بصلاتهم العيد، أو أن يصلوها جماعة بمقتضى دليل مشروعية الجماعة في أمر الصلاة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم ____________

التاريخ ____________

المرفقات ____________

الموضوع ____________

وقال أكثر الفقهاء: لا يرخص لمن صلى العيد في ترك الجمعة ذلك اليوم ولا لغيرهم، بل يجب على من توفرت فيه شروط وجوبها أن يصليها؛ لأن أدلة وجوبها عامة ولم تقرر بين من صلى العيد ذلك اليوم ومن لم يصله، والأصل بقاؤها وذلك حتى يثبت من أدلة الشرع ما يدل على خلافه

إعداد والدي الشيخ عبد الرزاق عفيفي يرحمه الله

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم ١
التاريخ ....
المشفوعات ....

شروط الإجماع عند من قال به

١ – اشترط قوم موافقة العامي لأهل الحل والعقد في انعقاد الإجماع وخالفهم في ذلك آخرون.

٢ – اشترط قوم موافقة المجتهد المبتدع ببدعة أو [illegible] إذا لم تخرجه فسقه عن الملة وخالفهم في ذلك آخرون.

٣ – اشترط قوم موافقة [illegible] أصولي ليس بفقيه وفقيه ليس بأصولي [illegible] ونحوي فيما يتوقف فيه على النحو وخالفهم في كل من ذلك آخرون.

٤ – اشترط قوم أن يكون الإجماع إجماع الصحابة وخالفهم في ذلك آخرون.

٥ – اشترط قوم أن يكون الإجماع من جميع أهل الحل والعقد وخالفهم في ذلك جماعات من العلماء فاكتفى جماعة بإجماع الأكثر مطلقاً وقال آخرون بصحة إجماع أهل المدينة وآخرون بصحة إجماع الخلفاء الراشدين وآخرون بصحة إجماع آل البيت وآخرون بإجماع أهل الكوفة وآخرون بصحة إجماع الأئمة الأربعة الخ.

في صحة انعقاد إجماع الصحابة

٦- اشترط قوم موافقة التابعي الذي بلغ رتبة الاجتهاد في عصرهم وخالف في ذلك آخرون.

٧- اشترط قوم أن يبلغ المجمعون عدد التواتر وخالف في ذلك آخرون.

٨- اشترط قوم انقراض العصر في انعقاد الإجماع وخالف في ذلك آخرون.

٩- اشترط قوم أن يكون الإجماع قولاً أو عملاً وخالف في ذلك آخرون ممن اكتفى بعضهم بالقول من البعض إذا انتشر وسكت الآخرون واكتفى بعضهم بالسكوت ولو بدون انتشار.

١٠- اشترط قوم أن يكون الإجماع عن مستند وخالف في ذلك آخرون.

١١- اشترط بعض من قال بأنه لابد أن يكون الإجماع عن سند كون السند نصاً، وخالف آخرون فأجازوا أن يكون عن قياس.

١٢- اشترط قوم في ثبوت الإجماع ألا يكون بخبر الواحد وأجازه آخرون.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

الرئاسة العامة

الكليات والمعاهد العلمية

المعهد العالي للقضاء

الرقم ....

التاريخ ....

المشفوعات ....

١٣- اشترط قوم في انعقاد الإجماع ألا يسبقه خلاف مستقر بعد
بينهم أهل العصر أو بين علماء العصر السابق لهم
ولم يشترط آخرون ذلك في كل من الحالتين

١٤- اشترط قوم في حجية الإجماع أن يكون في شؤون
الدين عقلية أو شرعية وخالف في ذلك آخرون وقالوا بحجيته
في شؤون الدين والدنيا

هذا الأخير يسمى أحكام الإجماع المختلف فيها لا أنه شروط
انعقاده مثل تكفير جاحده وكونه قطعياً أو ظنياً

يطبع [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية — عبد الرزاق [illegible]

— دار الإفتاء —
والإشراف على الشئون الدينية

الرقم : ....
التاريخ : ....
المرفقات: ....

بحث المعاملات المصرفية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد: فالمعاملات المصرفية أنواع كثيرة متشعبة الجوانب، وبعضها واضح قريب المأخذ لا يحتاج الكثير منها إلى تأمل كثير، أو بذل مزيد من الجهد، وآخر منها يشوبه الغموض ويداخله الاشتباه، فيحتاج إلى دقة في بحثه وبذل الجهد في تمييزه وتشخيصه وتخليصه مما شابه، وإلى بعد نظر في عرضه على القواعد الشرعية والأدلة الكلية وتطبيقها عليه، وهذا يحتاج إلى سعة في الوقت، وتوفر أسباب البحث من كتب ومراجع مما يعين، لذلك رأت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن تقتصر في إعدادها بيانا في المعاملات المصرفية على الأنواع الرئيسية لهذه الأنواع والمعاملات المهمة التي كثر تداولها وانتشر التعامل بها، والتي إذا عرفت وعرف حكمها في الشريعة الإسلامية عرف حكم ما تشعب منها من فروعها الجانبية، وفيما يلي عرض للأنواع التي اختارتها اللجنة وما مهدت به لذلك وبيان للمنهج الذي سلكته:

تعريف الربا، بيان نوعيه - حكمة علته في الأوراق النقدية - الأوراق التجارية «الكمبيالة - السند الإذني - الشيك» الحوالة - الأوراق المالية «الأسهم والسندات» فتح الاعتماد - الضمان البنكي «خطاب الضمان».

في رد شبه في الربا

وقد سلكت اللجنة في إعداد هذا البيان المنهج الآتي:

تصوير المعاملة المصرفية - بيان الغرض منها - الحكم عليها مع الدليل - بيان البديل عند الإمكان للمعاملة إن كانت محرمة شرعا.

ولم تدع اللجنة لنفسها الاستقصاء، ولكنها بذلت وسعها وجهود إمكاناتها في تحقيق ما تراه كافيا في فهم ما وراء ذلك من الفروع، ومعرفة حكمه، ومن الله نستمد الهداية والرشاد، ونسأله التوفيق والعصمة من الزلل، وقصد السبيل إلى الحق والصواب.

السري بن يحيى – شعيب بن إبراهيم – سيف بن عمر – عطية بن سعد بن جنادة [illegible] القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

مكتب نائب الرئيس

الرقم ....

التاريخ ....

المرفقات ....

الموضوع ....

١ – السري بن يحيى بن إياس أبو الهيثم الشيباني ثقة وذكره الأزدي في الضعفاء فقال: أحاديثه منكرة، وقال ابن عبد البر: هو أوثق من الأزدي بمائة مرة، مات سنة ١٦٧ تهذيب التهذيب [illegible]

٢ – شعيب بن إبراهيم الكوفي، راوية كتب سيف بن عمر فيه جهالة، ذكره ابن عدي وقال: ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار وفيه بعض النكرة وفيها ما فيه تحامل على السلف. لسان الميزان للذهبي

٣ – سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب الردة والفتوح قال ابن معين: ضعيف الحديث، وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي، وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال النسائي والدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، قال: وقالوا: إنه كان يضع الحديث، وقال الحاكم: اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط، مات زمن الرشيد. تهذيب التهذيب [illegible]

سئل عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نعم، فقيل له: قبل سورة النور أم بعدها، قال: ما أدري. اهـ

قال ابن حجر في الفتح [illegible] السؤال [illegible] الرجم [illegible] [illegible] بالشيخ والشيخة [illegible] بالمحصن [illegible] [illegible] الحد [illegible] فيحتمل [illegible] على نسخ الجلد في حق المحصن [illegible] يرد عليه أنه نسخ الكتاب بالسنة [illegible] [illegible] بأن الممنوع نسخ الكتاب بالسنة [illegible] [illegible] وأما السنة المشهورة [illegible] وأيضا [illegible] نسخ وإنما هو تخصيص بغير المحصن

وكشف ابن حجر [illegible] الدليل على أن الرجم وقع بعد سورة النور [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] سنة [illegible] سنة [illegible] [illegible] بعد ذلك [illegible] أبو هريرة وإنما أسلم سنة [illegible] وابن عباس إنما جاء مع أمه إلى المدينة سنة [illegible] [illegible] [illegible] ٢٣٢، باب رجم [illegible]

من إعداد والدي الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

١- عصمة دم المسلم مع بيان الأسباب الطارئة التي يحل بها دمه والدليل على ذلك.

وجوب طاعة ولاة الأمور إذا لم يأمروا بمعصية مع الدليل. تحريم الخروج عليهم
[illegible] الترتيب في الدعاء لهم والتحذير من الدعاء عليهم، ووجوب اتباع السنة والتحذير
من الشذوذ والفرقة مع الأدلة، ووجوب حب أهل العدل والإيمان وبغض
ذوي الخيانة مع الدليل. الفرق بين حب الله والحب لله والحب مع الله مع بيان حكم كل
بيان المراد بالمتشابه، بيان ما يجب على المؤمن فيما اشتبه عليه، حكم الجدال في الدين
حكم السؤال [illegible] من المسلمين مع الأدلة. الجهاد [illegible] من أولي الأمر من المسلمين
[illegible] القضايا. الرد على الرافضة في قولهم إن الإمام يجب أن يكون
معصوماً، وأنهم من الأئمة المعصومين، والجواب مع الرد عليهم. المراد بالكرام
وجوب الإيمان بهم مع الأدلة. المراد بالحفظة، وجوب الإيمان بهم مع الأدلة.
المراد بملائكة الموت، وجوب الإيمان بهم مع الأدلة، بيان عدم التعارض
بين النصوص الواردة في ملائكة الموت، وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه
بالأدلة، وجوب الإيمان بسؤال القبر، بيان المسؤول عنه، أسماء
الملكين [illegible] الأدلة، بيان أن عذاب القبر ونعيمه للروح والبدن
[illegible]، الفرق بين دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار مع بيان أحكام
كل، الحكمة من امتحان [illegible] بسؤال القبر ونعيمه وعذابه، الأقوال في سؤال
القبر هل هو عام لكل الأمم أو هو خاص بهذه الأمة، تفاوت أحوال الأمة
في القبور حسب درجاتهم

ينظر ص ٢٥٩ من ج ٨ من فتح الباري
ومن ص ٢٨٢ من ج ٢ من مجموع الفتاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

تفسير آية ادع إلى سبيل ربك
ص ٤١٠ - ٥٠٠ من ج ٢ من مجموع الفتاوى

الرقم ــــــــ
التاريخ ــــــــ
المرفقات ــــــــ

الموضوع: طرق قصة الغرانيق وما قيل في ثبوتها على ثبوت القصة

طريق سعيد بن جبير، الصحيح منها المرسل، وكل ما عداها من الطرق [المرفوع] ضعيف جداً، وقد احتج بها من يرى الاحتجاج بالمرسل، أما من لا يحتج بالمرسل وهو يرى ثبوت القصة فيقول: إن ورود مثل هذه الطرق يقوي بعضها بعضاً فتنهض حجة على إثبات القصة. X

- طريق ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهي مرسلة أيضاً قال ابن حجر فيها للقصة الأولى المتقدم
- موسى بن عقبة [عن ابن شهاب] معضل ... إلى ما تقدم
- طريق أبي العالية وهي مرسلة
- محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس، وفي سندها أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي وهو ضعيف
٦- محمد بن كعب القرظي وحده، وفي سندها محمد بن إسحاق وهو مدلس ولم ... يزيد بن زياد المدني
٧- طريق قتادة بن دعامة، وهي مرسلة، وفيها ...
٨- أبي صالح ... السائب الكلبي وهو كذاب.
ورواه ... موصولاً عن ابن عباس ... من طريق محمد
٩- طريق الضحاك بن مزاحم، وهي مرسلة وإسنادها ضعيف
١٠- طريق محمد بن فضالة الظفري والمطلب بن عبد الله بن حنطب، أخرجها ابن سعد في الطبقات ١/١٣٧ وهي مرسلة وفيها محمد بن عمر الواقدي، وفي إسنادها أيضاً كثير بن زيد الأسلمي.
١١- عن ابن عباس ... من طريق الكلبي ومن طريق أبي بكر الهذلي وأيوب ... ومن طريق سليمان التيمي عمن حدثه، وكلها ضعيفة.

ابن حجر: فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، وقال: ... ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض.

ابن العربي: إذا أرسل الله الملك إلى رسوله خلق له العلم بأنه من عنده ... الإجماع على عصمة الرسول من الشرك، يستحيل أن يكون الرسول ... يستحيل أن يلتبس على الرسول الشيطان بالملك ... الآية لا تدل على صحة القصة بل تدل على براءة النبي مما نسب إليه.
قال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

34 ع 5/65

المملكة العربية السعودية
— دار الإفتاء —
والإشراف على الشئون الدينية

الرقم :
التاريخ : ... ...
المرفقات : ..

س ٧- ما حكم تربية الحمام والأرانب في مكة المكرمة وذبحه فيها، هل يجوز أو لا؟

ج ٧- الأصل في الطيور وسائر الحيوانات أنها مباح ذبحها وأكلها إلا ما نص الشرع على تحريمه من كل ذي ناب من السباع أو مخلب من الطير، قال الله تعالى: ((هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا)) وقال تعالى: ((قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به)) وقال تعالى: ((حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب)) وقال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم، يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ...)) الآيات إلى قوله تعالى: ((وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما)) وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير)) رواه مسلم، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((كل ذي ناب من السباع فأكله حرام)) وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الجلالة وألبانها)) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، ولم يرد نص في الشريعة بتحريم شيء من الأرانب والحمام اقتناء وتربية وذبحا وأكلا، فيبقى على أصل الإباحة إلا ما كان منها غير مستأنس وصاده محرم بحج أو بعمرة أو صيد بالحرم فهو محرم لقوله تعالى: ((لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم)) وقوله: ((وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما)) ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ...)) الحديث، رواه البخاري، ولقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضاهها ولا يصاد صيدها)) رواه مسلم. ويدل على هذا الحكل [illegible] الحرم في الحل ودخل به الحرم أو اشتراه [illegible] أو أرسله [illegible] للمحرم وإن [illegible] ملكه وذبحه وأكله، ومن أحرم وبيده صيد أو في منزله [illegible] ذلك [illegible] لأنما [illegible] على المحرم [illegible] في الحرم ابتداء [illegible] للصيد فقط [illegible] بملكه [illegible] وذبحه [illegible] قال [illegible] أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] ابن الزبير.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم ________
التاريخ ________
المرفقات ________
الموضوع ________

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور، له الأسماء الحسنى، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، وأشهد أن نبينا ونبيكم محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وهدى للمتقين، ففتح به قلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، وأعيناً عمياً، وبين للناس ما نزل إليهم من ربهم لعلهم يتفكرون، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وحافظوا على شريعته الغراء، وعلى سنته المطهرة، ونشروها من بعده، وبعدهم من التابعين إلى أن وصلت إلينا غضة طرية، ورضي الله عنهم وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فقد كتب فضيلة الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد تعليقاً موجزاً مفيداً بعبارات واضحة على القصيدة النونية في التوحيد المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» للعلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ناصر السنة وقامع البدعة، وقوته وطول باعه في شتى العلوم، وفصاحة لسانه وبيانه نثراً ونظماً غني عن الحديث عنه، وقد سمى فضيلته التعليق بـ«المقاصد العلية» بين في تعليقاته معاني المفردات، والمراد بالأبيات بعبارات واضحة، وفقه على طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم، وذكر شواهد الأحكام من الآيات والأحاديث التي أشار إليها الإمام ابن القيم في قصيدته، مع بيان رقم الآية وسورتها، ونسبة الأحاديث إلى دواوينها من كتب السنة، فجزاه الله خيراً، ونفع المسلمين بما كتبه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم ____________
التاريخ ____________
المرفقات ____________

الموضوع ____________

أخي المحترم فضيلة الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد   رعاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأبعث إليك رسالة قصيرة مختصرة بها عدة تعليقات على القصيدة النونية، ولعل في الصحيح والتفسير التي لم أستطع أن أتوسع في الكتابة مفصلة إليك. فإن كانت كافية فالحمد لله، وإلا فأرجو أن تتوسع أنت بعد أن يتوسع في كتابة مقدمة كما كتبت. والله المستعان. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

عبد الرزاق عفيفي

براءة بمنح شهادة التخصص في فقه المالكية والأصول

من **فاروق** ملك مصر بعناية الله تعالى

إلى حضرة العلامة الشيخ عبد الرازق عفيفي عطية النوبي المالكي من شنشور

بمركز أشمون بمديرية المنوفية

رفع إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ما أقره المجلس الأعلى للأزهر

في ١٤ رمضان ١٣٥٥ (٢٨ نوفمبر ١٩٣٦) من نجاحكم في الامتحان النهائي لقسم التخصص بالجامع الأزهر الذي أجري

سنة ١٣٥٥ واستحقاقكم لشهادة التخصص في فقه المالكية والأصول

لذلك أصدرنا بإرادتنا الملكية هذه من أجل منحكم هذه الشهادة مع حقوقها التي تخولها إياها

القوانين والأوامر المتبعة نفع الله بكم وبعلمكم ووفقكم لما فيه الخير

تحريرًا بسراي عابدين الملكية بالقاهرة في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة سنة ألف وثلاثمائة وخمس وخمسين

من هجرة خاتم المرسلين .

مجلس الوصاية

بأمر مجلس الوصاية الموقر

رئيس ديوان جلالة الملك بالنيابة

قيد برقم: ٢٨٦ [illegible]

عبد الرزاق عفيفي عطية

براءة بمنح شهادة العالمية

من فؤاد الأول ملك مصر بعناية الله تعالى

إلى حضرة الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية النوبي المالكي من شنشور بمركز أشمون بمديرية المنوفية

رفع إلينا صاحب العزة وزير الأوقاف ما قرره مجلس الأزهر الأعلى في ١٤ ربيع الثاني ١٣٥١

(١٦ أغسطس ١٩٣٢) من نجاحكم في امتحان شهادة العالمية الذي أجري بالجامع الأزهر في ١٣٥٠

لذلك أمرنا بإصدار براءتنا الملكية هذه من ديواننا بمنحكم شهادة العالمية مع حقوقها التي تخولها لكم القوانين

والأوامر المتبعة، نفع الله الناس بعلمكم ووفقكم لما فيه الخير

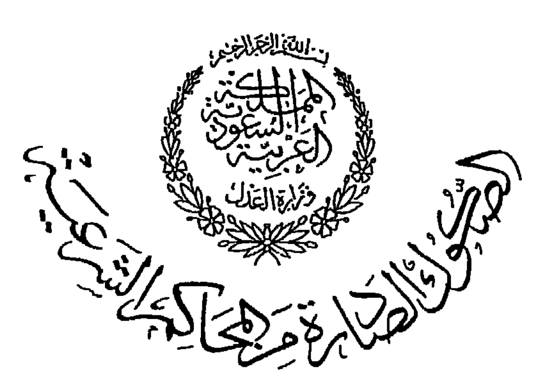
تحريراً بسراي عابدين الملكية بالقاهرة في اليوم الثالث والعشرين من شهر المحرم سنة ألف وثلاثمائة واثنين وخمسين

من هجرة سيد المرسلين.

سجل برقم ٢٧٥٦

صدر بأمر مولاي الملك المعظم

رئيس ديوان جلالة الملك بالنيابة



رقم التسجيل ١١١٤
رقم التسلسل ١٥

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده لدي أنا سليمان بن عبدالله العودة رئيس المحاكم الشرعية بمكة المكرمة حاليا بناء على الاستقضاء توجهت أنا بالذات إلى دار فضيلة الشيخ عبدالرزاق بن عفيفي بن عطية الكائنة [illegible] وعقدت في ذلك مجلسا شرعيا حضر فيه فضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق عفيفي عطية المذكور المعروف لدينا المعرفة التامة وأبدى قائلاً إن من الجاري في ملكي وتحت يدي وتصرفي كامل المحدود أرضا وبناء الموصوف والموضح ذرعه وحدوده بصك التملك الصادر من كتابة عدل مكة المكرمة رقم ٩٦٦ / ٢ / ٢١ ب وتاريخ ٢٦/٥/١٤٠٢هـ وأنني بطوعي واختياري دون جبر أو إكراه قد وقفت كامل المحدود المذكور المكون من طابقين عمارة دار الحديث الخيرية بحارة أجياد بمكة المكرمة واستثنى من ذلك سكناه ومعه أسرته في الطبقة الأولى من ذلك ما دمت حيا وقد جعلت النظارة على هذا الوقف لابني محمد نبيل بن عبدالرزاق ثم من بعده للأرشد فالأرشد من أولادي ثم لأولاد أولادي ثم لأولاد أولاد أولادي وإن نزلوا ذكورهم وإناثهم وعقبهم بطنا بعد بطن ما تناسلوا وتعاقبوا ثم إذا انقرضت ... الأرشد منهم فإنه يتولى النظر من يتولى دار الحديث المذكورة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. هذا وقد جرى الاطلاع على الصك المشار إليه فوجد مطابقا لما نقل منه ومن حيث إنه لا يوجد على المحدود المذكور ما يمنع ومن حيث وقف فضيلته المحدود المذكور بطوعه واختياره حال كونه مالك المحدود أرضا وبناء فقد أجزت الوقف المذكور واعتبرته وأوجبت العمل بمقتضاه وأمرت بالتهميش على صك الملكية بموجبه حرر في اليوم السادس عشر من شهر صفر عام ألف وأربعمائة وأحد عشر هجرية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

رئيس المحاكم الشرعية بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم ....
التاريخ ....
المرفقات ....
الموضوع ....

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه .. وبعد :

فقد وقفت أنا عبد الرزاق بن عفيفي ابن عطية بيتي بحي النسهان التابع لمكة المكرمة المبني من طبقتين على دار الحديث الخيرية بشارع جياد بمكة المكرمة واستثنى من ذلك سكناي ومعي أسرتي في الطبقة الاولى منه مادمت حيا .

ارجو ثوابه من الله تعالى لي ولوالدي ولزوجتي ولأولادي الذكور والاناث الاحياء منهم والاموات ، وقعت على ذلك بشهادة الشهود ، والله خير الشاهدين ، اسأله سبحانه أن يتقبل ذلك مني وينفع به طلبة العلم انه سميع مجيب .. تحريرا في ٦ من شهر محرم ١٤١١هـ .

شاهد	شاهد	توقيع الموقف
[illegible] ١٤١١/١/٨	[illegible]	[illegible]

الحمد لله وحده وبعد: ١٤١١/١/٨
الوقف المذكور صحيح موافق للقواعد الشرعية وقد اعترف به عندي الموقف الشيخ عبد الرزاق المذكور حال كونه صحيح العقل والبدن تقبل الله منه وجعلنا من مثوبته قاله وأملاه الفقير إلى عفو ربه عبد العزيز بن عبد الله بن باز غفر الله له
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم
حرر في ١٤١١/١/٨هـ

صورة لفضيلة مدير دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة للإحاطة والحفظ والعمل بمقتضى هذا الوقف

من أرشيف الجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الرقم ...
التاريخ ...
المرفقات

الموضوع :

من عبد الرزاق عفيفي إلى الأخ الكريم الأستاذ محمد صفوت نور الدين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فبارك الله لك في هذا المنصب تولي جماعة أنصار
السنة المحمدية، وأرجو الله أن يوفقك للقيام بواجبه وأن ييسر لك طريق نصرة
الحق والدعوة إلى التوحيد بالتزام الكتاب والسنة [illegible] المحمدية تحقيقًا لمعنى الجماعة
والله أسأل [illegible] أن يمدك بفضله وتوفيقه إنه سميع مجيب الدعاء
[illegible] الله أن ينفع بك الجماعة وينفعك بهم [illegible]
[illegible] وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه [illegible]
عبد الرزاق عفيفي

انتخاب الرئيس العام

بتوفيق من الله تعالى وحسن رعاية منه لدعوة التوحيد ، تم اختيار فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرزاق عفيفي رئيسًا عامًا لجماعات أنصار السنة المحمدية ، وذلك في الجمعية العمومية التي

بسم الله الرحمن الرحيم

جماعة أنصار السنة المحمدية ٣٩٥٥٧٦
المركز العام ٣٩٥٤٥٦ - فاكس : ٣٩١٥٥٧٦

إلى الوالد الفاضل الجليل والشيخ الكريم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي

السلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته أمابعد :

أكتب لكم هذه الرسالة وأنا آمل من المولى القدير جلّ شأنه أن تصلكم وأنتم في خير وعافية في الدين والدنيا والآخرة . ولقد جئت إلى العمرة في رمضان ثم إلى الحج علي أمل اللقاء بكم طلباً للنصيحة وبياناً لحال الجماعة في مصر بعد أن أبتليتُ بما لا يخفى عليكم من أمر الجماعة وسيرتها، وقد أحضرت معي أول عدد من مجلة الجماعة والذي شرف بمقالين منكم، ثم آخر عدد والذي شرف بأن نقلنا مقالاً من مقدمة أحد الكتب وكانت بقلم فضيلتكم، آملاً قبولها من ابنكم الذي وقع في هذا لاختبار برئاسة الجماعة ولست لها بأهل، لذا فإنني أكتب إليكم مستنصحاً لي ولإخواني في الجماعة بالقاهرة والأسكندرية وسائر الفروع التي قاربت علي المئة فرع، منها سبعين فرعاً مسجلاً والباقي تحت التسجيل .

لا أريد الإطالة وإن كنت أود مقابلتكم، والله أسأل أن يوفقنا للقاء وأن يؤيد خطاكم ونحن في انتظار نصيحتكم الغالية .

وقد أرسلت هذه الرسالة بيد الأخ الشيخ الهبيدان .

والسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتبه فقير عفو ربه ورضوانه

محمد صفوت نور الدين أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة ادارة البحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم : ....
التاريخ : ....
المرفقات : ....

فتوى رقم (١٦٨٧٢) وتاريخ ٢٢/ ٢/ ١٤١٥هـ.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. وبعد :

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من المستفتي/سيف الدين جعفر أحمد الجلاد . والمحال إلى اللجنة من الامانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم(٤٢٠٦) وتاريخ ١٤١٤/٩/١٦هـ. وقد سأل المستفتي سؤالاً هذا نصه : (سماحة الشيخ يدور عندنا في السودان وبين الجماعة السلفية نفسها جدل ولغط حول بعض النقاط فالرجاء من سماحتكم توضيحها لنا زادنا الله وإياكم علماً وفقهاً في دينه .

جماعة أنصار السنة المحمدية جماعة معروفة لديكم خرج بعض الإخوة عن خط الجماعة وصاروا يهاجمونها ويصفونها بأنها (جماعة من بني جلدتكم يتكلمون بألسنتكم من أجابهم قذفوه في النار) هكذا وصف هؤلاء الإخوة هدانا الله وإياهم طريقه المستقيم هذه الجماعة بهذه الصفة اعتماداً على حديث حذيفة بن اليمان (حديث الفتنة) وأسباب ابتعادهم تتلخص في الآتي :

تسمية الجماعة السلفية في السودان بأنصار السنة المحمدية يعتبرونه بدعة . جماعة أنصار السنة حزب كغيرها من الأحزاب والجماعات الضالة .

سماحة الشيخ هذا الموضوع أحدث انشقاق في صفوف الدعوة السلفية قد عاق ويعوق مسيرة الدعوة الى التوحيد في بلد عامة مواطنيه جعلوا الصوفية منهجاً لهم . بل جعلت من ينتمي إلى هذه الجماعة من الشباب يقف موقف المحتار لا يدري مع من الحق ؟ بل صار التساؤل اذا لم تستطع الدعوة السلفية في السودان تجميع أفرادها القليلين وأنشقت على نفسها فكيف ستجمع المسلمين في أنحاء العالم ؟ مع اليقين التام إن شاء الله بأن الله سيظهر الحق ويدمر الباطل وأعداء الدين) .

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بأن جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر ثم السودان جماعة اسلامية سنية سلفية ، تدعوا إلى الله على منهاج النبوة في التوحيد ، والتعبد والسلوك ، وتعقد الولاء والبراء على الكتاب والسنة ، هذا ماهو معروف عنها - ولله الحمد - .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)

تابع الفتوى رقم (١٦٨٧٢) وتاريخ ٢٩/ ٢/ ١٤١٥هـ.

فهي تمثل جماعة المسلمين الحقة في وسط هذه المجتمعات التي تعج بأنواع الفرق والنحل ، وقد نفع الله بهم خلقاً كثيراً من العلماء وطلبة العلم ، وعامة الناس ، وهذا الإسم « جماعة أنصار السنة المحمدية » إنما صار لتتميز به أمام الجماعات والفرق التي داخلتها البدع والأهواء المضلة . وعقد الولاء والبراء ليس على هذا الإسم وإنما هو على الكتاب والسنة والحب في الله والبغض في الله .

ولهذا فلا يجوز تفرقهم ، ولا تفريق كلمتهم ، ومن سعى في هذا أو رماهم بالتحزب المقيت فقد اعتدى عليهم ، وظلم نفسه ، وهذا من الفتون في صدع الصف وتفريق جماعة المسلمين التي تترسم هدى النبي - صلى الله عليه وسلم - ونوصيكم وأنفسنا بتقوى الله في السر والعلن ، وعدم الإلتفات إلى من يريد تفريق الكلمة ، والحرص على التزود من العلم النافع ونشره بين الناس وبخاصة توحيد الله سبحانه وتعالى في عبادته وفي أسمائه وصفاته ، والتحذير من الشرك والطرق المضلة . ثبتنا الله وإياكم على الإسلام . وبالله التوفيق .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . . . .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	عضو	الرئيس
بكر بن عبدالله أبوزيد	عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ	صالح بن فوزان الفوزان	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم : ٢٢١٥١٢/ش
التاريخ : ١٤٠٢/٥/٢٧
المرفقات :

الموضوع

الى من يهمه الامر وفقهم الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

من خصوص مجلة التوحيد التى تصدرها جماعة انصار السنه المحمدية فى جمهورية مصر العربيه - هي مجلة اسلاميه تنشر العقيدة الصحيحة وتدعو الى الاخلاق الفاضله وتحذر من البدع وسائر الأمور المخالفه للشرع المطهر فهي جديرة بالدعم والمساعدة والاشتراك فيها حتى تستمر فى جهادها المبارك فى نشر الحق والفضيلة . . ونسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه انه جواد كريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . .

الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد نصيف

جدة – الحجاز – السعودية

من جدة في ١٧ صفر ١٣٩١ إلى الرياض

صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرزاق عفيفي السلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلني كتابكم وبعد فكتاب
الوشيعة نشكر الله جزيلا . بلغني من الأستاذ الشيخ علي
الطنطاوي أن الأستاذ أحمد أمين كتب في كتابه
ضحى الإسلام كلاما وثوبا على الرافضة سبق
الشرح لعله نص الرد الجديد عليهم ، وإني أرجو
الآن أن تبعثه ولعلي أجد شيئا من مؤلفاته
كأن أوجد كتابه المذكور أرسل لكم ولا أستطيع
يوجد في الرياض سلموا على المشايخ والأولاد
وسلم لحضرتنا سالمين عليكم [illegible]

قد وصفت لكم الأستاذ حسن جار الله
أخلاق عجيبة ...

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

مكتب الرئيس

الرقم ....

التاريخ ٢٠ من جمادى الأولى ١٣٩٧

المرفقات ....

أخي الكريم الأستاذ محمد زهير الشاويش رعاه الله وحفظه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فأرجو أن تكونوا والأسرة والأصدقاء بخير وعافية في دينكم ودنياكم.

أخي الكريم: حالنا تسركم، ويسعدنا أن نزف لكم ليتم سرورنا بكم، وتطمئن قلوبنا باطمئنانكم تيسر الأمر الجميع، وكتب الله لنا ولكم حسن العاقبة. بناء على ما أبداه الأخ الفاضل الأستاذ محمد الصباغ من رغبتكم كلمت فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز في ذلك فتقدم بشأنكم للداخلية يطلب تخفيف الرقابة، وسأذكره اليوم من أجل التعقيب على المطلوب. وأرجو الله أن يحقق لنا ولكم ما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

تقبل سلامي وسلام أولادي وفضيلة الشيخ عبد العزيز ابن باز والشيخ صالح، وبلغ السلام أولادك والأخ الشيخ ناصر ومن يسأل عني. وإلى اللقاء في خير حال إن شاء الله. والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوك في الله

عبد الرزاق عفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الشيخ محمد نصيف من إبراهيم جدة المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلتني الكتب شكر الله وأدام النفع بك وأجزل لك الأجر على يد [illegible] المفتي الشيخ [illegible] سماحتك وأنك شفعت له حتى أنه يأخذ أوراقا من المملكة السعودية جزاك الله خيرا وأتم له مطلوبه

تفضل [illegible] سلام أولادي وهم يسلمون عليك وسلموا على المشايخ ومن يلوذ بالسلام أبنائكم [illegible] [illegible] [illegible] حياة [illegible] [illegible] [illegible] والأحمد [illegible] عليكم السلام

محبكم [illegible]

عبد الرحمن [illegible]

٩ شوال ١٣٢٨ هـ

أجيب ٥ شوال ٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ ١٥/٩/١٣٨٧هـ
المشفوعات

أخي الكريم الأستاذ محمد زهير الشاويش   رعاه الله وأهله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فكل عام وأنت والأهل ومن لديك من المحبين بخير وعافية في دينكم ودنياكم، وفقني الله وإياكم لصيام هذا الشهر المبارك وقيامه وتقبل منا ومنكم وجمعنا في الدنيا على طاعته وفي الآخرة بدار كرامته.

أخي الكريم أبلغني سلامكم الأخ الشيخ عبد الله العجلان وأعطاني الهدية الكريمة شكر الله لك الجميل المتتابع ووفقني لشكره فإن أياديك قد كثرت لدي جزاك الله خيرا

أثنى عليك الشيخ عبد الله العجلان بما أنت أهله والحمد لله وذكر لي الكثير من مآثركم المباركة التي هي عنوان الصدق في الأخوة والإخلاص زادكم الله فضلا

كنت مع الأخ الأستاذ محمد الصباغ يوم الجمعة ١٤ من رمضان فأخبرني بأنك مسافر فنرجو لك من الله شفاء عاجلا وصحة دائمة ونرجو أن تحضر في موسم الحج لنسعد بلقائك

تقبل سلامي وسلام أولادي وهم يقبلون يديك وبلغ السلام أولادك وأولادهم الكرام والأستاذ عصام والأستاذ حامد، وتقبل سلام الأستاذ أبو الطيب والأستاذ [illegible] محمد وعموم المحبين والسلام عليكم

أخوك عبد الرزاق عفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم الأستاذ زهير رعاه الله وأهله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأهنئك بشهر رمضان المبارك وأرجو الله أن يوفقنا وإيّاكم لصالح العمل ويتقبل منا ومنكم ويجعله شاهداً [illegible] للمسلمين

سرني ما ذكرت في كتابك من العزم على طبع كتاب شرح السنة للإمام البغوي وكتاب [illegible] وشروعك في طبع مختصر [illegible] عبد الرزاق [illegible] سرني [illegible] من إشراف الأخ الكريم الشيخ [illegible] الأسعد الأعظمي على طبع كتاب [illegible] عبد الرزاق وتطبيق الشيخ المحترم ناصر الألباني على [illegible] وتخريجه لأحاديثه [illegible] [illegible] ما قصدت [illegible] الله [illegible] [illegible] المسلمين

[illegible] تحيات [illegible] أكثر الله أمثالك [illegible] أخوك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وأخوتك [illegible] [illegible] والأستاذ محمد الصباغ [illegible] [illegible] أولادك [illegible] الله [illegible] [illegible] الشيخ [illegible] الرئاسة وفضيلة الشيخ ناصر [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] الإسلام [illegible]

أخوك في الله عبد الرزاق عفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم زهير الخالد - المدينة -

المملكة العربية السعودية
الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة

الرقم ....
التاريخ ....
التوابع ....

الموظفيـــن

- - - -

من عبد العزيز بن عبدالله بن باز الى حضرة الاخ المكرم فضيلــة الشيخ عبد الرزا ق عفيفي وفقه الله
ســــلا م عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ../

تسلمت خطابكم الكريم وصلكم الله بهدا ه وبخصوص شفاعتكم للا ستاذ زهير خا لد . نقدر هذه الوساطه واذا سنحت فرصة العمل للمذكور فى الجامعة نخبركم ان شاء الله تعالى ونسأ ل الله للجميـــع حســن التوفيـــق وســـلامى لكل عزيز . حفظكم الله .

ح/ـــ

نائب رئيس الجامعة الاســلاميه

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
للكليات والمعاهد العلمية
المعهد العالي للقضاء

الرقم
التاريخ ٢٢/٩/١٣٨٩هـ
المشفوعات

أخي الكريم الأستاذ زهير الشاويش رعاه الله وأهله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فكل عام وأنتم في الأسرة والأصدقاء بخير وعافية في دينكم ودنياكم. أسأل الله أن يتابع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وأن يعيد على الجميع المواسم الإسلامية بالخير والسعادة ويرزقنا صالح العمل ويتقبل منا ومنكم

تقبل سلامي الأخ [illegible] والأولاد وتهانيهم ويبلغ السلام والتهنئة أولادك الأعزاء وإخوانك المخلصين مع سلامي الحار إلى العائلة مع السلام عليكم. لا

مرسل لحضرتكم نسخة من كتاب الإحكام للآمدي ٢ أرجو قبولها وبعد تصحيح ما فيها من أخطاء مطبعية أرسل لكم بيانا عن ذلك إن شاء الله وشكرا لكم

أخوك
عبد الرزاق عفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالرحمن بن عثيمين إلى حضرة الأديب المحترم سعد ابن معطي الرويت

السلام عليك وعلى والدك وأخوتك وأنجالك ورحمة الله وبركاته

وبعد فكل عام وأنتم بخير أعاده الله علينا وعليكم رمضان والعيد بخير وسلام

شاء الله أن أراك قريبا وأمتع نفسي بحديثك الشيق وجلساتك

المباركة فقد كتب إلي الشيخ محمد بن إبراهيم بأن جلالة الملك أمر المعارف

بانتقالي إلى الرياض على أن أحضر في غرة شوال ١٣٧٠ فعسى أن

يكتب الله لنا اللقاء وأن يكون سفري إلى نجد بصحبتك

لعلك قضيت أيام رمضان بالطائف في قربة وعبادة وصحة وعافية

فتمتعت بهوائه العليل ووفيت لرمضان بحقه وما أخالك إلا فعلت

فإن ذلك المعهود بك

أولادي كلهم بخير إلا إبراهيم فقد [illegible] وهم يسلمون عليك

[illegible] السرطان

أما الشيخ عبدالله وعلي فقد سألا عنك وعن نجلك فبشرتهما

مقدما وهما بخير ولا بد أن الأحديث كذلك بالخير وقد أرسلت الخطاب

إليهما وشاكرون معروفا قريبا لعمل إجراءات السفر للرياض إن شاء الله

أرجو أن تشرفني بتبليغ سلامي والدك وأخوالك ومن لديك من الأحباب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبك

عبدالرحمن العثيمين

١٣٧٠ [illegible] رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأديب الشاعر النبيل سعد أبي مصطفى رعاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد أهديت
إلي شعرك وتمثل لي خير ذوقك وراقني منه رصانة أسلوبك
وحسن بيانك وزادني ذلك شوقا إلى لقائك والجلوس
إليك ولعل خيالك الشعري الرهيف أنبأك عن [illegible]
ليذهب عنك ما بك من الحيرة والتردد في معرفة الذي
انتهيت إليه ولتنشرح صدري بكثرة الكتابة إليك [illegible]
تحاسبني على التقصير في حقك فقد بلغ غاية [illegible]
معها الحساب. بلغ سلامي أخاك العزيز وأنجالك وعموم إخوانك
أراني الله وجوهكم على خير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الرزاق عفيفي

٢/٦/١٣٧٢

وصلت إلي رسالتك الميمونة بعد أن كتبت إليك تلك الكلمة
وقبل إرسالها
أرجو أن تشرفنا وتطيب نفسا بمراجعتي بريدية وحسن معاشرة
أهل [illegible] وإقبال طلبة المعهد على دروسهم برغبة صادقة
أولادي لم يحضروا من الظروف ترجع إلى إدارة الأزهر [illegible]
[illegible] أمن ذلك [illegible] استقلالي [illegible]
قبل مغادرتي مصر بيوم ١٦/٦/١٣٧٢ بلغ تحياتي الشيخ علي جبر

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الرزاق عفيفي حفظه الله عليه دينه ودنياه وصحته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد . .

فأرجو أن تكونوا أنتم والأنجال بوالدتهم في صحة وعافية كما أرجو أن تكونوا متمتعا

بهدوء البال وزوال الأكدار المنغصة . .

لقد استلمت من الشيخ عبد اللطيف مبلغ ٨٩٧ ريالًا ١٢,٥٠ وسلمتها لمحمد ابراهيم لم

كنت أود أن أعزيك في صديقك الحبيب الشيخ محمد رحمه الله فقد وافاه الأجل

في شهر شوال ولم أتمكن من الكتابة إليك الشهر . أظن أنك لست في حاجة إلى أن

أدلك على الشخص بالبيئة العلمية . إنك قابلت الشيخ عبد العزيز بن عبد الله وإنه أخبرك

ماذا فعل الله بأحمد عاصم لعله نجح ولعله جد ومجتهد في دروسه .

هذا وأرجو ابلاغ سلامي أنا وعلي إلى جميع الأهل والإخوان وخصوصا الشيخ محمد عبد الله

والشيخ عفيف الحسيني وأولاده والشيخ محمد بن ابراهيم وجميع الإخوان والمشايخ

الذين يسألون عنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كما أننا نهنئكم بعيد الأضحى المبارك أعاده الله علينا وعليكم بالخير والسعادة .

١٠ ذي الحجة ١٢٧٤ عبد الكريم علي يابس

٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

المعهد العلمي بالرياض

الرقم . . ________

التاريخ . ١٧/٦/١٣٧١

المشفوعات ________

حضرة الأديب المحترم الشيخ سعد ابن معيض رعاه الله بعينه ورعايته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فمنذ رأيتك والدك ورأيته فيه من كرم الأخلاق وسماحة النفس وسلامة الفطرة ونفوذ الفطنة ما [illegible] فيك يوم رأيتك لأول مرة بالطائف فتجلت في قسمات وجهك بشائر الخير ولاحت في جبينك بوادر المعروف وبذلك كتب الله لي الحسنيين صحبة الدراسة والتونسه الليالي بالطائف ومكة ثم بالرياض وتلك نعمة أرجو أن يتمها الله لجليس [illegible] وأن يتيح لي ولكم فرصة اللقاء والمواصلة ويكتب لنا الحب والوداد على [illegible] ١٥٠ ريال [illegible] الحبيب والدك المحترم لوجه الكريم [illegible] الشيخ عبد الله [illegible] الشيخ عبد الله [illegible] محمد عبد الكريم [illegible] الشيخ [illegible] وكذا الشيخ محمد عبد الرحيم [illegible] والمحبين [illegible] أخيك وأخوانك [illegible]

والسلام عليكم

محبكم [illegible]

نفسي تحدثني باللقاء آخر شعبان ١٣٧١ ببيت الله الحرام [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام

ت : ٣٩١٥٥٧٦
٣٩١٥٤٥٦

فاكس : ٣٩١٥٥٧٦

مكتب الرئيس

التاريخ : / / ١٤

التاريخ : / / ١٩

إلى الوالد الفاضل الجليل والشيخ الكريم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

أكتب لكم هذه الرسالة وأنا آمل من المولى القدير جل شأنه أن تصلكم وأنتم في خير وعافية في الدين والدنيا والآخرة. ولقد جئت إلى العمرة في رمضان ثم إلى الحج على أمل اللقاء بكم طلباً للنصيحة وبياناً لحال الجماعة في مصر بعد أن ابتليت بالإعفاء سائلكم من أمر الجماعة وسيرها وقد أحضرت معي أول عدد من مجلة الجماعة والذي تشرف بمقالكم ثم آخر عدد والذي تشرف بأن نقلنا مقالاً من مقدمة أحد الكتب وكانت بقلم فضيلتكم آملاً قبول اعتذار ابنكم الذي وقع في هذا الاختيار برئاسة الجماعة ولست لها أهلاً لذا فإنني أكتب إليكم مستنصحاً لي ولإخواني في الجماعة بالقاهرة والإسكندرية وسائر الفروع التي كانت على المنهج منذ ... سلفاً والباقي تحت التسجيل.

لا أريد الإطالة وإن كنت أود مقابلتكم والله أسأل أن يوفقنا للقاء وأن يؤيد خطاكم وحسنه في انتظار نصيحتكم الغالية.

وقد أرسلت هذه الرسالة بيد الأخ الشيخ صالح العبيدان

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكتبه فقير عفو ربه ورضوانه محمد صفوت نور الدين

محمد صفوت نور الدين

رئيس عام جماعة أنصار السنة المحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الامانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم ....
التاريخ ....
المرفقات ....

الموضوع.. ....

صاحب الفضيلة عميد كلية العلوم الاجتماعية بالرياض التابعة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية رعاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

فحامل كتابي اليك ماهر امين محمد عبدالمجيد شاهين مصر الجنسية قد تقدم باوراقه الرسمية للالتحاق بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض فارجو قبوله ، عسى ان ينفعه الله بدراسته فيها ، وينفع به المسلمين . جزاك الله خيرا وجعل منك عونا على فعل المعروف .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اخوك في الله

عبد الرزاق عفيفي
نائب رئيس
اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم : ....
التاريخ : ....
المرفقات : ....
الموضوع : وصية

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد: فأوصيكم أولادي وأقاربي وإخواني بتقوى الله وطاعته، والوقوف عند حدوده وشريعته، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تمسكوا بما صح من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وإياكم والشذوذ، فإن من شذ شذ في النار، وإياكم ومخالطة الأشرار، فإنها عار وشنار، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً في الله متحابين، يكتب الله لكم العزة والقوة، ويمددكم برحمة منه وفضل، وصلوا الأرحام واجتنبوا القطيعة، فإن من وصل الرحم وصله الله، ومن قطعها قطعه الله، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأكرموا الضيف وارحموا الضعيف وافعلوا الخير لعلكم ترحمون.

أهلي أولادي إذا أنا مت فإياكم والنياحة والندب والصياح ولطم الخدود وشق الجيوب ودعوى الجاهلية فإنها مسخطة للرب مضرة للعبد.

أولادي إذا أنا مت فليغسلني رجل من إخواني أهل الخير، وليصل علي أهل التقوى والصلاح، وليعجل بدفني في البلدة التي أموت فيها، ومن أحبني فليخلص لي الدعاء بالمغفرة ورحمة الله ورضوانه؛ وإن أحب أحد أن يتصدق عني بشيء من ماله فليفعل عسى الله أن ينفعني بذلك وينفعه به.

أولادي: ليرحم كبيركم صغيركم، وليوقر صغيركم كبيركم، والحذر الحذر من الأثرة والتكالب على الدنيا، فإن متاعها قليل، ومصيرها إلى الفناء، والآخرة هي دار القرار،

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم. عبد الرزاق عفيفي



المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن باز، الداعية الإنسان، مؤسسة «عكاظ» للصحافة والنشر، جدة- المملكة العربية السعودية.

٣- ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين، محمد خليل هراس، ط دار الكتب العلمية- بيروت.

٤- ابن حزم حياته وعصره، آراؤه وفكره، محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي- القاهرة.

٥- ابن قدامة وآثاره الأصولية، عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٦- أبحاث هيئة كبار العلماء، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٧- أبو داود، حياته وسُننه، محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت- الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٨- أبو العتاهية، شاعر الزهد والحكمة، محمود فرج عبد الحميد العقدة، دار العلوم للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٠٥هـ.

٩- أحاديث القصاص، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.

١٠- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تعليق عبد الرزاق عفيفي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١١- الإحكام في أصول الأحكام، أبي محمد علي بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي- القاهرة.

١٢- أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة، عبد الغني الدقر، ط دار القلم- دمشق- الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

١٣- إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ط دار الريان للتراث، القاهرة.

١٤- أخلاق العلماء، أبي بكر بن الحسين بن عبد الله الآجري، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٥- أدب الدنيا والدين، أبي الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي، ط دار الريان للتراث- القاهرة، والدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٦- الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، ط مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

١٧- الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، محمد بن عبد الله بن سُبيل، مطابع الصفا، مكة المكرمة.

١٨- الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية، عبد الحميد بن باديس، ضبطه علي بن حسن عبد الحميد، دار المنار للنشر، الرياض.

١٩- الأزهر الشريف في عيده الألفي، إشراف محمد السعدي فرهود، عز الدين إسماعيل، سعد درويش، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٢٠- الأزهر في ألف عام، محمد عبد المنعم خفاجي، ط المطبعة المنيرية بالقاهرة.

٢١- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، تصحيح أحمد محمد مرسي، ط حديث أكاديمي باكستان.

٢٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية، ط مطبعة السعادة ـ مصر.

٢٣- الأفنان الندية شرح منظومة السبل السوية لفقه السنن المروية، نظم حافظ بن أحمد الحكمي، تأليف زيد بن محمد بن هادي المدخلي، ط دار علماء السلف الاسكندرية، ومكتبة العلم بجدة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٢٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٢٥- اقتضاء العلم العمل، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ.

٢٦- الألباني حياته وآثاره، محمد بن إبراهيم الشيباني، جمعية إحياء التراث، الكويت، الطبعة الأولى.
٢٧- الإمام البخاري، تقي الدين الندوي المظاهري، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
٢٨- الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث، خليل إبراهيم قوتلاي، دار البشائر، بيروت، لبنان.
٢٩- الإمام النووي، عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
٣٠- الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره، ط دار المعارف القاهرة.
٣١- بحوث في الاقتصاد الإسلامي، عبدالله بن سليمان بن منيع، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٢- البداية والنهاية، أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق أحمد أبو ملحم، فؤاد سيد، علي نجيب عطوي، مهدي ناصر الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة والعشرون.
٣٤- تاريخ التعليم في مكة المكرمة، عبدالرحمن صالح عبدالله، ط دار الشروق.
٣٥- تذكرة الحفاظ، أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الهندية الثالثة ١٣٧٥هـ.
٣٦- التصريح بما تواتر في نزول المسيح، محمد أنور شاه الكشميري، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٣٨٥هـ.
٣٧- تطور الحركة الوطنية بمصر، عبدالعظيم محمد رمضان، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٣٨- تفسير الجلالين، من سورة غافر إلى سورة الناس، عبدالرزاق عفيفي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٦هـ.
٣٩- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر.
٤٠- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة دار التراث القاهرة.

٤١- التفسير القيم للإمام بن القيم، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار العلوم الحديثة، بيروت.

٤٢- تقريب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سورية، حلب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٣- تلبيس إبليس، جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

٤٤- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ط المكتب الإسلامي، تحقيق زهير الشاويش، بيروت، لبنان.

٤٥- توجيهات وذكرى، صالح بن عبدالله بن حميد، مكتبة الضياء - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٦- جامع الأصول، مجد الدين أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، بيروت، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان ١٣٨٩هـ.

٤٧- جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي، ط دار الكتب الحديثة، القاهرة، والمكتبة السلفية بالمدينة النبوية ١٣٨٨هـ.

٤٨- الجامع الفريد، كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية، ط محمد إبراهيم النعمان، المدينة المنورة.

٤٩- الجمعة ومكانتها في الدين، أحمد بن حجر آل أبو طامي، قطر، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

٥٠- جهاد الدعوة، محمد الغزالي - دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٥١- الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، حسن محمد مشاط، تحقيق عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، ط مكة المكرمة.

٥٢- حجية السُّنة، عبد الغني عبد الخالق، ط المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٥٣- الحركة الإسلامية في مصر، محمد مورو، ط الدار المصرية للنشر، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٥٤- الحطة في ذكر الصحاح الستة، صديق حسن خان، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٥- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر بن عبد الله أبو زيد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٥٦- حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط دار الراية، الرياض.

٥٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، ط دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٥٨- دراسات عربية وإسلامية، إشراف أيمن فؤاد سيد، أحمد حمدي إمام، ط دار المدني ومكتبة الخانجي بالقاهرة.

٥٩- دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، ط دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٦٠- دور القصر في الحياة السياسية في مصر، سامي أبو النور، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٦١- رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية.

٦٢- الرد الوافر على من زعم بأن من سمّى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، لابن ناصر الدين، تحقيق زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٣- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، صالح بن عبدالله بن حميد، ط دار الاستقامة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

٦٤- الزهد، هناد بن السري، تحقيق محمد أبو الليث الخير آبادي، عُني بطبعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، قطر.

٦٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ.

٦٦- السلطان عبد الحميد الثاني، موفق بن المرجة، ط مؤسسة صقر الخليج، الكويت.

٦٧- سنن ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ـ مصر.

٦٨- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة حمص.

٦٩- سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

٧٠- سنن الدارمي - عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، ط دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٧١- سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية السندي، ط طبع استانبول

٧٢- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ.

٧٣- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ.

٧٤- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٥- شرح السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

٧٦- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - تحقيق جماعة من العلماء، وتخريج محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ.

٧٧- شرح العقيدة الواسطية، أحمد بن تيمية، شرح محمد خليل هراس، مراجعة عبدالرزاق عفيفي.

٧٨- الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، أحمد بن علي علوش مدخلي، ط مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٧٩- الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية - أحمد بن حجر آل أبو طامي، قطر.

٨٠- الصحاح، تاج اللغة والصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٨١- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد بن ناصر الدين الألباني، بترتيب زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
٨٢- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٨٣- صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.
٨٤- صحيح مسلم بشرح النووي، ط دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٨٥- صفحات من صبر العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.
٨٦- صيد الخاطر، أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق عبدالرحمن البر، ط دار القبلتين بالرياض، واليقين بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٨٧- عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٨٨- عظماؤنا في التاريخ، مصطفى السباعي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
٨٩- العقد الفريد، أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، شرح أحمد أمين، إبراهيم الأبياري، عبدالسلام هارون، ط دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٩٠- علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ط مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
٩١- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ط دار الاعتصام بالقاهرة.
٩٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش، ط دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٩٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح عبدالعزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، ط محب الدين الخطيب، دار الفكر القاهرة.
٩٤- الفَرْق بين الفِرَق، عبد القاهر البغدادي، ط دار الآفاق بيروت.
٩٥- فضل علم السلف على الخلف، زين الدين عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق مروان العطية، ط دار الهجرة، بيروت ١٤٠٩هـ.

٩٦- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٩٧- كتاب الأسماء والصفات، أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق عبدالله بن محمد الحاشدي، ط مكتبة السوادي جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٩٨- كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، ط مطبعة سندة ـ القسطنطينية.

٩٩- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، دراسة وتحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ط دار الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٠٠- كتاب الزهد، وكيع بن الجراح، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار، ط مكتبة الدار بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٠١- لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠٢- لمحات تاريخية عن توحيد المملكة العربية السعودية، سيف الدين حسين شاهين، ط دار الأفق، الرياض ١٤١٤هـ.

١٠٣- مالك، حياته وعصره، أراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بمصر.

١٠٤- مقالات الكوثري، محمد زاهد الكوثري، دار شمس، كراتشي، باكستان.

١٠٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب، عبد الرحمن بن قاسم وولده محمد، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

١٠٦- المجموع شرح المهذب، أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، الطباعة المنيرية ـ مصر.

١٠٧- محمد ﷺ المثل الكامل، أحمد جاد المولى، تحقيق عبد الرحيم مارديني، ط مكتبة دار المحبة، دمشق ١٩٩٠م.

١٠٨- محمد نصيف حياته وآثاره، محمد بن أحمد سيد أحمد، عبده بن أحمد العلوي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٠٩- محيط المحيط، المعلم بطرس البستاني، مكتبة لبنان، ط ١٩٩٣م.

١١٠- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الحديث بالقاهرة.

١١١- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيِّم الجوزية، اختصره محمد الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.

١١٢- مدارج السالكين، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيِّم الجوزية، طبع دار الحديث القاهرة.

١١٣- مذكرات عباس حلمي الثاني، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١١٤- مذكرة التوحيد، عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت.

١١٥- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، طبعة ١٩٨٧م.

١١٦- مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١١٧- معارج القبول بشرح سلّم الوصول، حافظ بن أحمد الحكمي، ضبطه وخرّج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١١٨- المغنى، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن الزكي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط هجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١١٩- مفتاح دار السعادة، ابن قيِّم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٢٠- ملوك العرب، أمين الريحاني، دار الجيل بيروت، لبنان.

١٢١- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى اللخمي المالكي، شرحه ووضع تراجمه عبدالله دراز، محمد عبدالله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٢- نظرات في تاريخ مصر، جمال بدوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٢٣- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

١٢٤- الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، تقديم عبد الرزاق عفيفي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

١٢٥- هذه مفاهيمنا، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط في الرياض، ١٤٠٦هـ.

١٢٦- اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار، أنور الجندي، ط دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

المجلات والدوريات

١- جريدة البلاد السعودية.
٢- جريدة عكاظ السعودية.
٣- جريدة المدينة السعودية.
٤- جريدة المسلمون السعودية.
٥- مجلة الأزهر المصرية.
٦- مجلة التوحيد المصرية.
٧- مجلة الدعوة السعودية.
٨- المجلة العربية.
٩- مجلة المجتمع الكويتية.
١٠- مجلة الفرقان الكويتية.
١١- مجلة المنار المصرية.
١٢- مجلة الوعي الإسلامي الكويتية.
١٣- مجلة الهدى النبوي المصرية.
١٤- وثائق خطية.
١٥- مجلة السبيل الأردنية.
١٦- مجلة اللواء الأردنية.
١٧- مجلة الأمان اللبنانية.
١٨- مجلة الأصالة الأردنية.



فهرس الموضوعات

نظرات وتأملات: في كُتب ومؤلفات فضيلة الشيخ العلامة

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع





